معاهد التنصيص

على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى
المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه
محمد محيى الدين عبد الحميد
مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الثانى

عالم الكتب - بيروت

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، وبإضافة الشروح والتعليقات
١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها
مصطفى محمد

شواهد الفن الثانى ، وهو علم البيان

٧٣ — وكأنَّ مُحْمرَّ الشَّقيـــقِ إذا تصوَّبَ أو تصعَّدْ

أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ نَ على رماح من زَبَرْجَدْ

شاهد التشبيه الخيالى

البيتان من الكامل المجزوء المرفل ، ولم أقف على اسم قائلهما ، ورأيت بعض أهل العصر نسبهما فى مصنف له إلى الصنوبرى الشاعر .

والشقيق: أراد به شقائق النعمان، وهو النَّوْرُ المعروف ، و يطلق على الواحد والجمع ، وسمى بذلك لحمرته تشبيها بشقيقة البرق ، وأضيف إلى النعمان بن المنذر — وهو آخر ملوك الحيرة — لأنه خرج إلى ظهر الحيرة وقد اعتم نبته ما بين أصفر وأحمر وأخضر ، و إذا فيه من هذه الشقائق شىء كثير ، فقال: ماأحسنها! احْمُوها ، فكان أول من حماها ، فنسبت إليه .

وكان أبو العمَيْثَل يقول : النعمان اسم من أسماء الدم ، ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت إلى الدم لحمرتها . قال : وقولهم « إنها منسوبة إلى النعمان بن المنذر » ليس بشىء . قال : وحدثت الأصمعى بهذا فنقله عنى ، انتهى . والذى قدمناه هو الذى ذكره أرباب اللغة .

والشاهد فيهما : التشبيه الخيالى ، وهو المعدوم الذى فرض مجتمعاً من أمور كلٌّ واحدٍ منها مما يدرك بالحس ، فان الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لايدركه الحس ، إنما يدرك ما هو موجود فى المادة حاضر عند المدرِك على هيآت محسوسة مخصوصة ، لكن مادته التى تركب منها كالأعلام والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر .

وقريب من هذا النوع قول بعضهم [من المقتضب] :

كلنا باسِطُ اليـدِ نحوَ نَيلوفَرٍ ندى

كدَبابيسِ عسْجَدٍ قُضْبُها من زَبَرْجَدِ

ومثله قول أبى الغنائم الحمصى [من مجزوء الكامل] :

خودٌ كأنَّ بنانَها في خُضْرَةِ النقْشِ المزَرَّدْ
سَمكٌ من البلورِ في شَبَكٍ تَكَوَّنَ من زبرجد

وصف الشعراء الشقائق

وقد تفنن الشعراء فى وصف الشقائق : فمما ورد من ذلك قول ابن الرومى أو الأخيطل الأهوازى [من البسيط] :

هذى الشقَائِقُ قد أبصَرْتَ حُمْرَتَها معَ السواد على قُضبانها الذُّبُلِ
كأنها أدمعٌ قد غسلت كُحُلاً جادت بها وقفة فى وَجْنَتَىْ خَجِلِ

وقول سيدوك الواسطى [من مجزوء الكامل] :

انظر إلى مُقَلِ العقيـق تَضَمَّنت حدق السبج
من فوق قاماتٍ حَسُنَّ وما سَمِجْنَ من العوَجْ

وقول الخباز البلدى من أبيات [من الوافر] :

إلى الروض الذى قد أضْحَكَتْهُ شآبيبُ السَّحائِبِ بالبكاءِ
كأن شقائقَ النعمانِ فيه ثيابٌ قد رَوِينَ من الدماء

وقول ولد القاضى عياض رحمهما الله تعالى [من السريع] :

انظر إلى الزَّرع وخاماتِهِ تحكى وقد وَلَّتْ أمام الرياحْ
كَتيبَةً خضراءَ مَهزومةً شقائق النعمان فيها جِراحْ

وقول الخالدى أيضاً [من الوافر] :

وصبغ شقائق النعمانِ يحكى يواقيتاً نُظِمْنَ على اقترانِ
وأحياناً تُشَبِّهها خدُوداً كساها الرَّاحُ ثوباً أرجُوانى
شقائق مثلُ أقداحٍ مِلاء وخَشخاشٌ كفارِغةِ القَنانى
ولما غازَلَتنا الرِّيح خِلْنا بها جَيْشَيْ وغًى يتقاتلانِ

وقول الصنوبرى [من الوافر] :

وجوهُ شقائقٍ تبـدو وتخفى على قُضُبٍ تميسُ بهنّ ضعفا
تراها كالعذارى مُسبِلاتٍ عليها من حميم الشَّعْر سجفا
إذا طلعت أرتكَ الشَّرجَ تذكى وان غرَبت أرتك السرج تُطْفا
تخالُ إذا هي اعتدلت قواماً زُجاجاتٍ ملئنَ الراحَ صِرفا
تنازعتِ الخدودَ الحمرَ حُسناً فما قد أخطأتْ منهن وصفا

وقول ابن الدويدة [من المتقارب] :

كأن الشقائق والأقحوانَ خُدُود تقبّلُهنّ الثُّغـور
فهاتيكَ أخجلَهن الحياء وهاتيكَ أضحكهن السُّرور

وقول أبي الحسن بن وكيع من أرجوزة [من الرجز] :

يضحك فيهـا زَهَرُ الشقيق كأنه مَدَاهِنُ العقيـقِ
مُضَمَّنات قطعاً من السَّبَجْ فأشرقت بين احمرار ودَعَجْ
كأنما المحمرُّ في المسْوَدِّ منهُ إذا لاح عيونُ الرُّمْدِ

وقول أبي الفضل الميكالي [من الطويل] :

تَصوغُ لنا أيدي الرَّبيع حدائقاً كعِقد عقيقٍ بين سِمْطِ لآلِ
وفيهن أنوارُ الشقائق قد حكَتْ خدودَ عذارَى نُقِّطَتْ بغوالي

وقول الخبزأرزي أيضاً [من المنسرح] :

ورَوضةٍ راضَها النَّدى فَغَدَتْ لها من الزَّهْرِ أنجُمٌ زُهُرُ
تَنْشُر فيها أيدي الربيع لنـا ثوباً من الوَشْي حاكه القَطْرُ
كأنما شُقَّ من شـقائقِها على رُباها مطارفٌ خُضْرُ
ثمّ تبـدَّتْ كأنهـا حَدَقٌ أجفانُها من دِمائهـا حُمْرُ

* * *

هامد التنبيه الرهمى

٧٤ — * ومَسْنُونة زُرْق كأنيابِ أغوالِ *

هو من الطويل ، وصدره :

* أيقتلني والمشرَفيُّ مُضاجِعي *

وقائله امرؤ القيس الكندىّ ، من قصيدة (١) أولها :

ألاَ عِمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالي ... وهَلْ يعِمَنْ من كان في العُصُرِ الخالي

وهلْ يَعِمَنْ إلا سَعيدٌ مُخَلَّدٌ ... قليلُ همُومٍ ما يبيتُ بأوجالِ (٢)

وهلْ يعمنْ مَنْ كان آخرُ عهدِهِ ... ثلاثينَ شهراً أو ثلاثةَ أحوالِ (٣)

دِيارٌ لسلمَى عافياتٌ بِذِى الخالِ ... ألحَّ عليها كلُّ أسْحَمَ هَطَّالِ

وتحسبُ سَلمَى لا تزال كعهدنَا ... بوَادى الخزَامىَ أوعلى رأسِ أوعالِ

ألاَ زَعمَتْ بَسباسةُ اليومَ أننى ... كبرْتُ وأن لا يشهَدَ اللهوَ أمثالى (٤)

بلَى رُبَّ يومٍ قدْ لهوتُ وليلةٍ ... بآنسَةٍ كأنها خطُّ تمثَالِ

يُضِىء الفراشَ وَجهُها لضجيعها ... كمصباحِ زَيْتٍ في قناديل ذَبَّالِ

إذَا ما الضجيعُ ابتَزَّهَا مِنْ ثيابهَا ... تميلُ عليهِ هَونةً غيرَ معطالِ (٥)

كدعصِ النقَا يمشي الوَليدَانِ فوقهُ ... لمـا احتسبَا من لينِ مسّ وتسهالِ (٦)

---

(١) انظرها فى الديوان (١٣٧)

(٢) فى الديوان «قليل الهموم»

(٣) فى الديوان «أحدث عهده» وفيه «فى ثلاثة أحوال»

(٤) فى الديوان « وألا يحسن السر أمثالى»

(٥) فى الديوان « غير مجبال » وغير مجبال : أى ليست لمثلة ولا لمليطة

(٦) فى الديوان « كحقف النقا » وفيه « بما احتسبا»

إذا ما استحمّت كان فيضُ حميمها ... على متنتيها كالجُمان لدى الجالى (١)

تنوّرتها من أذرعاتٍ وأهلُها ... بيثربَ أدنى دارِها نظرٌ عالى

نظرتُ إليها والنجومُ كأنّها ... مصابيحُ رُهبانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ (٢)

سَموْتُ إليها بعدَ ما نامَ أهلُها ... سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حالاً على حالِ

فقالت سباكَ اللهُ إنكَ فاضِحِي ... ألستَ ترى السُّمّارَ والناسَ أحوالى

فقلتُ يمينُ اللهِ لا أنا بارحٌ ... ولو قطعوا رأسى لديكِ وأوصالى (٣)

فلما تنازعنا الحديثَ وأسمحَتْ ... هصرتُ بغصنٍ ذى شماريخَ ميالِ

فصرنا إلى الحُسنى ورقّ كلامُنا ... ورُضْتُ فذَلت صعبة أىّ إذلال

حلفتُ لها باللهِ حِلْفَةَ فاجرٍ ... لنامُوا فما إن من حديثٍ ولاصالى

فأصبحتُ معشوقاً وأصبحَ بعلُها ... عليهِ قَتامٌ كاسفُ اللونِ والبالِ (٤)

يَغُطُّ غَطيطَ البكرِ شُدَّ خِناقُهُ ... ليقتلَنى والمرءُ ليسَ بقتالِ

و بعده البيت ، و بعده :

وليسَ بذِى سيفٍ فيقتلنى بهِ ... وليسَ بذِى رُمحٍ وليسَ بنبّالِ

أيقتلنى وقدْ قطرْتُ فؤادها ... كما قَطرَ المَهْنوّةَ الرّجلُ الطالى (٥)

---

(١) فى الأصل « لدى الحالى » بالحاء مهملة، وليس بشىء . وما أثبتناه عن الديوان ، والجالى : صراف الدراهم

(٢) تشب : توقد، والقفال : جمع قافل من قفل من الغزو والسفر إذا رجع

(٣) فى الديوان « يمين الله أبرح قاعدا » وهذا هو المحفوظ، وهو من شواهد النحاة على حذف حرف النفى بعد القسم ، وما فى الأصل ضعيف فى العربية

(٤) فى الديوان « عليه القتام سىء الظن والبال »

(٥) فى الديوان :

ليقتلنى أنى شغفت فؤادها ... كما شغف المهنوءة الرجل الطالى

وقدْ علمَتْ سلمَى وَإن كان بعلها بأنَّ الفتى يهذى وليس بفعَّالِ
وما ذَا عليه إن ذ كرتُ أوَانساً كغزلان رمل ٍفى محاريب أقوالِ (١)

وهى طويلة .

والمشرفىّ — بفتح المـيم والراء — نسبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى من أرض العرب ، تدنو من الريف ، منها السيوف المشرفية . والمسنون : المحدد المصقول ، ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها ، وكونها مَجْلُوة ، وأراد بقوله « أنياب أغوال » أى شياطين ، وإنمـا أراد أن يُهَوّل . قال أبو نصر : سألت الأصمعىّ عن الغول ، فقال : همرجة من همرجة الجنّ .

والشاهد فيه : التشبيه الوهمىّ ، وهو الغير المدرك (٢) بإحدى الحواس ، ولـكنه بحيث لو أُدركَ لـكان مدركا بها ، فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها ، مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر .

وذكرت بأول القصيدة ما حكاه ناشب بن هلال الحرّانى الواعظ البديهى ـ وكان يلقب به لقوله الشعر بديهاً ـ قال : قصدتُ ديار بكر متـكسباً بالوعظ ، فلما نزلت قلعة ماردين دعانى بها صاحبها تمردَاس بن المغان بن أرتق للإفطار عنـده فى شهر رمضان ، فحضرت إليه ، فلم يرفع مجلسى ولم يكرمنى ، وقال بعد الافطار لغلام عنده : إئتنا بكتاب ، فجاء به ، فقال له : ادفعه إلى الشيخ ليقرأ فيه ، فازداد غيظى لذلك ، وفتحت الـكتاب ، فإذا هو ديوان امرىء القيس ؛ و إذا أول ما فيه :

ألاَ عِمْ صباحاً أيهَا الطَلَلُ البالى وهلْ يَعِمَنْ من كانَفى العُصُرِ الخالى

(١) الأقوال : جمع قيل ، وهو من يلى الملك من ملوك حمير
(٢) من حق الاستعمال العربى أن يقال « غير المدرك باحدى الحواس »

فقلت فى نفسى : أنا ضيف وغريب ؛ وأستفتح ما أقرأه على سلطان كبير وقد مضى هزيع من الليل ألاعِمْ صباحاً ، فقلت :

ألاَ عِمْ مساء أيها الملكُ العالى ولاَ زلْتَ فى عز يدومُ وإقبالِ

ثم أتممت القصيدة ، فتهلل وجه السلطان لذلك ، ورفع مجلسى ، وأدنانى إليه ، وكان ذلك سبب حظوتى عنده .

* * *

شاهد التشبيه التخيلى

٧٥ — وكأنَ النُّجُومَ بينَ دُجاها سُنن لاحَ بينهُنَّ ابتــداعُ

البيت للقاضى التنوخىّ ، من أبيات من الخفيف ، أولها(١) :

رُبَّ ليلٍ قطعْتُهُ بِصدُودِ أو فراقٍ ما كانَ فيه وَدَاعُ

موحشٍ كالثقيلِ تقذَى بهِ العَيــنُ وتأبى حديثَهُ الأسماعُ

وبعده البيت ، وبعده :

مُشْرِقاتٌ كأنهنَّ حجاجٌ تقطعُ الخصمَ والظلامَ انقطاعُ

وكأنّ السماء خيمةُ وَشْيٍ وكأنّ الجوزاء فيها شراعُ

والدجى : جمع دُجْية ، وهى الظلمة ، والضمير راجع إلى الليالى أو النجوم ، والابتداع : الحدث فى الدين بعد الكمال ، أو ما استُحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال .

والشاهد فيه : التشبيه التخييلى ؛ وهو أن لا يوجد فى أحد الطرفين أو فى كليهما إلا على سبيل التخييل والتأويل ، ووجهه فى هذا البيت هو : الهيئة

---

(١) اقرأها فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢ — ٣٣٦ بتحقيقنا) وفيها بيت سادس ، وهو قوله :

كأن ليــلا قصيرته نهــارا كتب تكتبت العدى ورقاع

الحاصلة من حصول أشياء مُشْرِقة بيض فى جوانب شىء مظلم أسود ، فتلك الهيئة غير موجودة فى المشبه به إلا على طريق التخييل ، وذلكَ أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل تجعل صاحبها كمن يمشى فى الظلمة فلا يهتدى الطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت بالظلمة ، ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ماهو علم بالنور ، لأن السنة والعلم تقابل البدعة والجهل ، كما أن النور يقابل الظلمة .

ترجمة القاضى التنوخى

والقاضى [١] التنوخى : هو على بن محمد بن داود ، ابو القاسم التنوخى ، قدم بغداد ، وتفقه على مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى ، وكان حافظاً للشعر ، ذكيا وله عروض بديع ، وولى القضاء بعدة بلدان ، وهو والد أبى على المحسن [٢] التنوخى صاحب « نشوار المحاضرة » وكتاب « الفرج بعد الشدة » وغيرهما . وكان أبو القاسم هذا بصيراً بعلم النجوم ، قرأ على الكسائى المنجم ، و يقال : إنه كان يقوم بعشرة علوم ، و كان يحفظ للطائيين سبعمائة قصيدة ومقطوعة ، سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين وغيرهم ، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً كثيراً ، وكان فى الفقه والفرائض والشروط غاية ، واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة ، وكان فى الهيئة قدوة .

وقال الثعالبى فى حقه رحمهما الله تعالى : هو كما قرأته فى فصل للصاحب [٣] إن أردت فانى سبحة ناسك ، أو أحببت فانى تفاحة فاتك ، أو اقترحت فانى مدرعة راهب ، أو آثرت فانى نخبة شارب .

وكان الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جدا ، و يتعصبون له ، وَيَعُدُّونه ريحانة الندماء وتاريخ [٤] الظرفاء ، و يعاشرون منه من تطيب عشرته

---

(١) له ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢ - ٣٣٥ - ٣٤٥ بتحقيقنا)

(٢) فى الأصول « أبى على الحسن » محرفا ، ولأبى على ترجمة فى اليتيمة تتلو ترجمة والده

(٣) يريد الصاحب بن عباد

(٤) كذا فى الأصول و نسخ اليتيمة ، وأحسبه محرفا عن « و نارنج الظرفاء »

وتلين قشرته ، وتكرم أخلاقه [وتحسن أخباره] (١) ، وتسير أشعاره [ناظمة](٢) حاشيتى البر والبحر ، وناحيتى الشرق والغرب .

ويحكى أنه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ويجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة ، وهم ابن قريعة وابن معروف والأيذجى وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبى ، فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذ السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا أثواب الوقار للعقار ، وتقلبوا فى أعطاف العيش ، بين الخفة والطيش ، ووضع فى يد كل منهم طاس من ذهب ألف مثقال مملوء شراباً قطربليا أو عكبريا ، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ثم يرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون بأجمعهم ، وعليهم المصبغات ومخانق البرم ، وإياهم عنى السرى الرفاء بقوله [من المنسرح] :

مَجالسٌ ترقُصُ القضاةُ بها إذا انتَشَوْا فى مخانِقِ البُرَمِ

وصاحبٌ يخلط المجونَ لنا بِشيمةَ حُلوَةٍ من الشِّيَمِ

تخْضِبُ بالراح شَيبهُ عَنَتا أناملٌ مثل حمرة العَنَمِ

حتى تخَالَ العيونُ شيبتَهُ شيبةَ عُثمانَ ضُرِّجت بدَمِ

فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم من التزام التوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء .

وكان له غلام يؤثره على غيره من غلمانه يسمى نسيما ، فكتب إلى القاضى التنوخى بعضُ أصحابه [من الرمل] :

هل علىَّ لامهُ مُدْغمةٌ لاضطرار الوَزنِ فى ميم ِ نَسيم؟

---

(١) الزيادة عن يتيمة الدهر

فوقع تحته ، نعم ، ولم لا؟!

وقال منصور الخالدى : كنت ذات ليلة عند التنوخى فى ضيافة ، فأغفى إغفاءة فخرج منه ريح ، فضحك بعض القوم ، فانتبه بضحكه وقال : لعل ريحاً ، فسكتنا من هيبته ، فمكث ساعة ثم قال : [من الطويل] :

إذ نامت العينان من مُتيَقِّظٍ تراخَتْ بلاشكٍ تشاريجُ فَقحتهْ
فمن كانَ ذا عقلٍ فيعذر نائماً ومن كان ذا جهل ففى جَوف لِحيته

وهذه نبذة من شعره .

قال من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب بن عباد يفضلها على سائر شعره [ويرى أنها من أمهات قلائده][1] وهى [من الكامل] :

أحْبب إلىَّ بنهر مَعْقلٍ الذى فيهِ لقَلبى من همومى معقِلُ
عَذْبٌ إذا ما عبَّ منهُ ناهلٌ فكأنه من ريق حِبّ يَنْهَلُ[2]
مُتَسَلسلٌ وكأنهُ لِصَفَائه دمْعٌ بخدّى كاعبٍ يتسلسلُ
وإذا الرِّياح جَرَين فوق متونه فكأنه دِرْعٌ جلاها صيقلُ[3]
وكأنّ دجلةَ إذ تغطغط مَوْجها ملك يُعظِّم خيفةً ويبجل
وكأنه ياقوتة أو أعين زرق يلاءم بينها ويوصل[4]

---

(١) الزيادة عن يتيمة الدهر فان هذه الترجمة نقلت بحذافيرها عنها ، وإن لم تكن مساقتها على ترتيبها هناك

(٢) فى اليتيمة « إذا ماعب فيه »

(٣) فى الأصل « فكأنها درع » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة ، والضمير يعود إلى النهر وهو مذكر ، وفى اليتيمة « علاها صيقل » وأراها محرفة عما هنا

(٤) فى اليتيمة « وكأنها ياقوتة » ولكل منهما وجه ، فان الضمير هنا يجوز أن يعود إلى النهر ، وإلى دجلة ولفظها مؤنث

عذبت فما ندري أماء ماؤها عند المذاقة أم رحيقٌ سلسلُ

مِمَّا بمدٍّ بعد جزرٍ ذاهبٍ جيشان يدبر ذا وهذا يقبل

وإذا نظرت إلى الأبلة خلتها من جنة الفردوس حين تخيّلُ

كم منزلٍ في نهرها آبى السرو رُ بأنه في غيره لا ينزل

وكأنما تلك القصور عرائس والروض حَلْيٌ فهي فيه تُرْفُل

غنّتْ قيانُ الوُرْقِ في أرجائها هَزَجاً يقلّ له الثقيلُ الأولُ

وتعانقت تلك الغصون فأذكرت يومَ الوداع وعيرُهُمْ تترحّلُ

ربع الربيع بها فحاكت كفُّه حللا بها عُقَدُ الهموم تحلل

فمدبّج وموشّح ومدنّر ومعمد ومحبر ومهلهل

فتخال ذا عيناً وذا ثغراً وذا خدًّا يعضض مرة ويقبل

ومن شعره أيضاً قوله [من السريع] :

كأنما المرِّيخُ والمشترِى أمامَهُ في شامخ الرِّفعه (١)

مُنْصَرِفٌ بالليل عن دَعوة قد أُوقِدَتْ قُدامَهُ شمعه (٢)

ومثله قول أبي عتيق السفار [من الرمل] :

وكأنَّ البدرَ والمرِّيـــخ إذْ وافى إليهِ

ملِكٌ توقَدُ ليلاً شمعةٌ بين يديه

رجع إلى شعر القاضي التنوخي رحمه الله ، قال [من الطويل] :

---

(١) في اليتيمة « قدامه » في مكان «أمامه » وكذا في كتب البيان ، وفي التلخيص فيما يأتي

(٢) في اليتيمة «قد أسرجوا» في مكان «قد أوقدت»

وليلة مشتاق كأنَّ نجومها   قد اغتصبت عيني الكرى فهي نُوَّمُ(١)

كأنَّ سوادَ الليلِ والفجرُ ضاحكٌ   يلوحُ ويخفى أسودٌ يتبسمُ

وله أيضاً في غؤور الكواكب عند الصباح [من البسيط] :

تَهدِي بها وضياء الصبح يُطفئها   كالسُّرْج تُطفأ أو كالأعينِ العورِ

عجبْتُ بها حينَ وافى وهيَ نَيرةٌ   فظلَّ يطمسُ منها النورُ بالنورِ

وكتب إلى الوزير المهلبي ، وقد منعه المطر من خدمته [من الطويل] :

سَحابٌ أتى كالأمن بعد تخوفِ   لهُ في الثرى فعلُ الشفاء بمُدْنَفِ

أكبَّ على الآفاق إطراقَ مطرقٍ   يفكرُ أو كالنادمِ المتلهف (٢)

ومدَّ جناحيه على الأرض جانحاً   فراحَ عليها كالغراب المرَفْرِفِ

غدَا البرُّ بحراً زاخراً وانثنى الضحى   بظلمته في ثوب ليـلٍ مُسَجَّفِ

يبيسُ عنْ برْقٍ به مُتبسمٍ   عبُوسَ بخيلٍ في تبسم مُعتفِ

تُحَاولُ منهُ الشمسُ في الجوِّ مخرَجاً   كماحَاولَ المغلوبُ تجريدَ مرْهَفِ

***

أين هذا من قول ابن المعتز رحمه الله [من الوافر] :

تحَاولُ فتقَ غيمٍ وهوَ يأبى   كَعنينٍ يريدُ نكاحَ بكرِ

***

فأفرغَ ماء قالَ واردُ حوضه   أَسلْسال ماء أمْ سُلافةُ قرْقفِ(٣)

---

(١) في اليتيمة «وهي قوم» وبين البيتين في اليتيمة بيت آخر ، وهو
كأن عيون الساهرين بطولها   إذا شخصت لأنجم الزهر أنجم

(٢) في الأصل « أو كالنائم المتلهف » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

(٣) في اليتيمة « فأترع ماء»

أبى رحمةً للناس غيرى ، فإنهُ على عذاب ماله من تكشُّفِ
سحاب عدَا بى عن سحاب ، وعارضٌ مُنعتُ بهِ من عارض متكفكفِ

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات [من الخفيف] :

لستُ أدرى ما ذا أذمّ وأشكو مِنْ سَمَاء تعوقنى عن سَمَاء

ومن شعر القاضى التنوخى أيضاً (١) [من البسيط] :

أما ترى البردَ قد وافتْ عساكرُهُ وعسكر الحرّ كيف انصاع منطلقَا
فالأرض تحت ضريب الثلج تحسبُهَا قد أُلبستْ حُبُكاً أو غُشيت ورقَا
فانهض بنار إلى فحم كأنهما فى العين ظلمٌ وإنصافٌ قد اتفقا
جاءتْ ونحن كقلب الصب حين سلا برداً فصرنا كقلب الصب إذ عشقا

ومنه أيضاً (٢) [من الطويل] :

رضاكَ شبابٌ لا يليه مشيبُ وسخطكَ داء ليس منه طبيبُ
كأنك من كل النفوس مُركَّبٌ فأنت إلى كل النفوس حبيبُ

وله فى مُعَذَّر [من السريع] :

قلتُ لأصحابى وقد مرّ بى منتقبا بعد الضياءِ بالظُّلَم
باللهِ يا أهلَ ودادِى قفُوا كى تبصروا كيف زوالُ النِّعَمْ

ومحاسنه رحمه الله كثيرة ، وهذا الأنموذج كافٍ فيها . وكانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وثلثمائه

---

(١) أنشد الشيخ عبد القاهر هذه الأبيات الأربعة فى أسرار البلاغة (٢٠٠ طبعة ثالثة) .

(٢) قال الثعالبى قبل إنشاد هذين البيتين : « ومما أنشدت له ولم أجده فى ديوانه »

شاهد المركب الحسى

٧٦ – وقدْ لاحَ فى الصبح الثُّرَيَّا لمن رأى كعنقود مُلَّاحية حين نَوَّرَا(١)

البيت لأبى القيس(٢) بن الأسلت، من الطويل.

والملاحى – بضم الميم وتخفيف اللام، وقد تشدد – عنب أبيض فى حَبِّهِ طول. ومعنى نوَّرَ: تفتح نَوْره. والثريا: مصغرة، قيل: تصغير تعظيم، وقيل: تصغير تقريب إعلاماً بأن نجومها قريب بعضها من بعض، ومكبرها ثَرْوَى، وهى الكثرة. وسميت هذه النجوم المجتمعة بالثريا لكثرة نورها، وقيل: لكثرة نجومها مع صغر مرآها، فكأنها كثيرة العدد بالاضافة إلى ضيق المحل. وعدد نجومها سبعة أنجم: ستة ظاهرة، وواحد خفى تختبر به الناس أبصارهم، وذكر القاضى عِيَاضٌ رحمه الله تعالى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يراها أحدَ عشرَ نجماً.

والشاهد فيه: المركب الحسى فى التشبيه الذى طَرَفاهُ مفرَدَان، الحاصل من الهيئة الحاصلة من تقارُن الصور البيض الصغار المقادير فى المرأى وإن كانت كباراً فى الواقع على الكيفية المخصوصة منضمة إلى المقدار المخصوص، والمراد بالكيفية المخصوصة أنها لا مجتمعة اجتماعَ التضامِّ والتلاصق، ولا هى شديدة الافتراق، بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما نجِدُهُ فى رَأى العين بين تلك الأنجم. والطرَفان المفرَدَان هما: الثريا، والعنقود.

أبيات فى وصف الثريا

ومما جاء فى وصف الثريا أيضاً قولُ امرىء القيس [من الطويل]:

إذا ما الثريّا فى السماء تَعرَّضتْ تعرُّضَ أثناء الوِشاحِ المفَصَّلِ

---

(١) المحفوظ فى هذا البيت * وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى *

(٢) أنشده الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٧٥) ونسبه إلى قيس بن الخطيم، ولبس بشىء

وقد أبدعَ المتأخرون فى وصفها : فمن ذلك قول ابن المعتز(١) [من المنسرح] :

قَدِ انقَضَتْ دولةُ الصيامِ وقَدْ ... بَشَّرَ سُقْمُ الهلالِ بالعيدِ
يَتلو الثريا كفاغرٍ شَرِهٍ ... يفتحُ فاهُ لأكلِ عُنقودِ

ومثله قوله أيضاً [من الخفيف] :

زَارَنى والدُّجى أحمُّ الحواشى ... والثريا فى الغربِ كالعُنقودِ
وهلالُ السماء طوقُ عَرُوسٍ ... باتَ يُجْلَى على غلائلَ سُودِ

وقول ابن بابك [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ جوْزَاؤها ... مثلُ الخباء المنهتِكْ
قطعتُها والبدرُ عنْ ... سَمْتِ الثريا منفركْ
كأنها فى عُرْضِهِ ... بازٍ على كفِّ مَلِكْ

وقول سهل بن المرزبان [من الكامل] :

كمْ ليلةٍ أحييتها ومؤانسى ... طَرَفُ الحديث وطيبُ حثِّ الأكؤسِ(٢)
شَبَّهتُ بَدْرَ سمائها لما دنتْ ... منهُ الثريا فى قميصٍ سندُسى
مَلِكاً مَهيباً قاعداً فى روضةٍ ... حيَّاهُ بعضُ الزائرينَ بنَرْجسِ

ومثله قول ابن المعتز أيضاً [من الطويل] :

أتانىَ والإصباحُ يَرْفُلُ فى الدُّجى ... بِصفراءَ لم تفسدْ بطبْخٍ وإحراقِ

---

(١) أنشدها الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٧٦ الطبعة الثالثة)

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة مانصه « قوله حث الأكوس هكذا فى النسخ ، ومعناه شربها ، ولم أجده بهذا المعنى فى القاموس ، فلعله محرف عن حسو ، فتدبر » اهـ

فناوَلَنيها والثريا كأنها جَنىَ نرجسٍ حيّا الندامى به الساقى

ومثله قول الناشىء الأصغر [من الطويل] :

وليلٍ تَوارى النجمُ من طُولِ مُكثه كما ازْوَرّ محبوبٌ لخوف رقيبه

كأنّ الثريا فيه باقةُ نرجسٍ يُحَيّى بها ذُو صبوةٍ لحبيبه

وقول أبى الفرج الببغاء من أبيات [من المنسرح] :

تَرى الثريا والبدر فى قَرَنٍ كما يُحَيّا بنرجسٍ مَلِكُ

وقول الوزير أبى العباس الضبي [من مجزوء الرجز] :

خلتُ الثريا إذ بدَتْ طالعةً فى الحِندِسِ

مرسلةً من لؤلؤٍ أو باقةً من نرجسٍ

وقوله أيضاً [من مجزوء الرجز] :

إذا الثريا اعترضتْ عنـدَ طلوعِ الفجرِ

حسبْتَها لامعـــةً سَبيكةً من دُرِّ

ونفيسٌ قولُ ابن حمديس أيضاً من قصيدة [من الرمل] :

فاسقْنى عن إذن سُلطانِ الهوى ليس يَشْفى الرُّوحَ إلا كاسُ راحْ

وانتَظِر للحلم منى كَرَّةً كم فسادٍ كانَ عُقباهُ صَلاحْ

فالقَضيبُ اهتزّ والبَدرُ بدا والكَثيبُ ارتَجّ والعَنبرُ فاحْ

والثرَيا زجج الجو بها كابنِ ماء ضَمّ للوَكْرِ جَناحْ

وكأنّ الغَرْبَ منها ناشِقٌ باقَةً من ياسمينٍ أو أقاحْ

وقول الصاحب بن عباد [من الطويل] :

تُنيرُ الثريا وهى قُرْطٌ مُسَلسلٌ وَيَعقلُ منها الطرْفَ دُرٌّ مُبدد

وما ألطف قول ابن حصن [من المقتضب] :

عَلَىَّ أن أتذَلَّلْ لهُ وأنْ يتدَلَّلْ

خَدّ كأن الـثريا عَليهِ قُرْط مُسلسل

وقول أبى الفرج الببغاء [من البسيط] :

خُذُوا من العيشِ فالأعمارُ فانِيةٌ والدهر منصَرِفٌ والعيشُ منقرضُ

فى حاملِ الكأس من بدرِ الدجَى خلف وفى المدَامَةِ من شمس الضُّحى عِوضُ

كأن مجم الثريا كفٌّ ذى كرم مَبسوطَة للعطايا ليسَ تَنقبِـض

وقول ابن سكرة الهاشمى [من المنسرح] :

ترى الثريا والغربُ يجذبهـا والبدر يَسرى والفجرُ يَنفجرُ

كَفُّ عروسٍ لاحَتْ خواتمُها أو عِقْدَ دُرٍّ فى الجو يَنتثرُ

ومثله قول أبى القاسم على بن جلبات [من الطويل] :

وَخِلتُ الثريا كفَّ عذراء طفلةٍ مختَّمـةً بالدر منهـا الأناملُ

تَخيلتُها فى الأفقِ طُرَّةَ جبـة مُـكوكَبة لم تَعتَلقهـا حبَائِلُ

وقول أبى القاسم بن هانىء الأندلسى [من الطويل] :

وولتْ نجومٌ للثريا كأنها خواتم تبدو فى بنانِ يد تخفى

وما أحسن قول محيى الدين بن عبد الظاهر [من الطويل] :

ملأتَ الليالى من علاً وخَتَمْتَهَا فقد أصبحَتْ محشوَّةً من مَكارمكْ

خَتَمت عليها بالثريا فقُلْ لنـا أهذا الذى فى كَفِّها من خواتمِكْ

وقد أحسن الصنوبرى فى تشبيه الثريا فى جميع أحوالها حيث يقول من أبيات [من المنسرح] :

قُم فاسقنى والظلام منْهزِمُ والصُّبح بادٍ كأنهُ علَمُ

والطَيرُ قد طرَّبَتْ فأفصحت الألحان طُرًّا وكلُّها عجم

وميّلت رأسها الثريا لاســــرارٍ إلى الغَرْبِ وهى تحتشمُ
فى الشرق كأس وفى مَغاربها قُرط وفى أوْسَطِ السما قَدَم

وقد وصفها الوأواء الدمشقى فى حالتى الشروق والغروب فقط فقال [من مجزوء الرمل] :

قد تأمّلتُ الثريا فى شروقٍ وغُروبِ
فهى كأس فى شروق وهى قرط فى غروب

وما أبدع قول بعضهم أيضاً [من مجزوء الكامل] :

وكأنما نجم الثريـــا إذ تَعَرَّضَ كالوشاحْ
كأس بكَف خَرِيدَةٍ تَسقى المَسَا بِيَدِ الصباح

وقول الوأواء الدمشقى [من مجزوء الكامل] :

وجَلا الثريا فى مُلا ءةِ نُورِهِ بدرُ التمامْ
فكأنها كأسٌ ليَشْــربها الدجَى والبدرُ جامْ
وكأن زُرْقَ نجومها حَدَقٌ مُفَتَّحة نيــامْ

و بديع قول عبد الوهاب الأزدى المشهور بالمثقال [من مخلع البسيط]

ياساقىَ الكأس اسق صحبى وأسقنى إننى أُوَاسِى
وانظر إلى حيرةِ الثريا والليلُ قد سُدَّ باندماسِ
ما بين بَهْرامها المُلاحى و بين مرِّيخها المواسِى
كأنها رَاحَةٌ أشارَتْ لأخذِ تُفاحةٍ وكاس

وقوله أيضاً [من مخلع البسيط]

رأيت بهرام والثريا والمُشْترى فى القِران كرَّهْ
كراحةٍ حَيَّرتْ يداها ما بين ياقوتة ودُرَّه

قال عبد الوهاب المذكور هذين البيتين لما أنشده ابن رشيق قوله [من الخفيف] :

والثريا قُبالَةَ البدر تحكى باسطاً كفَّه ليأخذَ جاما

وللوأواء الدمشقى [من الخفيف] :

رُبَّ ليلٍ مازلتُ ألثم فيه قمراً لابساً غُلالَةَ وردِ

والثريا كأنها كفُّ خَوْدٍ داخلتها للبين رِعْدَةُ وَجدِ

ومثله قول بعضهم [من الطويل] :

كأن الثريا بين شَرْقٍ ومغرب وقد سَلَّمَتْ للصبح طَوعاً عِنانها

مُرَوَّعة بالبينِ نحوَ أليفِها تقَلَّب من خوف الفراق بنانها

وقول الآخر [من الكامل] :

والليلُ قد ولىَّ يقَلِّصُ بُرْدَهُ كدًا و يَسحب ذيله فى المغرب

وكأنما نجم الثريا سُحْرَةً كفٌّ تمسَّح عن مَعَاطِفِ أشهب

ولابراهيم بن العباس الصولى فى اقتران الثريا والهلال [من البسيط] :

وليلةٍ من ليالى الأنس بتُّ بها والرَّوضُ ما بينَ منظوم ومنضودِ

والنسرُ قد حام فى الظلماء من ظمإٍ وللمَجَرَّةِ نهرٌ غيرُ مَوْرودِ

وابن الغزَالَةِ فوق النجم منعطفٌ كما تأوَّدَ عُرجُونٌ بعنقود

ولأبى عاصم البصرى فى اقتران الهلال والثريا والزهرة [من المتقارب] :

رأيتُ الهلال وقد أحدقته نجوم السماء لكى تَسْبقَهْ

فشبَّهته وهو فى إثْرها و بينهما الزهرة المشرقة

بِقوسٍ لرامٍ رمى طائراً فأتبعَ فى إثرهِ بُندُقهْ

ولأبى الحسن الكرخى فى مثله [من الطويل] :

كأنّ الهلالَ المستنيرَ وقد بدَا ونجم الثريا واقفٌ فوقَ هالَتهْ
مليكٌ على أعلاهُ تاجٌ مرصّعٌ ويُزْهى على من دونهُ بجلالتهْ

وما أحسن قول ابن طباطبا العلوى [من الطويل] :

أمَا والثريا والهلال جلتْهُما لِيَ الشمسُ إذودّعت كُرْهاً نهارَها
كأسماء إذ زارتْ عشياً وغادرَتْ دَلالاً لدينا قُرْطها وسِوَارَها

وقول أبى على الحاتمى [من الطويل] :

وليلٍ أقمنا فيه نُعملُ كأسنا إلى أن بدَا للصبح فى الليل عسكرُ
ونجمُ الثريا فى السماء كأنهُ على حُلةٍ زرقاء جَيْبٌ مُدَنرُ

ومن بديع أوصاف الثريا قول البديع القليوبى الكاتب [من الطويل] :

وصافية باتَ الغلامُ يديرُها على الشرْب فى جنحٍ من الليل أدعجِ
كأنّ حبابَ الماء فى وَجَناتها فرائدُ دُرّ فى عقيق مُدَحرجِ
ولاَ ضوء إلاّ من هلالٍ كأنما تفرّقَ عنه الغيمُ عن نصف دُملجِ
وقدْ حالَ دونَ المشترى من شعاعهِ ومِيضٌ كمثْلِ الزئبقِ المُتَرجرجِ
كأنّ الثريا فى أواخرِ ليلها نجيةُ وَرْدٍ فوقَ زَهرِ بَنفسَجِ

وما أحسن قول ابن فضال [من السريع] :

كأنّ بهرَامَ وقد عارضَتْ فيه الثريا نظرَ المبصرِ
ياقوتةٌ يعرضها بائعٌ فى كفه والمشتَرى المشترِى

و بديع قول الشهاب محمود فى تشبيه الثريا والهلال والدارة [من الطويل] :

كأنّ الثريا والهلالَ ودارَةً حوَتهُ وقد زان الثريا التئامُهَا
حَبابٌ طفَا من فوقِ زورقِ فضةٍ بكَفٍّ فتاة طاف بالرّاح جَامُهَا

وقد أغرب ابن عون بقوله [من مجزوء الرمل] :

رُبَّ ليلٍ لم أنمهُ ونجوم الليل تَشْهَدْ
والثريا في مداها حين تنحط وتصْعَدْ
عقرب يسمى من الدرّ على صحن زبرجد
خلفها طالبُ نار وشهابٌ ليس يَخْمَدْ
فهي حيرى ماأراها من سبيل الغي ترشد

وبديع قول ظافر الحداد [من الطويل] :

كأن الثريا تَقْدُم الفجرَ والدجى يَضُمّ حواشى سِجْفِهِ للمغاربِ
مُقَدَّم جيش الرومِ أومأ بكفِّهِ لتبديدِ جيش من بنى الزنج هاربِ

وقوله أيضاً [من الطويل] :

كأن نجوم الليل لما تَنَحَّلت تَوَقُّدَ جمرٍ فى سَوادِ رَمَادِ
حكى فوقَ ممتدِّ المجرّة شكلها فواقعَ تَطْفو فوق لجةِ وادِ
وقد سَبَحَتْ فيه الثريا كأنها بقيةُ وشْى فى قميص حِدَادِ
ولاحَتْ بتونَعْش كتنقيط كاتبٍ بيُسْراه للتعليم هيئةَ صادِ
إلى أن بدا وجهُ الصباح كأنهُ رداء عَروسٍ فيه صِبْغ مِدَادِ

وقوله أيضاً [من البسيط] :

وليلةٍ مثلِ عين الظَّبي داجيةٍ عَسَفْتها ونجوم الليل لم تَقِدِ
كأن أنجمهَا فى الليل زاهرةً دراهمٌ والثريا كفُّ منتقِدِ

وظريف قول بعضهم فى شكاية طول الليل [من الطويل] :

كأن الثريا راحةَ تَشْبرُ الدجى لتعلم طال الليل أم لى تعرّضا
عجبت لليلٍ بين شرق ومغرب يُقَاسُ بشبرٍ كيف يُرْجى له انقضا

ولبعضهم [من الخفيف] :

والثريا كأنها رأسُ طِرْفٍ   أدهم زين باللجام المحلي

ومثله قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا فاسقنيها والظلام مُقَوَّض   ونجم الدجى فى لجة الليل يركضُ
كأن الثريا فى أواخر ليلها   مفتحُ نورٍ أو لجامٌ مفضض [1]

والاطلاع على تفنن الأدباء فى أوصاف الثريا يغتفر الاطالة هنا .

ترجمة أبى قيس ابن الأسلت

وأبو قيس [2] لم يقع لى إلى الآن اسمه ، والأسلت : لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم بن وائل ، ينتهى نسبه للأوس ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وأسلم ابنه عقبة بن أبى قيس رضى الله عنه واستشهد يوم القادسية ، وكان يزيد بن مرداس السُّلَمى أخو عباس بن مرداس السُّلَمى الشاعر قتل قيس بن أبى قيس فى بعض حروبهم ، فطلب بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد ابن مرداس فقتله بقيسٍ ابنِ عمه ، ولقيس يقول أبوه أبو قيسٍ بن الأسلت المذكور [من الوافر] :

أقيسٌ إن هلكتُ وأنت حيٌّ   فلا تَعْدَم مواصَلَةَ الفقير

وقال هشام الكلبى : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم فى يوم بعاث [3] إلى

---

(١) أنشد الشيخ عبد القاهر هذا البيت فى أسرار البلاغة (١٤٣)

(٢) تجد لأبى قيس بن الأسلت ترجمة فى الأغانى (١٥ - ١٦٠) ومن العجيب أن أبا الفرج هو الذى يقول «لم يقع لى اسم أبى قيس» وأن المؤلف ينقل بعد تطاول القرون هذه العبارة ولا يكلف نفسه البحث عن اسمه ، واسم أبى قيس - فى أرجح الأقوال - صيفي وقد كتب بهامش نسخة الأغانى مانصه « وبهامش نسخة هكذا : اسمه صيفى ، وهو أشهر من أن لا يقع لأحد » اه

(٣) بعاث - بزنة غراب - بالعين المهملة ، وبالغين المعجمة - موضع قرب المدينة وقع فيه يوم مشهور بين الأوس والخزرج

أبى قيس بن الأسلت الوائلى ، فقام بحربهم ، وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ، ولبث أشهراً لا يقرب امرأته ، ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته وهى كبشة بنت ضمرة بن مالك من بنى عمرو بن عوف ، ففتحت له ، فأهوى بيده إليها ، فأنكرته ودفعته ، فقال : أنا أبو قيس ، فقالت : والله ماعرفتك حتى تكلمت فقال فى ذلك أبو قيس [1] [من السريع] :

قالتْ ولم تقصِدْ مقال الخَنَا ... مَهلاً فقد أبلغتَ أسماعى [2]

استنكرتْ لوناً له شاحباً ... والحرب غولٌ ذاتُ أوجاع [3]

مَنْ يَذُقِ الحرب يجد طعمها ... مُرًّا وتتركْهُ بجعجاعِ [4]

لا نألم القتلَ ونجزى به الـ ... أعداء كيلَ الصَّاع بالصَّاع [5]

ولما قتل عبدُ الملك بن مروان مصعبَ بن الزبير رضى الله عنهما خطب الناس بالنخيلة فقال فى خطبته : أيها الناس، دعوا الأهواء المضلة والآراء المشتتة ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها ، فقد جاريتمونا إلى السيف برأيتم كيف صنع بكم ، ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادون جراءة ، فانى لا أزداد فعدها إلا عقوبة ، وما مثلى ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت [6] :

---

(١) الأبيات من أول قصيدة له فى المفضليات ، وفى الأغانى

(٢) فى المفضليات «ولم تقصد لقيل الخنا» وكذلك هو فى الأغانى

(٣) فى المفضليات « أنكرته حين توسمته »وفى الأغانى مثل ما هنا

(٤) فى المفضليات « وتحبسه بجعجاع » والجعجاع : المحبس فى المكان الضيق الغليظ ، وفى الأغانى مثل ما هنا

(٥) بين هذا البيت والذى قبله فى المفضليات سبعة أبيات لم يروها المؤلف وروى أبو الفرج هذا البيت متصلا بالذى قبله فى صوت

(٦) القصة والأبيات فى الأغانى (١٥ – ١٦٧)

مَنْ يَصْلَ نارى بلاذَنب ٍ ولا تِرَةٍ يصلَ بنارِ كريمٍ غيرِ غدّارِ (١)
أنا النذيرُ لكمْ منى مُجاهرةً كيلاَ ألامَ على نَهْىٍ وإعذارِ
فإن عصيتم مقالى اليومَ فاعترفُوا أنْ سوفَ تلقون خزياً ظاهرَ العارِ
لتُتْرَكُنّ أحاديثاً وملعبةً عندَ المقيمِ وعند المُدْلِجِ السارِى
وصاحبُ الوترِ ليس َالدهرَ يدركهُ عندى و إنى لَطَلاَّبٌ لأوتارِ
أقيم عوْجتهُ إنْ كان ذا عِوَجٍ كما يُقوِّمُ قدحَ النَبْعَةِ البارى (٢)

وعن الهيثم بن عدىّ ، قال : كنا جلوسا عند صالح بن حسان ، فقال لنا : أنشدونى بيتاً خفراً فى امرأة خفرة ، فقلنا قول حاتم [من الطويل] :

يُضىء بها البيتُ الظليلُ خَصاصهُ إذا هى يوماً حاولَتْ أن تَبَسَّما (٣)

فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسن من هذا ، فقلنا : قول الأعشى [من البسيط] :

كأنّ مشيتها من بيت جارتها مرُّ السحابة لا رَيْثٌ ولا عجَلُ

فقال : هذه خرّاجة ولاّجة كثيرة الاختلاف ، فقلنا : ما عندنا شىء ، فقال : قول أبى القيس بن الأسلت [من الطويل] :

ويُكرمُها جارَاتُهَا فيزرْنَها وتعتلّ عن إتيانهنّ فتُعْذَرُ
وليسَ لها أن تستهينَ بجارةٍ ولكنها منهنّ تَحْيَا وتَخفرُ

---

(١) فى الأصل «غير عوار» محرفا وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى الأصل « أقيم نخوته » وفيه « كما يقيم لقدح النبعة » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٣) فى الأغانى « يضىء لها »

ثم قال : أنشدونى أحسن بيت وصفت به الثريا ، فقلنا : بيت الزبير الأسدى وهو [من الطويل] :

وقدْ لاحَ فى الغور الثريا كأنما به رايةٌ بيضاء تخفقُ للطعنِ

فقال: أريد أحسن من هذا ، فقلنا : بيت امرىء القيس [من الطويل] :

إذا ما الثريا فى السماء تعرَّضتْ تعرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المُفصَّلِ

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت ابن الطثْرِية(١) [من الطويل] :

إذا ما الثريا فى السماء كأنها جُمانٌ وَهَى من سلكه فتسرعا

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : ما عندنا شىء ، قال : قول أبى قيس ابن الأسلت [من الطويل] :

وقد لاحَ فى الصبح الثريا لمن رَأى كعنقودِ مُلَّاحيةٍ حين نوّرَا

قال : فحكم له بالتقدم عليهم فى هذين المعنيين ، والله أعلم .

* * *

شاهد المركب الحسى

٧٧ ــ كأنّ مُثارَ النّقعِ فوقَ رُؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

البيت لبشار بن برد ، من قصيدة من (٢) الطويل يمدح بها ابنَ هُبَيرة ، وأولها :

جَفا ودّه فازْورَّ أو مَلَّ صاحبهْ وأزرى به أن لا يزال يعاتبهْ

خليلىَّ لا تستكثرا لوعة الهوَى ولا سلوةَ المحزون شطَّتْ حبائبهْ

---

(١) فى الأصل « ابن الطبرية » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) انظر أبياتا منها فى حماسة ابن الشجرى (٥٧ر ١٤٣ ر ٢٣٤) وأبياتا منها فى المختار من شعر بشار (١ر ٧٤) وأبياتا منها فى حماسة البحترى (٧٢)

يقول فيها :

إذا كنتَ فى كل الأمور معاتباً صديقكَ لم تلقَ الذى لا تعاتبهْ

فعش واحداً أوصِلْ أخاكَ فإنهُ مُقارفُ ذنبٍ مرةً ومُجانبهْ

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذَى ظمئتَ وأىُّ الناس تصفو مشاربه

رُوَيدا نصاهل بالعراق جيادنا كأنك بالضحاك قد قام نادبُهْ

ومنها :

وَسامٍ لمروان ومن دونه الشَّجا وهولٌ كلُجّ البحر جاشت غواربهْ

أحلت به أمُّ المنـــــايا بناتها بأسيافنا إنا رَدَى مَنْ نحاربه

وكنا إذا دبّ العدوُّ لسخطنا وراقبنا فى ظاهرٍ لا نراقبهْ

رَكبنا له جهراً بكلِّ مثقَّفٍ وأبيضَ تستسقى الدماء مضاربُهْ

وجيشٍ كجنح الليل يزحف بالحصا وبالشوك والخطىِّ حمراً ثعالبُهْ

ومنها :

غدونا له والشمسُ فى خِدْر أمها تطالعها والطلّ لم يجر ذائبُهْ

بضربٍ يذوقُ الموتَ من ذاق طعمه وتدركُ من نَجّىَ الفرارُ مثالبهْ

وبعده البيت ، وبعده :

بعثنا لهم موت الفُجَاءة إننا بنو الموت خَفّاقٌ علينا سبائبهْ

فراحوا فريقٌ فى الأسَارَى ومثلهُ قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُهْ

إذا الملكُ الجبارُ صَعَّر خدَّهُ مشينا إليه بالسيوف نعاتبهْ

وهى طويلة ، فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم ، وكانت أول عطية سَنِيَّة أعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره .

والنقع : الغبار ، ومعنى « تهاوى كواكبه » يتساقط بعضها فى إثر بعض والأصل « تتهاوى » فحذفت إحدى التاءين .

والشاهد فيه : المركب الحسى فى التشبيه الذى طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوىّ أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم ، فوجه الشبه مركب كما ترى ، وكذا طرفاه ، كما فى أسرار البلاغة .

يروى أنه قيل لبشار ، وقد أنشد هذا البيت : ما قيل أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ، ولم تر الدنيا قط ولا شيئاً منها ؟ فقال : إن عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته ، وأنشدهم قوله [من الطويل] :

عميت جُنيناً والذكاء من العمى   فجئت عجيب الظن للعلم مَوْئلا
وغاضَ ضياء العين للعلم رافداً   لقلب إذا ما ضيعَ الناسُ حَصَّلا
وشعرٍ كنَوْر الروض لاءمْتُ بينهُ   بقول إذا ما أحزن الشعرُ أسهلا

وحدث أبو يعقوب الخريمىّ الشاعر أن بشاراً ، قال : لم أزل منذ سمعت قول امرىء القيس فى تشبيهه شيئين بشيئين فى بيت واحد ، حيث يقول [من الطويل] :

كأنّ قلوب الطيرِ رَطْبًا ويابسا   لدى وكرها العُنَّابُ والحشفُ البالى

أعمل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين ، حتى قلت :

* كأنّ مثُار النقع — البيت *

وقد كره بشار ، فقال [من الطويل] :

خلقت سماء فوقنا بنجومها   سيوفا ونقعا يقبض الطرف أقتَما

أبيات فى وصف إثارة النقع

وقد أخذ هذا المعنى منصور النمرى (١) فقال وأحسن [من البسيط] :

ليلٌ من النَّقْع لا شمسٌ ولا قمرٌ ... إلا جَبِينُكَ والمذْرُوبةُ الشُّرَعُ

ومسلم بن الوليد أيضاً حيث يقول [من البسيط] :

فى عَسكر تُشرق الأرض الفضاء به ... كالليل أنجُمهُ القضبانُ والأسَلُ

ولمؤلفه رحمه الله من قصيدة عثمانية مظفرية [من البسيط] :

والنقع ليلُ سماء لا نجومَ له ... إلا الأسِنَّةُ والهِنْدِيةُ البُتُرُ

وله فى معناه من قصيدة مظفرية أيضا مع زيادة مخترعة فيما يظن [من الخفيف]:

يَعقدُ النقعُ فوقَها سحباً كالليـ ... ـل فيهِ السيوفُ أضحتْ نجومَا

فمتى ما رأت سواد شياطيـ ... ـن بُغاةِ الحروب عادت رجومَا

وابن المعتز حيث قال [من الطويل] :

إذا شئتُ أوقرْتُ البلاد حوافراً ... وسارت ورائى هاشمٌ ونزارُ

وعمَّ السماءَ النقعُ حتى كأنه ... دُخانٌ وأطرافُ الرِّماح شَرَارُ

وبعضهم أيضاً حيث قال [من الكامل] :

نَسجتْ حوافرُهَا سماء فوقها ... جعلَتْ أسِنَّتَها نجومَ سمائها

وأبو الطيب المتنبى حيث قال [من الكامل] :

فكأنما كُسِيَ النهار بها دجى ... ليلٍ وأطلعَت الرماحَ كواكبا

وقد نقله إلى مثال آخر فقال [من الطويل] :

تزور الأعادى فى سماءِ عجاجةٍ ... أسنّتُها فى جانبيها الكواكبُ

---

(١) فى الأصل «النميرى»

وقد ضمنه سيف الدين بن المشد فقال [من الطويل] :

كأن دُخان العود والنَّد بيننا وأقداحنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ
ولاحَتْ لنا شمسُ العُقارِ فمزّقت دُجى الليل حتى نَظَّمَ الجزعَ ثاقبُهْ

والبرهان القيراطى ضمن المصراع الأخير، و إن كان من غير هذه القصيدة بقوله وأجاد [من الطويل] :

ولما بدَا والليلُ أسْوَدُ فاحمٌ قد انْتَشرت فى الخافقَينِ ذَوائبُهْ
أضاء ببَدْر الثغر عنْدَ ابتسامهِ دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

* * *

شاهد المركب الحسى فى الهيآت

٧٨ — * والشَّمْسُ كالمرْآةِ فى كَفِّ الأشَلّْ *

هو من الرجز ، واختلف فى قائله ، فقيل : الشماخ ، وقيل : ابن أخيه [٣] وقيل : أبو النجم ، وقيل : ابن المعتز .

والأشل : هو الذى يَبست يده أوذهبت.

والشاهد فيه : مجىء المركب الحسى فى الهيآت التى تقع عليها الحركة من الاستدارة والاستقامة وغيرها ، ويعتبر فيها التركيب ، ويكون ما يجىء فى تلك الهيآت على وجهين : أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل

---

(٢) ضمن هذا البيت من قول أبى الطمحان القينى :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوهم دجي الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(٣) فى ديوان الشماخ بن ضرار (١٠٩) أرجوزة منسوبة إلى جبار بن جزء بن ضرار بن أخي الشماخ ، وأولها قوله :

قالت سليمى لست بالحادى المدل مالك لا تملك أعضاد الابل

وفيها هذا الشاهد. وليس فى هدا الديوان مما ينسب إلى الشماخ نفسه هذا الشاهد ، بل ولا كلمة على رويه

واللون ، والثانى : أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها ، فالأول كما فى البيت ، ووجه الشبه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراق واضطرابه بسبب تلك الحركة حتى يرى الشعاع كأنه يهمُّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع من الانبساط إلى الانقباض ، فالشمس إذا أحدَّ الانسانُ النظرَ إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية إلى هذه الهيئة ، وكذلك المرآة إذا كانت فى كف الأشل .

أبيات فى وصف حركة الشمس والنجوم

وما أعدل قول المعوج الشاعر فى معناه [من الطويل] :

كأن شُعاعَ الشمسِ فى كل غُدْوةٍ   على ورَقِ الأشجارِ أول طالع
دنانيرُ فى كف الأشَلِّ يَضُمُّها   لقَبْضٍ فتَهْوِى من فُروج الأصابع

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى [من الوافر] :

وألقى الشرق منها فى ثيابى   دنانيراً تَفِرُّ من البَنَان

وأخذه أيضاً القاضى عبد الرحيم الفاضل فقال [من الكامل] :

والشمسُ من بين الأرائِكِ قد حكَتْ   سيفاً صَقيلاً فى يَدِ رعشاءِ

وما أبدع قول الشهاب التلعفرى [من البسيط] :

أفدِى الذى زارَنى فى الليل مُستتراً   أحلى من الأمْنِ عندَ الخائفِ الدهِشِ
ولاحتِ الشمس تحكى عند مَطْلَعها   مرآةَ تبرٍ بَدَتْ فى كف مرتَعِشِ

و بديع قول إدريس بن اليمانى العبدى [من المديد] :

قُبلةٌ كانَتْ على دهَشٍ   أذهَبَتْ ما بى من العَطَش
ولها فى القَلْبِ مَنْزِلةٌ   لو عدَتْها النفسُ لم تَعِشِ
طَرَقَتْنى والدجى لابِسٌ   خِلَعاً من جِلدَةِ الحَبَش
وكأنَّ النجمَ حين بدا   درْهمٌ فى كف مُرتَعِشِ

وقول النامى [من الطويل] :

سماء غصونٍ تحجُبُ الشمسَ أن تُرَى على الأرضِ إلا مثلَ نثرِ الدراهمِ

* * *

شاهد تجرد الحركة عن غيرها

٧٩ — وكأنَّ البرق مصحفُ قارٍ فانطباقاً مرةً وانفتاحا

البيت لابن المعتز، من قصيدة [١] من المديد[٢] ، وأولها :

عرَفَ الدار فحيَّا وناحا بعدما كان صحا واستراحا

ظلَّ يلحاه العذولُ ويأبى فى عِنَان العذلِ إلا جِمَاحا

علَّمونى كيف أسلُو وإلا فخذوا من مقلتىَّ الملاحا [٣]

من رأى برقاً يضىء التماحا ثقَبَ الليلَ سَنَاهُ فلاحا

وبعده البيت، وبعده [٤] :

لم يزل يلمعُ بالليل حتى خِلْتُه نبَّه فيه صَبَاحا

وكأن الرَّعْدَ فحلُ لِقَاحٍ كلما يُعْجبُهُ البرق صاحا

(١) اقرأ هذه القصيدة فى مفتتح حرف الحاء المهملة من الباب الثالث من ديوان ابن المعتز (١٣٢ بيروت) والبيت فى أسرار البلاغة ١٣١ و١٣٦

(٢) فى الأصل « من الرمل » خطأ ، والقصيدة من بحر المديد ، وأجزاؤه « فاعلاتن فاعلن فاعلاتن »

(٣) فى الديوان « نخذوا عن مقلتى »

(٤) فى الديوان زيادة بيت بين البيت المستشهد به والذى ذكر المؤلف أنه بعده ، وهو قوله :

فى ركام ضاق بالماء ذرعا حينما مالت به الريح ساحا

والبرق : واحد بروق السحاب ، أو هو ضَرْبُ ملكِ السحاب وتحريكه إياه لينساق فترى النيران .

والشاهد فيه : الوجه الثانى ، وهو تجرد الحركة عن غيرها من الأوصاف مع اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين و بعضه إلى الشمال و بعضه إلى العلو و بعضه إلى السفل ؛ ليتحقق التركيب و إلا لكان وجه الشبه مفرداً وهو الحركة لا مركباً ، فحركة المصحف الشريف فى انطباقه وانفتاحه فيها تركيب لأن المصحف يتحرك فى الحالتين إلى جهتين فى كل حالة إلى جهة .

أبيات فى وصف البرق والسحب

ومثله قول القلعى المغربى [من الكامل] :

والسحبُ تلعبُ بالبروق كأنها ... قارٍ على عجلٍ يقلبُ مصحفا
قد قلدت بالنَّوْر أجيادَ الرُّبا ... حَلْياً وألبست الخمائل مُطْرَفَا

وما أحسن قول بعضهم فى وصف البرق [من الرمل] :

عارضٌ أقبلَ فى جنح الدُّجى ... يتهادى كتهَادى ذى الوجَى
أتلفتْ ريحُ الصبا لؤلؤهُ ... فانبرَى يوقد عنها سُرُجَا
وكأنَّ الرعد حادِى مُصْعَبٍ ... كلما صالَ عليه وشجا
وكأنَّ البرقَ كأسٌ سكبتْ ... فى لهاه المزنُ حتى لهجا
وكأنَّ الجوَّ ميدان وغىً ... رَفعتْ فيه المذاكى رَهَجَا

وما أحسن قول ابن المعتز فيه أيضا [1] [من الرجز] :

رأيتُ فيها برقها منذُ بدتْ ... كمثل طرف العين أوقلبٍ وجبْ [2]

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٦ بيروت)
(٢) فى الديوان «لما وثب» فى مكان «منذ بدت» وفيه «أو قلب يجب»

ثم حـدا بهـا الصبا حـتى بدا فيها لِيَ البرقُ كأمثال الشُّهُبْ (١)

تحسبه فيها إذا ما انصدعتْ أحشاؤها عنه شجاعا يضطربْ (٢)

وتارةً تحسبـهُ كـأنـه أبلقُ مالَ جُلُّهُ حين وثبْ (٣)

حتى إذا ما رَفعَ اليـوم الضحى حسبته سـلاسلاً من الذهب (٤)

وقد ولدَ أبو العباس بن أبي طالب العربى من تشبيه البرق بالسلاسل توليداً بديعاً ، فقال يصف ممدوحه ببرعة البديهة إذا كتب [من المتقارب] :

له قلم لو يجارى البروقَ لخلتَ السلاسل فيه قيودَا

وللأديب أبى حفص أحمد بن برد فى السحاب والبرق [من المتقارب] :

ويوم تفـنن فى طيبهِ وجاءتْ مواقيته بالعجبْ

تجلَّى الصباح به عن حيًا قدآسقى وعن زَهَر قد شرب

ومازلتأحسب فيه السحاب ونار بوارقـه تلـتهبْ

بخاتيَّ تُوضِع فى سـيرها وقد نُزِّعَتْ بسياط الذهب

ولأبى عثمان الخالدىّ فى مثله [من المنسرح] :

أدْنِ من الدَّنِّ لى فداكَ أبى واشربْ وأسق الـكبير وانتخب

أما ترى الطَّـلَّ وهو يلمع فى عيون نَوْرٍ تدعو إلى الطربِ

---

(١) هذا البيت يروى فى الديوان :

ثم حـدت بها الصـبا كأنها فيها من البرق كأمثال الشهب

(٢) يروى هذا البيت فى الديوان :

إذا تعرى الـبرق فيها خلـته بطن شجاع فى كثيب يضطرب

(٣) فى الديوان «وتارة تبصره»

(٤) يروى هذا البيت فى الديوان :

وتـارة تخـاله إذا بـدا سلاسلا مصقولة من الذهب

والصبح قد جُرِّدَتْ صَوَارِمُهُ ... والليل قد همَّ منه بالهرَبِ
والجوُّ فى حُلَّةٍ ممسَّكةٍ ... قدْ كتبتها البروقُ بالذهب

وللسرىّ الرفاء فى مثله [من المتقارب] :

غيومٌ تمسِّك أفقَ السماء ... وبرقٌ يكتِّبها بالذهبْ

وله أيضاً ، و ينسب للخالدىّ [من الوافر] :

و برقٍ مثلُ حاشيتى رِداء ... جديدٍ مُذْهَبٍ فى يوم ريحِ

وللخالدىّ فيه أيضا وأجاد [من الطويل] :

ألا فاسقنى والليل قدغابَ نوره ... لغيبة بدر فى الظلام غريق
وقد فَضَحَ الظلماء برقٌ كأنه ... فؤاد مَشُوقٍ مولعٌ بخفوق

وقد سرقه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

أمنك سرى يابشر طيفٌ كأنه ... فؤاد مشوق مولعٌ بخفوق

وسرقه السرىّ الرفاء أيضا ، فقال من قصيدة [من البسيط] :

أما ترى الصبح قد قامت عساكرهُ ... فى الشرق تنشر أعلاماً من الذهب
والجوُّ يختال فى حُجْبٍ ممسكة ... كأنما البرق فيها قلبُ ذى رُعُبِ

وما أحسن قوله فيه أيضا [من الكامل] :

وحدائقٍ يَسبيكَ وشىُ برودها ... حتى تشبهها سَبائبَ عَبْقَرِ
يجرى النسيمُ خلالها فكأنما ... غُمِسَتْ فُضُولُ رِدائه فى عنبرِ
باتتْ قلوب المَحْلِ تخفقُ بينها ... بخفوق رايات السحاب الممطرِ
من كل نائى الحجزتين مولعٍ ... بالبرق دانى الظلتين مُشَهَّرِ (١)

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذا البيت بهامش النسخة مانصه =

تُحْدَى بألسنة الرعود عِشارُهُ فتسير بين مُغرِّدٍ ومزمجر
طارتْ عقيقةُ برقه فكأنما صدعتْ ممسكَ غيمه بمعصفر

ولأبى القاسم الزاهى فيه أيضا [من البسيط] :

الريح تعصفُ والأغصان تعتنقُ والمزنُ باكيةٌ والزهرُ مغتبقُ
كأنما الليلُ جفنٌ والبروقُ له عينٌ من الشمس تبدو ثم تنطبقُ

ولبعضهم [من السريع] :

برقٌ أطارَ القلبَ لما استطارْ أنارَ جنحَ الليل لما استنارْ
ذابَ لجينُ المزنِ لما رمى معدنه منهُ بمقباسِ نارْ

ابن المعتز

وابن المعتز (١) : هو عبد الله بن محمد — وقيل الزبير — المعتز بالله ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى ، الأمير الأديب ، صاحب النظم البديع والنثر الفائق . أخذ الأدب والعربية عن المبرد وثعلب ، ومؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقى . ومولده فى شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين ، وهو أول من صنف فى صنعة الشعر ، وضع كتاب البديع ، وهو أشعر بنى هاشم على الاطلاق ، وأشعر الناس فى الأوصاف والتشبيهات ، وكان يقول : إذا قلت « كأن » ولم آت بعدها بالتشبيه ففضَّ الله فاى(٢) .

= « قوله الظلتين ، فى بعض النسخ الطلتين ، وفى بعضها الطلبتين ، ولعله الكليتين ودنوهما كناية عن ضيق ما بين الحرقفتين وتضامه ، والبيت كناية عن كون السحاب المشبه بالابل واسعا من جهة حسبما أشار له بقوله نائى الحجزتين متضاما من جهة أخرى كما أشار له بقوله دانى الكليتين ، فليتأمل وليراجع » اهـ

(١) تجد بعض أخباره فى الأغانى (٩ ـ ١٤٠)

(٢) هذا التعبير خطأ فى العربية ، والصواب أن يقال « ففض الله فىَّ » بتشديد الياء ، لأن شرط إعراب الأسماء الخمسة بالألف نصبا أن تكون إضافتها لغير ياء المتكلم

وحدث جعفر بن قدامة ، قال : كنت عند ابن المعتز يوماً ، وعنده سرية(١) ، وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجت علينا من صدر البستان فى زمن الربيع وعليها غلالة معصفرة ، وفى يدها جنابى من باكورة باقلاء ، والجنابى : لعبة للصبيان ، فقالت له : ياسيدى ، تلعب معى جنابى ؟ فالتفت إلينا ، وقال على بديهته غير متفكر ولا متوقف [من البسيط] :

فديتُ من مر يمشى فى معصفرة عشيةً فسقانى ثم حيانى
وقال تلعبُ جنابى فقلت لهُ من جدَّ بالوصل لم يلعب بهجران

وأمر فغنى به .

وحدث جعفر قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبه ، وكان يغنى غناء صالحاً ، وكان يدعى بنشوان ، فجُدِرَ ، فجزع عبد الله لذلك جزعا شديداً ثم عوفى ولم يؤثر الجُدَرِى فى وجهه أثراً قبيحاً ، فدخلت عليه ذات يوم فقال لى : يا أبا القاسم قد عوفى فلان بعدك وخرج أحسن مما كان ، وقلت فيه بيتين ، وغنت زرياب فيهما رملا ظريفا فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناء ، فقلت : يتفضل الأمير ـ أيده الله ! ـ بإنشادى إياهما ، فأنشدنى [من السريع] :

بى قمرٌ جدِّرَ لما استوى فَزَادهُ حُسناً وزالت هُمُومْ
أظنُّهُ غَنَّى لشمس الضُّحى فَنَقطَتْهُ طرباً بالنجومْ

فقلت : أحسنت والله أيها الأمير ، فقال : لو سمعته من زرياب كنت أشد استحساناً له ، وخرجت زرياب فغنته لنا فى طريقة الرمل غناء شربنا عليه عامة يومنا .

قال : وغضب هذا الغلام عليه ، فجهد أن يترضاه ، فلم تكن له فيه حيلة ، ودخلتُ عليه فأنشدنى فيه [من مجزوء الخفيف] :

---

(١) سماها فى الأغانى باسمها فقال « وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها » وأظن أن اسمها « بشر » كما ورد فى شعره ، وانظر (ص ٣٧ من هذا الجزء)

بأبى أنتَ قد تمَا دَيتَ فى الهجْر والغضَبْ
واصْطبارى على صدُو دِكَ يوماً من العجَبْ
ليسَ لى إن فقَدْت وجـــهكَ فى العَيْش من أرَبْ
رحمَ الله من أعا ن على الصُلْح واحتَسبْ

قال : فمضيت إلى الغلام ، ولم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته له وجئته به ، فمر لنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه وغنتنا زرياب [١] فى هذا الشعر رملا عجيباً .

وحدث عبد الله بن موسى الكاتب ، قال: دخلت على عبد الله بن المعتز وفى داره طبقات من الصناع [٢] وهو يبنيها ويبيضها ، فقلت له : ما هذه الغرامة الجادة [٣] والكلفة ؟ فقال : السيل الذى جاء من ليالٍ أحدثَ فى دارى ما أحوج إلى هذه الغرامة الجادة[٣] والكلفة ، فقلت [٤] [من المتقارب] :

ألا من لنفسٍ وأحزانها ودارٍ تداعَى بحيطانها [٥]
أظلُّ نهارىَ فى شمسها شقَياً معنًّى ببنْيانها
أسوِّدِ وجهى بتَبييضها وأهدمُ كيسى بعُمرانها [٦]

---

(١) فى الأغانى «وغنتنا هزار» وهو فى بعض أصول مطبوعة بولاق
(٢) فى مطبوعة بولاق «طبقات من الصاع» وهو تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى
(٣) فى الأغانى «ما هذه الغرامة الحادثة»
(٤) فى الأغانى «وقال» والأبيات لابن المعتز ، وهى فى ديوانه (٢٨٤)
(٥) فى الديوان «ودار تداعت»
(٦) فى الديوان «لتبييضها» وفيه «لعمرانها» وفى الديوان بيت بين هذا والذى قبله وهو قوله :

ولا أحد من ذوى قربتى يساعدنى عنـد إتيـانها

ومن هنا أخذ أبو الحسين الجزار قوله [من الطويل] :

أُكلِّفُ نفسى كلَّ يوم وليلةٍ شروراً على من لا أفوز بخيره

كما سَوَّدَ القصَّار فى الشمس وجهَهُ ليَجْهَدَ فى تَبْييض أثواب غيره

وحدث جعفر بن قدامة قال : كنت عند عبد الله بن المعتز ، ومعنا النميرى ، فحضرت الصلاة ، فقام النميرى فصلى صلاة خفيفة جداً ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدة طويلة جدا حتى استثقله جميع من حضر بسببها ، وعبد الله ينظر متعجبا ، ثم قال [من المتقارب] :

صَلاتُكَ بين المَلا نَقْرَةٌ كما اخْتَلس الجرْعَةَ الوالغُ

وتسجدُ من بعْدِها سجْدَةً كما خُتِمَ المزودُ الفارغ

وقال : كنا عند عبد الله بن المعتز يوما ، ومعنا النميرى ، وعنده جارية لبعض بنات المعتز تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها كانت فى غاية القبح ، فجعل عبدالله يجمشها ويتعاشق ، فلما قامت قال له النميرى : أيها الأمير ، سألتك بالله أتعشق هذه التى ما رأيت قط أقبح منها ؟ فقال وهو يضحك [من السريع] :

قَلبىَ وثَّابٌ إلى ذا وذا ليسَ يرى شيئاً فيأباهُ

يهيمُ بالحسن كما ينبغى ويرْحَم القبحَ فيهواهُ

وقال : كنت أشرب مع عبد الله بن المعتز فى يوم من أيام الربيع بالعباسية والدنيا كالجنة المزخرفة فقال عبد الله [من مجزوء الرمل] :

حبَّذا آذارُ شَهراً فيهِ للنور انتِشارُ

يَنقص الليلُ إذا حَلّ ويمتَدُّ النهارُ[1]

---

(١) فى الأغانى « ينقص الليل إذا جاء »

وعلى الأرض اصفرارٌ واخضرارٌ واحمرارُ
فكأنَّ الرَّوضَ وشىٌ بالغَتْ فيه التِّجَارُ
نَقْشُه آسٌ ونَسْرينٌ ووَرْدٌ وبهارُ

وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على شرطة بغداد [من الطويل] :

فَرِحْتُ بما أضعَافُهُ دون قَدْرِكُمْ وقلتُ عَسى قدهَبَّ من نومه الدهرُ
فترجعُ فينا دَولةٌ طاهِرِيَّةٌ كما بدَأت والأمرُ من بعده الأمرُ
عسى الله إنَّ اللهَ ليسَ بغافِلٍ ولا بدَّ من يُسْرٍ إذا ما انتهى العُسْرُ

فكتب إليه عبيد الله قصيدة منها [من الطويل] :

ونحن لكم إن نالنا مَسُّ جفْوةٍ فمنَّا على لأوائها الصَّبْرُ والعُذْرُ
فإن رَجَعَت من نعمةِ الله دَولَةٌ إلينا فمنا عندَها الحمد والشكرُ

وجاء محمد بن عبيد الله المذكور بعقب هذا شاكراً لتهنئته ، ولم يعد إليه مدة طويلة ، فكتب إليه ابن المعتز يقول [من المنسرح] :

قد جئتنا مرة ولم تكد ولم تزُرْ بعدَها ولم تَعُدِ
لست ترَى واجداً بنا عِوضاً فاطلب وجَرِّبْ واستقص واجتهِدِ
ناوَلْتِنِي حبلَ وصلِهِ بيَدٍ وهجْرُهُ جاذبٌ له بيَدِ
فلم يكن بينَ ذا وذا أمَدٌ إلا كما بين ليلةٍ وغَدِ

ولم يزل فى طيب عيش ودَعَة من عوادى الزمان إلى أن قامت الدولة ووثبوا على المقتدر وخلعوه ، وأقاموا ابن المعتز ، فقال : بشرط أن لا يقتل بسببى مسلم ، ولقبوه « المرتضى بالله » وقيل « المنصف » وقيل « الغالب » وقيل « الراضى » فحدث المعافى بن زكريا الجريرى قال : لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز

دخلوا على شيخنا محمد بن جرير رحمه الله ، فقال : ما الخبر ؟ فقيل له : بويع ابن المعتز ، قال : فمن رشح للوزارة ؟ فقيل : محمد بن داود ، قال : فمن ذكر للقضاء ؟ قيل : الحسن بن المثنى ، فأطرق ثم قال : هذا الأمر لا يتم ، قيل : وكيف ؟ قال : كل واحد ممن سميتم متقدم فى معناه ، عَلِىُّ الرتبة ، والدنيا مولية ، والزمان مدبر ، وما أرى هذا إلا لاضمحلال ، وما أرى لمدته طولا .

وبعث ابن المعتز إلى المقتدر يأمره بالتحول إلى دار محمد بن طاهر ، لكى ينتقل هو إلى دار الخلافة ، فأجاب ، ولم يكن بقى معه غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب خاله وجماعة من الخدم ، فباكر الحسين بن حمدان دار الخلافة فقاتلها ، فاجتمع الخدم فدفعوه عنها بعد أن حمل ما قدر عليه من المال وسار إلى الموصل ، ثم قال الذين عند المقتدر : ياقوم نُسلِّم هذا الأمر ، ولا نجرب أنفسنا فى دفع مانزل بنا ، فنزلوا فى الزوارق ، وألبسوا جماعة منهم السلاح ، وقصدوا المخرم وبه عبد الله بن المعتز ، فلما رآهم مَنْ حوله أوقع الله فى قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا حرب ، وخرج ابن المعتز فركب فرساً ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يمن ، وقد شهر سيفه وهو ينادى : معاشر العامة ادعوا لخليفتكم ، وأشاروا إلى الجيش ليتبعوهم إلى سامرا ليثبتوا أمرهم ، فلم يتبعهم أحد ، فنزل ابن المعتز عن دابته ودخل دار ابن الجصاص الجوهرى ، واختفى الوزير ابن داود والقاضى الحسن بن المثنى ، ونُهبت دورهم ، ووقع النهب والقتل فى بغداد ، وقبض المقتدر على الأمراء والقضاة الذين خلعوه ، وسلمهم إلى مؤنس الخازن ، فقتلهم ، واستقام الأمر للمقتدر ، واستوزر ابن الفرات ، ثم بعث جماعة فكبسوا دار ابن الجصاص وأخذوا ابن المعتز وابن الجصاص ، فصودر ابن الجصاص ، وحبس ابن المعتز ، ثم أخرج فيما بعدُ ميتا ، ورثاه على بن محمد بن بسام بقوله [من البسيط] :

لِلّهِ دَرُّكَ من مَلْكٍ بمضيعة ناهيكَ فى العقل والآداب والحسبِ

حرفة الأدب

ما فيه لَوٌّ ، لا ، ولا ليتٌ تنقصهُ   وإنما أدركتهُ حرفةُ الأدبِ

وهو مأخوذ من قول أبى تمام الطائى [من البسيط] :

ما زلتُ أرمى بآمالى مطالبها   لم يخلقِ العرضَ منى سوء مُطَّلَبِ

إذا قصدتُ لشأوٍ خِلتُ أنى قدْ   أدركته أدركتنى حرفة الأدب

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى ، فقال ابن الساعاتى [من البسيط] :

عِفتُ القريضَ فلا أسمو له أبداً   حتى لقد عِفتُ أن أرويه فى الكتب

هجرْتُ نظمى لهُ لاَ من مهانتهِ   لكنها خيفةٌ من حرفةِ الأدَبِ

وقال ابن قلاقس [من البسيط] :

لا أقتضيكَ لتقديمٍ وعدْتَ بهِ   من عادَةِ الغيث أن يأتى بلا طلبِ

عيونُ جاهكَ عنى غيرُ نائمةٍ   وإنما أنا أخشى حرْفةَ الأدبِ

وذكرتُ بهذا ما أنشدنيه بعض أدباء العصر متسليا ، حين قعدت الأحوال ، وقامت الأهوال ، وهو الشهاب ابن محمود النابلسى ، رحمه الله تعالى [من المجتث] :

عبدَ الرّحيم أضاعُوا   بدَولة ضَـيَّعَتْهُ

ما فيه لوٌّ ولا ليـ   ـتٌ إنما أدْرَكَتْهُ (١)

رجع إلى أخبار ابن المعتز رحمه الله .

قال بعض من كان يخدمه : إنه خرج يوماً يتنزه ومعه ندماؤه ، وقصد باب الحديد ، وبستان الناعورة ، وكان ذلك آخر أيامه ، فأخذ خَزَفَةً ، وكتب على الجص [من المجتث] :

---

(١) فى الأصول « مافيه لولا وليت وإنما » محرفا عما أثبتناه

سَقياً لِظلِّ زَمانى ... ودهرىَ المحمودِ
وَلّى كليلةِ وصلٍ ... قدّامَ يومِ صُدُود

قال: وضرب الدهر ضرباته، ثم عُدْت بعد قتله، فوجدتُ خطه خفياً، ونحته مكتوب [من المجتث]:

أفٍّ لظلِّ زَمانى ... وعيشىَ المنكودِ
فارَقتُ أهلى وإلفى ... وصاحبى ووَدُودى
ومن هَويتُ جفانى ... مطاوعاً لِحسودى
يا ربِّ موتاً وإلا ... فراحةً من صُدُودِ

ويقال: إنه لما سلم لمؤنس الخادم ليهلكه أنشد[1] [من البسيط]:

يا نفسُ صبراً لعل الخيرَ عقباكِ ... خانتك من بعد طول الأمن دنياكِ
مرّتْ بنا سحَراً طيرٌ فقلتُ لها: ... طُوباكِ يا ليتنى إياكِ طوباكِ
إن كان َقصْدُكِ شوقاً بالسلام عَلىَ ... شاطى الفرات ابلغى إن كان مثواكِ
مِنْ موثَقٍ بالمنايا لا فكاكَ لهُ ... يبكى الدماء على إلفٍ له باكى

إلى أن قال:

أظنهُ آخرَ الأيام من عُمُرِى ... وأوشكَ اليوم أن يبكى له الباكى

ومن نثره الجارى مجرى الحكم والأمثال: من تجاوز الكفاف لم يغنه الإكثار. ربما أوردَ الطمع ولم يصدر. من ارتحل الحرص[2] أضناه الطلب[3].

---

(١) فى الديوان (٣٣٩) بيتان أولهما أول هذه الأبيات وثانيهما:
لكن هو الدهر لقياه على حذر ... فرب حارس نفس تحت أشراك

(٢) ارتحله: اتخذه راحله يركبها فى سيره، والمراد من اتخذ الحرص وسيلة إلى أغراضه

(٣) أضناه: أورثه الضنى، يريد أتعبه

الحظ يأتى من لايأتيه . أشق الناس أقربهم من السلطان كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها إلى الاحتراق . من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة . يكفيك للحاسد غمه بسرورك .

ومن شعره [1] [من الطويل] :

وإنى لمعذورٌ على طولِ حبها لأن لهَا وجهاً يدلّ على عُذْرِى
إذا ما بدَتْ والبدرُ ليلةَ تِمهِ رأيتَ لها فضلا مبيناً على البدرِ
وتهتز من تحت الثياب كأنها قضيبٌ من الريحان فى الورق الخضرِ
أبى الله إلا أن أموت صبابةً بساحرةِ العينين طيبةِ النشْرِ

ومنه [من السريع] :

من لى بقَلبٍ صيغَ من صخرةٍ فى جسدٍ من لؤلؤٍ رَطْبِ
جرحتُ خديه بلحظى فما برحتُ حتى اقتص من قلبى

ومنه ، و يعزى لغيره [من المتقارب] :

تفقدْ مساقط لحظ المريبِ فإن العيونَ وجوه القلوبِ
وطالعْ بوادرهُ فى الكلام فإنكَ تجنى ثمار الغيوب

ومنه [من السريع] :

سابقْ إلى مالكَ وُرّاثهُ ما المرء فى الدنيا بلَبّاثِ
كمْ صامتٍ تخفقُ أكياسهُ قدْ صاحَ فى ميزان ميراثِ

ومنه [من البسيط] :

ياطارقى فى الدُّجى والليلُ منبسطُ على البلاد بهيم ثابتُ الدّعَمِ
طرقتَ بابَ غنيٍّ طابتْ مواردهُ ونائلا كانهمال العارض السجم

---

(١) هذه الأبيات لاتوجد فى ديوانه المطبوع

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذُ من   حكم الخلائف آبائى على الأمم
فكل ما فيه مبذولٌ لطارقهِ   ولا زمام لهُ إلا على الحرمِ

ومنه قوله فى القلم [من الخفيف] :

أبيات فى وصف القلم

قلم ما أراهُ أم فَلَكٌ يجـ   ـرى بما شاء قاسمٌ ويسيرُ
راكعٌ ساجدٌ يقبل قرطا   ساً كاقبل البساطَ شكُورُ

ومنه قول ابن طباطبا [من الكامل] :

قلمٌ يدورُ بكفه فكأنهُ   فَلكٌ يَدورُ بنحسِهِ وسُعوده

وقوله فيه أيضا ، وأجاد [من الكامل] :

أقسَمْتُ بالقَلَمِ الحسام فَلَمْ يزلْ   يَرْدَى به حَيٌّ ويَنْتَاش الرَّدِى
وإذا رَضيتَ فريقُهُ أرْبى وإن   أضْمَرت سُخطا مجَّ سم الأسْوَدِ
فكأنه فلك بكفك دائرٌ   يُجرى النجوم بأنحُسٍ وبأسعُدِ

وما أحسن قول الآخر فيه [من الكامل] :

قلم يفل الجيش وهو عرمْرَمٌ   والبيض ما سُلَّت من الأغماد
وهبت له الآجامُ حين نشا بها   كرمَ السيول وصولةَ الآساد

وقول التهامى فيه أيضا [من الكامل] :

قلم يقـلِّم ظُفْرَ كل ملمـةٍ   ويكفّ كفَّ حوادث الأيام

وقول أبى سعيد بن بوقة [من الكامل] :

قلم يمجُّ على العداة سمامهُ   لكنه للمرتجين سماه
كم قد أسَلتَ به لعبدك ريقةً   سوداء فيها نعمةٌ بيضاء

ومحاسن ابن المعتز كثيرة ، وكان قتلُه فى ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين ، رحمه الله وسامحه !!

* * *

٨٠ — * يقْمِي جلوسَ البَدَوِيِّ المصْطَلِي *

قائله المتنبي ، من أرجوزة [١] قالها ارتجالا فى مجلسه يصف كلبا أخذ ظبيا وحده بغير صقر ، وأولها :

ومنزل ليسَ لنا بمنزل ولا لِغَيرِ الغَادياتِ الهُطَّلِ [٢]
نَدِى الخزامىَ ذَفِرِ القَرَنفُلِ مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشِ لم يحَلَّلِ
عَنَّ لنا فيه مرَاعِى مُغْزِلِ مُحَيِّنُ النفس بعيدُ المَوْئِلِ [٣]
أغْناهُ حسن الجيد عن لبس الحلى وعادَةُ العُرْىِ عن التفضُّلِ
كأنهُ مُضَمَّخٌ بصَنْدَلِ معترضا بمثلِ قَرْنِ الأيِّلِ
يحول بين الكلبِ والتأمُّلِ فحلَّ كَلاَّبِى وَثَاقَ الأحْبُلِ
عنْ أشدقٍ مُسَوْجَرٍ مُسلسلٍ أقبَّ ساطٍ شَرِسٍ شمَرْدَلِ [٤]
منها إذا يُثْغَ له لا يغزل مؤجَّد الفِقْرَةِ رخو المفصل [٥]
له إذا أدبر لحظُ المقبِلِ يعدو إذا أحزن عَدْوَ المُسْهِلِ

* إذا تلاَ جاء المدَى وقدْ تُلِي *

و بعده البيت ، و بعده :

---

(١) اقرأها فى الديوان (٣ – ٢٠١)

(٢) الغاديات : السحب ، والهطل : جمع هاطلة ، وهي الكثيرة الماء .

(٣) أراد بالمراعى الظبى ، والمغزل : التى معها غزالها ، ومحين النفس : هالك

(٤) الأشدق : الواسع الشدق ، والمسوجر : الذى فى رقبته ساجور ، والمسلسل : الذى فى رقبته سلسلة . والأقب : الضامر البطن ، والساطى : الذى يسطو على الصيد .

(٥) مأخوذ من الثغاء ، وهو الصياح ، ولا يغزل : لايتلهف ولايتحير .

بأربع مجدولة لم تجدل … فتل الأيادى ربذات الأرجل
آثارها أمثالها فى الجندل … يكاد فى الوثب من التفتل
يجمع بين متنه والكلكل … وبين أعلاه وبين الأسفل

وهى طويلة

والإقعاء : الجلوس على الأليتين ، والمصطلى : المتدفىء بالنار .

والشاهد فيه : وقوع التركيب فى هيئة السكون لوجه الشبه من الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب فى إقعائه ، فإنه يكون لكل عضو منه موقع خاص ، والمجموع صورة خاصة ، مؤلفة من تلك المواقع ؛ وكذلك صورة جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار الموقدة على الأرض .

أبيات فى وصف للمصلوب

وفى مثل ذلك قول الأخيطل الأهوازى يصف[1] مصلوباً [من البسيط]:

كأنه عاشق قد مد صفحته … يوم الفراق إلى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته … مواصل لتمطيه من الكسل

شبهه بالمتمطى المواصل لتمطيه مع التعرض لسببه ، وهو اللوثة والكسل ، فنظر إلى الجهات الثلاث ، فلطف بحسب التركيب والتفصيل ؛ بخلاف تشبيهه بالمتمطى ، فإنه قريب التناول ، يقع فى نفس الرائى للمصلوب ، لكونه أمراً جلياً .

وقد أحسن ابن الرومى فى وصف المصلوب[2] بقوله [من الطويل] :

كأن له فى الجو حبلاً يبوعه … إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل
يعانق أنفاس الرياح مودعاً … وداع رحيل لا يحط له رحل

(١) أنشدهما الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (١٦٣) بدون نسبة
(٢) أنشدهما الشيخ في أسرار البلاغة (١٦٤) منسوبين لابن الرومى أيضا

وللبحترى فيه [من الكامل] :

فتراهُ مطرداً على أعوادهِ مثلَ اطرادِ كواكبِ الجوزاء
مستشرفاً للشمس منتصباً لها فى أخريات الجذعِ كالحِرْباءِ

ولابن المعتز فيه [من الوافر] :

أرَانيكَ الالهُ قرينَ جذعٍ يضمكَ غيرَ ضم الالتزام
كلوطِىٍّ لهُ أيرٌ طويلٌ يفخذ للمواجر من قيامِ

ولابراهيم بن المهدى فيه [من البسيط] :

كأنه شِلوُ كبشٍ والهجيرُ لهُ تنُّورُ شاويةٍ والجذعُ سَفُّودُ

ولابن حمديس فيه [من الطويل] :

ومرتفعٍ فى الجذعِ إذ حُطَّ قدرهُ أساء إليـه ظالمٌ وهو محسنُ
كذى غرَقٍ مدَّ الذراعين سابحاً من الجوِّ بحراً عومهُ ليس يمكنُ
وتحسبهُ من جنـة الخلد دانيـاً يعانقُ حوراً لا تراهنَّ أعـينُ

وما أحسن قول ابن الأنبـارى فى ابن بقيـة (١) الوزير لمـا صلب من أبيات [من الوافر] :

كأنَّ الناسَ حولكَ حينَ قاموا وُفودُ يديكَ أيامَ الصِّلاتِ
كأنكَ قائمٌ فيهمْ خطيباً وكلُّهمُ قيـامٌ للصـلاة

وقد أخذ معنى البيت الأول من قول ابن المعتز [من الطويل] :

وصلَّوْا عليهِ خاشعين كأنهمْ وُفُودٌ وُقوفٌ للسلام عليهِ

---

(١) أنشـد الشيخ عبد القـاهر ستة عشر بيتا من هذه المرثية فيها هذان البيتان ، فى أسرار البلاغة (٣٠٠)

ولعمر الخراط فيه [من الكامل] :

انظرْ إليهِ كأنه فى وصفهِ مُتظلم لَحَظَ السماء بطرفهِ
بسطَ اليدين كأنهُ يدعُو على من قد أشارَ على الأمير بحتفهِ

وللفقيه عمارة اليمنى فيه [من الوافر] :

ومَدَّ على صَليبِ الصَّلْبِ منـهُ يميناً لا تَطولُ إلى شمالِ
ونـكَّسَ رأسَهُ لعتـابِ قَلْب دَعاهُ إلى الغَوايةِ والضَّلالِ

ومن العجيب أنه صلب بعد قوله هذا بقليل ، صلبه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فـكانت هذه الـكلمات كالفأل عليه ، وله فى معنـاه أيضاً [من الـكامل] :

ورأت يَدَاهُ عظيمَ ما جَنَتا فَفَرَرنَ ذى شَرْقاً وذى غَرْبا
وأمالَ نحوَ الصدرِ منهُ فماً ليَلومَ فى أفْعَالِهِ القَلْبـا

* * *

٨١ — كما أبْرَقتْ قَوْماً عِطَاشاً غَمَامَةٌ فلمَّا رَأوْهَا أقْشَعَتْ وَتجلَّتِ

شاهد المركب العقلى المنتزع من متعدد

البيت من الطويل ، ولا أعرف قائله (١) .

والمعنى : أبرقت الغمامة للقوم ، فحذف الجار وأوصل الفعل ، ومعنى أقشعت وتجلت : تفرقت وانكشفت .

والشاهد فيه : المركب العقلى من وجه الشبه ، وأنه قد ينتزع من متعـدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر ، كما إذا انتزع وجه الشبه من الشطر الأول من البيت ، فانه يكون خطأ لوجوب انتزاعه من جميعه ، فان المراد تشبيه الحـالة

---

(١) أنشده الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٨٨ الطبعة الثالثة)

المذكورة فى الأبيات السابقة على هذا البيت بظهور الغمامة لقوم عِطاشٍ ثم تفرقها وانكشافها بواسطة اتصال مُطْمِع بانتهاء موئس ، لأن البيت مثل فى أن يظهر للمضطر إلى الشيء الشديد الحاجة إليه أمارة وجوده ثم يفوته ويبقى تحسره وزيادة ترجيه .

وفى معناه قول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

وشِمْنُكَ إذ أقبلت فى عارض الغِنَى فأقْلَعْتَ لم تَنْبِض بِرِىٍّ ولا مَحْلِ

أبيات فى وصف السحاب الذى لا يعقبه المطر

وقول بشار بن برد [من الطويل] :

أظَلَّتْ علينا منكَ يوماً سَحابةٌ أضاءت لنا برقاً وأبطَا رَشاشُها

فلا غَيْمُها يُجْلى فييأسَ طامعٌ ولا غيثُها يأتى فَيَرْوَى عِطاشُها

وقوله [من الوافر] :

لمَرْوانٍ مَوَاعدُ كاذباتٌ كما برق الحياء وما اسْتَهَلاّ

والأصل فيه قول الأحوص [من الطويل] :

وكنْتُ وما أمَّلْتُ منكَ كَبارقٍ لوى قَطرُهُ من بعد ما كان غَيَّما

وما أحسن قول بعضهم [من الطويل] :

ألا إنما الدنيـا كَظِلّ غَمَامَةٍ إذا ما رَجاها المستَظِلُّ اضمَحَلَّتِ

فلا تكُ مِفْرَاحاً إذا هى أقْبلَتْ ولا تك مِحْزاناً إذا ما توَلَّتِ

ولابن الطراوة النحوى فى معنى البيت وقد خرجوا ليستسقوا على إثر قحط فى يوم غامتْ سماؤه فزال ذلك عند خروجهم [من الكامل] :

خَرَجوا ليَسْتَسْقُوا وقد نَشأت بَحْرِيَّةٌ قَمِنٌ بها السَّحُّ

حتى إذا اصطَفُّوا لدعوتهم وبدا لأعينُهم بهـا نَضْحُ

كُشِفَ الغمامُ إجابةً لهمُ فكأنهم خرجوا ليَسْتَصحوا

وقد سبقه إلى ذلك أبو على المحسن التنوخى فقال [من الطويل] :

خرجنا لنستسقى بيُمْن دُعائه وقد كادهُدْبُ الغيم أن يلبس الأرضا
فلما بدا يدعو تَقَشَّعت السما فما تم إلا والغمامُ قد ارْفضّا

ومنه قول بعضهم [من الكامل] :

لما بدا وجهُ السماء لهمْ مُتَجهِّماً لم يُبْدِ أنوَاء
قاموا ليَستسقوا الالهَ لهم غَيْثاً فلم يَسقيهم الماء[1]

***

٨٢ — فان تَفُقِ الأنامَ وأنتَ مِنهُمْ فانَّ المسْكَ بَعْضُ دَمِ الغزَالِ

شاهد إمكان وجود المشبه

البيت لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة[2] من الوافر ، يرثى بها والدة سيف الدولة بن حمدان ، أولها :

نُعِدُّ المشْرَفيَّةَ والعَوالى وتَقْتلنا المنُونُ بلا قِتَالِ
ونرْتَبطُ السَّوابِقَ مُقرَبَاتٍ وما يُنْجينَ من خَبَبِ الليالى

وهى طويلة ، وقبل البيت قوله يخاطب سيف الدولة :

رَأيتُكَ فى الذين أرى مُلوكا كأنكَ مُستقيمٌ فى مُحَالِ

حكى أن المتنبى قيل له : إن المحال لا يطابق الاستقامة ، ولكن القافية ألجأتك إلى ذلك ، فلو فرض أنك قلت « كأنك مستقيم فى اعوجاج » كيف كنت تصنع فى الثانى ؟ فقال ولم يتوقف « فان البيض بعض دم الدجاج » فاستحسن هذا من بديهته .

والشاهد فيه : بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود ، وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالَفَ فيه ويُدَّعى امتناعه ، فانه أراد أن يقول : إن الممدوح

(١) كذا ، وفيه أنه أثبت حرف العلة مع وجود عامل الجزم ، وله نظائر فى العربية

(٢) اقرأها فى الديوان (٣ — ٧)

قد فاق الناس ، بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابهة بوجه ، بل صار أصلا برأسه وجنسا بمفرده ، وهذا فى الظاهر كالممتنع ، لاستبعاد أن تتناهى بعض آحاد النوع فى الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس منها ، فاحتج لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبه حاله بحال المسك الذى هو من الدماء ثم إنه لا يعد منها لما فيه من الأوصاف الشريفة التى لا توجد فى الدم ، ويسمى مثل هذا تشبيها ضمنيا أو مكنيا عنه ، لدلالة البيت عليه ضمنا ،

وقد أحسن السراج الوراق تضمينه بقوله [من الوافر] :

أبيات فى معنى اتفراد الشىء عن جنسه بفضيلة

وأصْيَدَ ظلَّ يدركُ يومَ صَيْدٍ طَرَائدَهُ بجُردٍ كالسَّعَالى
فان عَبَقَتْ لنا يمناهُ مِسْكا فان المسكَ بعضُ دم الغزَالِ

والشهاب ابن بنت الأعز بقوله [من الوافر] :

وقالوا بالعِذَارِ تَسَلَّ عنه وما أنا عن غزالِ الحسْنِ سَالى
وإنْ أبْدَتْ لنا خَدَّاهُ مسكا فان المسك بعض دم الغزال

ويشبه قول أبى الطيب المتنبى هنا فى سيف الدولة قوله فى عضد الدولة [من الوافر] :

ولولا كَونكم فى الناسِ كانوا هُرَاءً كالكلام بلا معانِ[١]

ومثله قول يحيى بن بقى [من البسيط] :

هل يَسْتَوِى الناس قالوا كلُّنا بَشَرٌ فالمنْدَلُ الرطبُ والطرفاء أعْوَادُ

وللغزى فى مثله [من المتقارب] :

فلاَ غروَ إن كنتَ بعضَ الورَى فإنّ اليلَنْجُوجَ بعضُ الحطَبْ

---

(١) فى الأصل « هذاء كالكلام بلا معان » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان (٤ - ٢٦٢) والهراء - بزنة الغراب - الفاسد من الكلام

ومنه قول خلف بن عبد العزيز النحوى [من الكامل] :

ما أنتَ بعضَ الناس إلاَّ مثل ما بعضُ الحصا الياقوتةُ الحمراء

وللحصرى فيه [من الطويل] :

أبا بكرٍ ان أصبحت بعضَ ملوكهم فإن الليالى بعضها ليلةُ القدرِ

ومثله قول ابن قلاقس. وأجاد [من الكامل] :

أنشرْتَ من آبائك الصيدِ الأولى ذكراً لسانُ الدهر ناشرُ نَشْرِه

كرُمُوا فزدتَ عليهمُ فكأنهمْ شهرُ الصيام وأنتَ ليلةُ قدرِه

ومثله قول التهامى [من الطويل] :

لقدْ شرّفَ الرحمنُ قدرَكَ فى الورى كما فى الليالى شُرِّفَتْ ليلةُ القدرِ

وإن كنتَ من جنس البرايا وفقتهمْ فللمسك نشرٌ ليس يوجَدُ فى العطرِ

وما أحسن قول شيخ الشيوخ رحمه الله [من البسيط] :

فَاقَتْ بيوسفها الدنيا وفاحَ لها طيبٌ طوى المسكَ من نشرها أرجِ

فان يُشارِكْهُ فى اسم الملك طائفةٌ فان شمس الضحى من جملة السُّرُجِ

ومثلهُ قول عبد الصمد بن بابك [من الطويل] :

تقاعسَ عنكَ الفاخرون فأحجموا وخيلُ المغانى غيرُ خيل المواكبِ

فان زَعمَ الأملاكُ أنَّكَ منهمُ فَخاراً فان الشمس بعضُ الكواكب

ومن البديع فى معناه قول ابن شرف القيروانى [من الكامل] :

ملكَ الورى آثار فضلكَ فانثنى متكلف عن مسلكٍ مطبوعِ

أبناء جنسكَ فى الحلى لا فى العلاَ وأقولُ قولاً ليسَ بالمدفوعِ

أبداً ترى البيتين يختلفان فى الـــمعنىَ ويتفقان فى التقطيعِ

وفي مقلوب معنى البيت قول الصاحب بن عباد يهجو [من الوافر] :

أبوكَ أبو عليّ ذُو اعتلاء إذا عُدَّ الكِرَامُ وأنتَ نَجْلُهْ
وإن أباكَ إذ تُعْزَى إليـه لـكالطَّاووس تقبُحُ منهُ رجلُهْ

* * *

شاهد ندرة حضور المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه

٨٣ — ولاَ زَوَرْدِيةٍ تزهو برُزْقتِها وسْطَ الرياض على حُمْرِ اليواقيت
كأنها وضعافُ القُضْبِ تحملها أوائلُ النار فى أطراف كبريتِ (١)

البيتان لابن الرومى يصف البنفسج ، وقبلهما :

بنفسجٌ جُمِعَتْ أوْرَاقُهُ فحكَى كُحلاً تَشَرَّبَ دَمعاً يوم تشتيتِ

وهى من قصيدة من البسيط : (٢)

والشاهد فيهما : كون المشبه به نادر الحضور فى الذهن عند حضور المشبه فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت يندر حضورها فى الذهن عند حضور صورة البنفسج ، فيُستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد فانه أراكَ شبها لنبات غَضّ يرفّ ، وأوراق رطبة من لهب نار ، استولى عليه اليبس ، ومبنى الطبائع على أن الشىء إذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان ميل النفوس إليه أكثر ، وهى بالشغف به أجدر .

وهذان البيتان من نادر التشبيه وغريبه ، وليس يَمْدِلهما إلا قول النميرى [من البسيط] :

---

(١) الذى فى نسخ التلخيص

كـأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار فى أطراف كبريت

(٢) لا توجد فى ديوانه المطبوع كلمة على هذا الوزن والروى

بنفسجٌ بذكيِّ المسك مخصوصُ ما فى زمانكَ إن وافاكَ تنغيص
كأنما شُعَلُ الكبريت منظرهُ أوخدُّ أغيدَ بالتخميش مقروصُ

وقول الآخر [من الكامل] :

ما زلتُ من شغفى ألمُ كفها وذراعها بالقَرْص والآثارِ
حتى جعلتُ أديمَها وكأنما غُرِسَ البنفسجُ فى نقَا الجمارِ

وقد لطف ابن كيغلغ فى استعارة المعنى ، فقال [من الكامل] :

لما التقينا للوداعِ وأعربَتْ عبراتُنا عنا بدمعٍ ناطقِ
فرّقنَ بينَ محاجرٍ ومعاجرٍ وجمعنَ بينَ بنفسجٍ وشقائق

واستعاره أبو تمام فى قوله [من الوافر] :

لها من لوعة البينِ التدامٌ يُعيدُ بنفسجاً وردَ الخدودِ

وقوله « التدام » مما أخذ عليه به فى جملة ما أخذ .

* * *

٨٤ — وبَدَا الصباحُ كأنّ غُرّتهُ وَجهُ الخليفة حين يُمتدحُ

شاهد التشبيه المقلوب

البيت لمحمد بن وهيب الحميرى ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها المأمون ، أولها :

العذرُ إن أنصفتَ متضحُ وشهودُ حبكَ أدمعٌ سفحُ(٢)

---

(١) اقرأ كل ما أورده المؤلف من أبيات هذه القصيدة فى الأغانى (١٧ – ١٤٨ بولاق)

(٢) فى الأغانى « وشهيد حبك »

وإذا تكامت العيونُ علىَ إعْجامها فالسرُّ مفتضحُ
فضحتْ ضميرَكَ عن ودائعهِ إن الجفون نواطقٌ فُصُحُ(١)
رُبَّمَا أبيتُ مُعانق قمرٌ للحسن فيه مخايلٌ تَضِحُ(٢)
نشرَ الجمالُ على محاسنهِ بِدَعاً وأذهبَ همَّهُ الفرحُ
يختالُ فى حُلَلِ الشباب، بهِ مَرَحٌ وَدَاؤُكَ أنهُ مَرِحُ
مازَالَ يُلثمنى مَرَاشِفهُ ويعلّنى الإبريقُ والقدحُ
حتى استردَّ الليلُ خلعتَهُ ونشا خلال سوادِهِ وَضَحُ

وبعده البيت، ثم إنه يقول فيها :

نشرَتْ بكَ الدُّنيا محاسنها وتزَينتْ بصفاتكَ المِدَحُ
وَكأنَّ ماقدغابَ عنكَ لهُ بإزاء طرفكَ عارضاً شَبَحُ(٣)
وإذا سَلِمْتَ فكلُّ حادثة جَلَلٌ، فلاَ بُؤْسٌ ولا تَرَحُ(٤)

والشاهد فى البيت : إيهام أن المشبه به أتمّ من المشبه(٥)، ويسمى التشبيه

---

(١) فى الأغانى « نواطق فضح »

(٢) فى الأصل « مهما أبيت » وفى الأغانى « وبما أبيت » وكلاهما محرف عما أثبتناه

(٣) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

وكأنما مذ غاب عنك له بازاء طرفك عارض سحح

وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٤) جلل هاهنا بمعنى هين يسير

(٥) الأصل فى كل تشبيه أن يكون المشبه به أتم فى وجه الشبه من المشبه وعلى ذلك فالعبارة غير وافية بأداء ما يريد المؤلف، والذى يريده هو أن الذى من حقه أن يكون مشبها وهو وجه الخليفة فى هذا البيت يراد إيهام أنه أتم فى وجه الشبه من الذى حقه أن يكون مشبها به وهو الصباح، فيعمد إلى قلب التشبيه بأن يجعل المشبه مشبها به والمشبه به مشبها

المقلوب ، فانه قصد إيهام أن وجهَ الخليفة أتمُّ من الصباح فى الوضوح والضياء ، وفى قوله « حين يمتدح » دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالاصغاء إليه والارتياح له ، وعلى كونه كاملا فى الكرم ، يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح .

وفى معناه قول البحتريّ [من الطويل] :

كأن سنَاها بالعَشِيِّ لصُبحها   تبَسُّمُ عيسى حين يلفظُ بالوعْدِ

وتقدم ذكر ابن وهيب فى شواهد المسند [1] .

* * *

شاهد الحكم بالتشابه

٨٥ ـ تَشَابَهَ دَمْعِي إذْ جَرَى وَمُدَامَتِى   فَمِنْ مِثْلِ مَافى الكأْسِ عَيْنِىَ تَسْكبُ

فوالله ماأدْرى أبالخمر أسْبَلَتْ   جُفُونِىَ أَمْ من عَبْرَتى كُنْتُ أشْرَبُ

البيتان لأبى إسحاق [2] الصابى ، من الطويل ، ورأيت فى اليتيمة البيت الأول بلفظ « تورد » بدل « تشابه » .

والشاهد فيهما : ترك التشبيه والعدول إلى الحكم بالتشابه ، ليكون كل واحد من الشيئين مشبها ومشبها به ، احترازا من ترجيح أحد المتساويين فى وجه الشبه ، فان الشاعر لما اعتقد التساوى بين الخمر والدمع ولم يعتقد أن أحدهما زائد فى الحمرة والآخر ناقص يلحق به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه .

وفى معناه قول الصاحب بن عباد [3] [من الكامل] :

---

(١) انظر ترجمته فى شرح الشاهد (رقم ٤٠ ص ٢١٥ ج ١)

(٢) انظرهما فى يتيمة الدهر فى ترجمة الصابى (٢ ـ ٢٣٣)

(٣) انظر هذين البيتين وثلاثة الأبيات بعدهما فى أثناء ترجمة الصاحب بن عباد من يتيمة الدهر (٣ ـ ٢٣٦)

رقَّ الزجاجُ ورَاقَتِ الخمرُ وتَشَابها فتشاكلَ الأمرُ[١]
فكأنما خمرٌ ولا قَدَحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

وقوله أيضاً من أبيات [من الكامل] :

مُتغايرات قد جمِعْنَ وكلُّها مُتشاكلٌ أشباحُها أرْواحُ
وإذا أردتَ مُصَرِّحاً تفسيرها فالرَّاحُ والمِصباحُ والتُّفاحُ
لم يَعلم السَّاقى وقد جُمِعنَ لى من أى هذى تملأ الأقداحُ[٢]

ومثله ما كتب به أبو الوليد بن زيدون إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية مع تفاح أهداه إليه [من مجزوء الكامل] :

يامن تزَيَّنت السيَّا دَةُ حين ألبسَ ثوبهَا
جاءتكَ جامِدَةُ المُدا م فخذ عليها ذَوْبهَا

وهو مأخوذ من قول الخليع [من السريع] :

الرَّاحُ تفاحٌ جرى ذائباً كذلك التُّفَّاحُ راحٌ جمَدْ
فاشْرَب على جامده ذَوْبَهُ ولا تَدَعْ لذة يوم لغَدْ

وللسرى الرفاء فى معناه [من المنسرح] :

وقد أضاءت نجومُ مجلسنا حتى اكتسى غُرَّةً وأوْضاحا
لو جمَدَتْ راحُنا اغتدت ذهباً أوذابَ تفاحنا اغتدى راحا

ولطاهر العتابى فى هذا المعنى [من الطويل] :

أيا ليلةً قد بت أهزمُ بردَها بجيشين من خمر عتيق ومن جَمْرِ

---

(١) فى اليتيمة « ورقت الخمر » وما هنا أحسن
(٢) فى اليتيمة « لو يعلم الساقى » وما هنا أحسن

فطوراً أظن الخمر من ذوب جمرها وطوراً أظن الجمر من جَمَد الخمر

والصابى (١) هو إبراهيم بن هلال بن هارون الحرانى (٢) . قال فى حقه أبومنصور الثعالبى : هو أوحد العراق فى البلاغة ، ومَنْ به تُثْنى الخناصر فى الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة فى الصناعة . وكان قد بلغ التسعين فى خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل، وحَلَب الدهرَ أشْطُرَه ، وذاق حلوه ومره ، ولابس خيره ومارس شره ، ورُئِس ورأس ، وخُدم وخَدم ، ومدحه شعراء العراق فى جملة الرؤساء ، وشاع ذكره فى الآفاق ، وَدون له من الكلام البهى النقى العلوى ما تناثرت درره وتكاثرت غرره ، وفيه يقول بعض أهل العصر [من الكامل] :

أصبحتُ مُشتاقاً حَليفَ صَبابةٍ برَسائلِ الصابى أبى إسحَاقِ

صَوبُ البلاغةِ والحلاوةِ والحِجَى ذَوْبُ البراعةِ سَلوةُ العُشاقِ

طَوْراً كما رَقَّ النسيمُ وتارةً يحكى لنا الأطواقَ فى الأعْنَاقِ

لا يَبْلُغ البُلغاء شأوَ مبرز كتبَتْ بدائعه على الأحْدَاقِ

ويقول أيضاً [من الكامل] :

يا بؤس من يُمْنَى بدمع ساجم يَهْمِى على حُجُبِ الفؤاد الواجم

لولا تعلّهُ بكأسٍ مُدَامَةٍ ورَسائل الصَّابى وشِعْر كُشَاجم

---

(١) للصابى ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢ ـ ٢١٨ مصر) وفى وفيات الأعيان لابن خلكان (١ ـ ٢٠ النيل بمصر)

(٢) هكذا وقع فى أصول هذا الكتاب موافقا لما فى يتيمة الدهر ، وفى ابن خلكان « هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حبون » وضبط زهرون ـ كعادته ـ بفتح الزاى وسكون الهاء ، وحبون بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة

ويحكى أن الخلفاء والملوك والوزراء راودوه(١) كثيراً على الاسلام ، وأداروه بكل حيلة وتمنية جميلة (٢) حتى إن السلطان بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم فلم يهده الله تعالى للاسلام ، كما هداه إلى محاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أوقع (٣) خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن الكريم حفظا يدور على طرف لسانه وسن قلمه ، وكان فى أيام شبابه واقتباله أحسنَ حالا وأرخى بالا منه فى أيام استكماله ، وفى زمن اكتهاله أورى زنداً وأسعد جَدًّا منه حين مَسَّه الكبر وأخذ منه الهرم ، ففى ذلك يقول من قصيدة فى فنها فريدة كتب بها إلى الصاحب يشكو بثه وحزنه ويستمطر سحابه ومُزْنه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء (٤) [من الكامل] :

عجباً لحظى إذ أراهُ مُصالحى عَصْرَ الشباب وفى المشيب مغاضبى
أمِنَ الغوانى كانَ حتى خاننى شيخاً وكانَ لدى الشبيبةِ صاحبى (٥)
أمَعَ التضعضع ملَّنِى متجنباً ومع الترعرع كان غير مجانبى
ياليت صَبْوَته إلىَّ تأخرت حتى تكون ذخيرةً لعواقبى

وكان المهلبي لا يرى الدنيا إلا به ، ويحن إلى براعته (٦) ، وتقدم قدمه ، ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه فى أوقات أنسه . فلما مات المهلبى ، وأبو إسحاق

---

(١) فى اليتيمة « أرادوه » وهى أوفق
(٢) فى اليتيمة «جليلة » وهى أدق
(٣) فى اليتيمة «أرفع خدمة »
(٤) فى الأصل « الاكاف » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٥) فى اليتيمة « حتى ملنى » وفيها « وكان على صباى مصاحبى »
(٦) في الأصل « ويجن على » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

يلى ديوان الرسائل والخلافة على ديوان الوزارة اعتقل فى جملة عمال المهلبى وأصحابه ، فمن قوله فى ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يأيها الرُّؤساء دعوةَ خادمٍ أوْفَتْ رَسائلُه على التعديدِ

أيجوزُ فى حكمِ المُروءةِ عندكمْ حبسى وطُول تهدُّدى ووعيدى

أنسيتمُ كتباً شحنتُ فصولَها بفصول دُرّ عنكمُ منضودِ

ورسائلاً نَفَذَتْ إلى أطرافكمْ عبدُ الحميد بهنّ غيرُ حميدِ(١)

يهتزُّ سامعُهنّ من طَرَبٍ كما هزّ النديمَ سَماعُ صوتِ العودِ(٢)

ومنها :

قصرَتْ خُطاهُ خلاَخلٌ من قيده فتراه فيها كالفتاة الرُّودِ

يمشى الهُوَيْنَى ذِلةً لا عزةً مشىَ النزيفِ الخائفِ المزؤدِ

ولما خُلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع ، و ينخفض و يرتفع ، إلى أن دُفع فى أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى ، والطامة الكبرى ، إذ كان فى صدره حزازات كثيرة من إنشا آت له عن الخليفة ، وعن (٣) بختيار نقمها منه واحتقدها عليه . قيل : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة على أبى إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصلٌ له من كتاب أنشأه عن الخليفة فى شأن بختيار ، وهو « وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعى السوابق ، والمعالى

---

(١) فى الأصل « ورسائلا نفدت » بالدال مهملة ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة ولانسجام البيت

(٢) فى اليتيمة « ضرب العود »

(٣) فى اليتيمة « من إنشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز الدوله بختيار » وهو المناسب لمايلى ذلك بثلاثة أسطر .

السوامق ، التي يلزم كلّ دان وقاص ، وعام وخاص ، أن يعرف له حق ما أكرم به منها ، و يتزحزح عن رتبة المماثلة فيها » فان عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد إنكار ، ولم يشك فى التعريض به ، وأسرّها فى نفسه» ، إلى أن ملك بغداد وسائر العراق ، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب فى أخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره ، وافتتح كتابه المترجم بالناجى ، واشتغل به فى منزله ، وأخذ يتأنق فى تصنيفه وترصيفه ، و ينفق من روحه على تقريظه وتشنيفه ، فرُفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابى دخل إليه ، فرآه فى شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبيض ، فسأله عما يعمل من ذلك ، فقال : أباطيل أنمقها ، وأكاذيب ألفقها ، فانضاف تأثيرُ هذه الكلمة فى قلب عضد الدولة إلى ما كان فى نفسه من أبى إسحاق ، وتحرك من ضغنه الساكن ، وثار من سخطه الكامن ، فأمر أن يلقى تحت أرجل الفيلة ، فأكب جماعة من أرباب الدولة على الأرض ، يقبلونها بين يديه ، و يشفعون إليه فى أمره ، و يتلطفون فى استيهابه ، إلى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أسبابه ، واستصفاء أمواله ، فبقى فى ذلك الاعتقال بضع سنين إلى أن تخلص فى آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره .

وكان الصاحب ابن عباد يحبه أشد الحب ، و يتعصب له و يتعهده على بعد الدار بالمنح ، والصابى يخدم حضرته بالمدح ، وكان الصاحب يتمنى انحيازه إليه وقدومه عليه ، و يضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقا أو تشرفا وكان هو يحتمل ثقل الخلة ، وسوء أثر العطلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة فى أيامه .

وكان الصاحب كثيراً ما يقول : كتاب الدنيا و بلغاء العصر أربعة ،

الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابى ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعنى نفسه .

فأما الترجيح بين هذين الصادين [١] — أعنى الصاحب والصابى — فقد خاض فيه الخائضون ، وخَبَّ فيه المخبون ، [٢] ومن أشف ما سمعته من ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد ، والصابى يكتب كما يؤمر : أى كما يراد ، و بين الحالين بَوْنٌ بعيد ، وكيف جرى الأمر فهما هما ، ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما.

ولنذكر نبذا من نثره ونظمه ، لتكون كالعنوان على محاسنه .

فمن ذلك فصل له من كتاب إلى عضد الدولة فى التهنئة بتحويل سنة « أسأل الله مبتهلا لديه ، مادًّا يدى إليه ، أن يحيل [٣] على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات ، والزيادات الغامرات ، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه ، موفيا على المتقدم له ، قاصراً عن المتأخر عنه ، و يوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده ، عزيزا منصوراً ، محميا موفورا ، باسطا يده لا يقبضها إلا على نواصى أعداء وحساد ، ساميا طَرْفُهُ فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد ، مستريحة ركابه فلا يُعْملها إلا لاستضافة عز وملك ، فائزة قِدَاحُهُ فلا يُجِيلها إلا لحيازة مال وملك ، حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنية صالحة ، وتسمو له همة طامحة » .

فصل من رسالته فى وصف المتصيد والصيد « وخيلُنا كالأمواج المتدفقة ، والأطواد الموثقة ، متشوقة عاطية ، مستبقة جارية [٤] تشتاق الصيد وهى لا تطعمه ، ونحن إليه كأنه قضيم تَقْـضِـمه ، وعلى أيدينا جوارح مؤللة المخالب والمناسر ،

---

(١) فى اليتيمة « بين هذين الصدرين »
(٢) فى الأصل « وأطنب المخلصون » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٣) فى الأصل « أن يجعل » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٤) فى الأصل « متشنفة جارية » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

مذربة النصال والخناجر ، طامحة الألحاظ والمناظر ، بعيدة المرامى والمطارح ، ذكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس ، سابغة الأذناب ، كريمة الأنساب ، صلبة الأعواد ، قوية الأوصال ، تزيد إذا طعمت[1] شَرَهاً وقَرَماً ، وتتضاعف إذا شبعت كلباً ونهما ، فبينا نحن سائرون ، وفى الطلب مُمْعِنون ، إذ وردنا ماء زُرْقاً جمامُه ، طامية أرجاؤه ، يبوح بأسراره صفاؤه ، وتلوح فى قراره حصباؤه ، وأفانين الطير به مُحْدِقة ، وغوائبه عليه واقعة ، متغايرة الألوان والصفات ، مختلفات الأصوات واللغات ، فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن أو أقرف عرقه ، فلما أوفينا عليها ، أرسلنا الجوارح إليهما ، كأنها رسل المنايا ، أو سهام القضايا ، فلم نسمع إلا مُسَمِّيا ، ولم نر إلا مُذَكيا ، ثم عُدْنا لشأننا دفعات ، وأطلقنا مرات » .

ومن فصل منها « ثم عدلنا عن مطارح الخيام ، إلى مسارح الآرام ، نستقرى ملاعبها ، ونؤم مجامعها . حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلائها ، راتعة بأكلائها[2] ، ومعنا فهود أخطف من البروق ، وألقف من الليوث ، وأمكر من الثعالب ، وأدبّ من العقارب ، وأنزى من الجنادب ، خُمْص الخصور ، قُبّ البطون ، رُقْش المتون ، حمر الآماق ، خُزْر الأحداق ، هرت الأشداق ، عراض الجباه ، غلب الرقاب ، كاشرة عن أنيابٍ كالحراب » .

وله فصل فى ذكر الأقدار « لله تعالى أقدار تَرِدُ فى أوقاتها ، وقضايا تجرى إلى غاياتها ، لا يرد شيء منها عن شأوه ومداه ، ولا يُصَدّدون مطلبه ومنحاه ، فهى كالسهام التى لا تثبت إلا فى الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض[3] والناس

---

(١) فى الأصل « تزيد إذا ألحمت » محرفا ، والخيل لا تعلف اللحم وفى اليتيمة « إذا طعمت »

(٢) في اليتيمة « راتعة فى أكلائها » وهى أحسن

(٣) فى الأصل «ولا ترجع إلا بالاعتراض» وبديهي أن كلمة «إلا» هاهنا تفسد المعنى غاية الفساد ، وليست ثابتة فى اليتيمة

فيها بين عطية يجب الشكر عليها ، ورزية يوثق بالعوض عنها » .

وله من فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزنى(١) « ليت شعرى بأى قدم توافينا(٢) ورایاتنا خافقة على رأسك ، ومماليكنا عن يمينك وشمالك ، وخيلنا الموسومة بأسمائنا تحتك ، وثيابنا المنسوجة فى طرزنا على جسدك ، وسلاحنا المشحوذ لأعدائنا فى يدك » .

ومن فصل فى ذكره « هو أرق دينا وأمانة ، وأخفض قدراً ومكانه ، وأتم ذلا ومهانة ، وأظهر عجزاً وزمانة ، من أن تستقل به قدم فى مطاولتنا ، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا ، وهو فى نشوزه عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة » .

ومن ملح شعره قوله فى الغزل ، وهو فى معنى البيتين المستشهد بهما [من الكامل] :

جرَتِ الدموع دَماً وكأسِى فى يدى شَوْقاً إلى من لَج فى هِجْرَانى

فتَخالفَ الفعلانِ شارب قَهْوَةٍ يبكى دماً وتَشابهَ اللوْنان

فكأن ما فى الجفن من كأسى جرى وكأن ما فى الكأس من أجفانى

وقال [من الخفيف] :

لَسْت أشكو هواكَ يا من هَوَاهُ كلُّ يومٍ يَرُوعُنِى منه خطبُ

مُرُّ ما مَرَّ بى من أجلك حلوٌ وعذابى فى مثل حبِّكَ عَذْبُ

وقال [من البسيط] :

إنْ نحنُ قِسناكَ بالغصْنِ الرَّطيب فقدْ جِفْنَا عليكَ به ظلماً وعدْوانَا

الغُصْنُ أحسنُ ما نلقاهُ مكتسياً وأنتَ أحسنُ ما نلقاكَ عُرْيانا

---

(١) فى الأصل « سبكتكين المعزى » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

(٢) فى اليتيمة « بأى قدم تواقفنا » ولعلها أحسن .

وقال [من الوافر] :

مَرِضتُ منَ الهوَى حتى إذا ما بَدَا ما بى لإخوانى الحُضُورِ
تـكنفنى ذوو الاشفاق منهمْ ولاَذُوا بالدعاء وبالنـــذُورِ
وقالوا للطبيبِ : أشِرْ ، فانَّا نُعدُّكَ للمهمّ منَ الأمورِ
فقالَ : شـفَاؤه الرُّمانُ ممـا تضمّنَهُ حشـاهُ منَ السـعيرِ
فقلتُ لَهُمْ : أصابَ بغيرِ عَمدٍ ولـكنْ ذَاكَ رُمانُ الصُّدُورِ

وقال [من المنسرح] :

ما أنسَ لاَ أنسَ ليلةَ الأحدِ والبدرُ ضَيْفِى وأمرهُ بيدِى
قبلتُ منهُ فَـاً مُجاجَتُهُ تجمعُ بينَ المـدَامِ والشُّهُدِ
كأنّ مجرَى سِوَاكِه بَرَدٌ وَريقـهُ ذَوْبُ ذلكَ البرَدِ

وقال فى شمامة كافور [من الطويل] :

وشمَّامةٍ كالبـدرِ عندَ اعتراضهِ وكالـكوكبِ الدرىّ عندَ انقضاضهِ
يودُّ سوَادُ العين من شغفٍ بها لو اعتاضهَا مُستَبْدِلاً ببياضهِ

وقال [من الطويل] :

ومخزُورَةِ الأحشاء تحسبُ أنهَا متيمةٌ تشـكو منَ الحبِّ تبريحَا
تُناجيكَ نجوَى يسمعُ الأنفُ وَحْيها وتجهله الأذْنُ السميعة إذ يُوحَى
تحرق فيها الندّ عوْداً وبَدْأةً فتأخـذهُ جسما وتنفثُهُ رُوحَا

وقال فى غلام له أسود اسمه (١) رُشْد [من الـكامل] :

أبصرتُ فى رُشْدٍ وقد أحببتهُ رُشدى، ولم أحفل بمن قدْ يُنـكرُ

---

(١) ذكر ابن خلـكان أن اسم الغـلام يمن ، ونقل ذلك عن الثعالبى في كتاب الغلمان ، والذى فى اليتيمة موافق لماهنا

يا لائمى ، أعلىَ السواد تلومنى   من لونه و به عليكَ المفخرُ ؟
دَعْ لى السوادَ وخذ بياضكَ ، إننى   أدرَى بما آتِى وما أتخيَّرُ
مثوى البصيرة فى الفؤاد سوَادُه   والعينُ بالمسودّ منها تُبصِرُ
فالدينُ أنتَ مُناظرٌ فيه بذَا   وكذاكَ فى الدنيا بهذِى تنظرُ
بسواد ذَينِك تستضىء ولوهما ابـيضَّا تَغَشَّاكَ الظلامُ الأكدرُ
فغدَا بياضُكَ وهو ليلٌ دامسٌ   وغدَا سوادى وهو فَجْرٌ أنورُ

وقال فيه أيضا [من الكامل] :

قد قال رشدٌ وهو أسودُ للذى   ببياضه يعلو علوّ الخائنِ(١)
مافخرُ خدِّكَ بالبياض وهل ترى   أن قد أفدت به مزيد محاسنِ
لو أنّ منى فيه خالاً زانهُ   ولو آن منهُ فىّ خالاً شاننى

ولقد تفنن الشعراء فى مدح السودان وأكثروا ، فمن ذلك قول ابن الرومى من قصيدة طويلة [من المنسرح] :

آيات فى مدح السودان

أكسبها الحبُّ أنها صُبِغَتْ   صِبْغَةَ حَبِّ القلوب والحدقِ

وقول ابن خفاجة الأندلسى أيضا [من السريع] :

وأسودٍ يسبحُ فى لجةٍ   لا تكتمُ الحصباء غُدْرانُها
كأنها فى شكلها مقلة   زرقاء والأسودُ إنسانُها

وقول الآخر [من السريع] :

يا أسودا يسبح فى بركةٍ   فقتَ الورى حسنا وإحسانًا

---

(١) الأبيات فى ابن خلكان ، وفيه « قد قال يمن » وكان فى الأصل « يعلو علو الخائن » محرفا وفى اليتيمة * ببياضه استعلى علو مباين *

كنتَ لحسن الخدِّ خالاً وقدْ صرتَ لعين العين إنسانا

وقول شرف الدين بن عنين [من الطويل] :

وماذا عليهم أن كلفتُ بأسودٍ محلَّته بالقلب والعين منهمُ

وقد عابنى قوم بتقبيل خده وماذاكَ عيبٌ ، أسودُ الركنِ يُلثَمُ

وما شانهُ ذاكَ السوادُ لأنهُ لغير الثنايا والخلائق معلَمُ

وقال ابن رياح الملقب بالحجام [من البسيط] :

يالُعبةً بذوى الألباب لاعبةً فى أصلِ حسنكَ معنًى غير متفقِ

خُلِقْتِ بيضاء كالكافور ناصعةً فصرتِ سوداء من مثواك فى الحدقِ

وقال أحمد بن بكر الكاتب [من المجتث] :

يا من فؤادىَ فيها متيم لا يزالُ

إن كان لليل بدرٌ فأنتَ للصبح خالُ

وقال الوزير المغربى [من مخلع البسيط] :

يا رُبَّ سوداء تيمتنى يَحْسُن فى مثلها الغرامُ

كالليل تُسْتَسْهَلُ المعاصى فيه ويستعذبُ الحرامُ

وقريب منه قول ابن أبى الجهم [من مخلع البسيط) :

غُصْنٌ من الآبنوس أهدَى من مسك دَارِينَ لى ثمارًا

ليلُ نعيمٍ أظلُّ فيه للطيب لا أشتهى نهارًا

وما أحسن قول بعضهم مضمناً [من الوافر] :

وسوداءِ الأديم إذا تبدَّتْ ترى ماء النعيم جرَى عليهِ

رآها ناظرى فَصَبَا إليها وشِبْهُ الشيءِ منجذب إليه

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر [من المتقارب] :

وَجارية ٍ من بنات الحُبوش ذات جفون صحاح مراض ِ

تعشّقتها للتصابى فشِبْتُ غراماً ولم أكُ بالشيب راضى

وكنتُ أعيّرُها بالسواد فصارت تعيرنى بالبياض ِ

وقد أغرب ابن دفترخوان بقوله [من السريع]:

إن لمعتْ ليلاً نجومُ السما بيضاً على أدهم مُرْخَى الإزارْ

وأوجبَ العكسُ مثالاً لها فى الأرض فالسودُ نجومُ النهارْ

رجع إلى شعر الصابى .

قال يرثى ابنه سنانا [من الخفيف] :

أسعدانى بالدمعةِ الحمراءِ جلَّ ماحلّ بى عن البيضاء[١]

يُؤلم القلبَ كلُّ فقدٍ ولاَ مِثْلَ افْتقادِ الآباءِ للأبناءِ

كُنتَ مِني وكُنتُ مِنكَ اتفاقاً والتئاماً مِثلَ العصا واللِّحاءِ

كُنتَ لِليُتْم فىَّ أجملَ مِنّى فيكَ للثُّكلِ فى أوَانِ فنائى[٢]

ولئنْ كان مِنْ أخيكَ وأولا دِكَ ما يَفُضُّ مِنْ بُرحائى

فلَعَمْرى لرُبما هيّجوا الشّوْ قَ فزادوا فى لَوْعَتى وبُكائى[٣]

ألمّ فيه بقول ابن الرومى ولم يحسن إحسانه [من الطويل] :

---

(١) فى الأصل « حـل ما حل بى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة .

(٢) فى اليتيمة « كنت فى اليتم » والمراد أنه كان يرجو أن يموت قبل ابنه فأن موته يصير به ابنه يتيما ، وذلك أجمل من أن يموت ابنه فيصير هو ثاكلا وما فى اليتيمة أظهر

(٣) فى الأصل « ولعمرى لربما هيج الشوق » محرفا عما أثبتناه عن اليتيمة

وإنى وإن مُتِّعْتُ بابنىَّ بعده ... لذاكِرُه ما حنَّتِ النِّيبُ فى نجدِ

وأولادنا مثل الجوارح أيُّما ... فقدناه كان الفاجعَ البينَ الفقد

لكلٍّ مكانٌ لا يسدّ اختلاله ... مكانَ أخيه من جزوع ومن جلْدِ

هل العين بعد السمع تكفى مكانه ... أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى

وقال الصابى مفتخرا من قصيدة [من الطويل] :

وقدْ علم السلطان أنى أمينُه ... وكاتبُه الكافى السديدُ الموفق (1)

أوازره فيما عرَى وأمدّه ... برأى يُريهِ الشمسَ والليلُ أغسقُ

يُجدِّد بى نهجَ العلا وهْوَ دارسٌ ... ويفتح بى بابَ الهدَى وهْوَ مُغْلَق (2)

فَيمناىَ يُمناه وأفظى لفظه ... وعينى له عينٌ بها الدهرَ يَرْمُقُ

ولى فقرٌ تُضحى الملوك فقيرةً ... إليها لدَى أحداثها حين تَطْرُقُ

أردّ بها رأسَ الجموحِ فينثنى ... وأجعلها سَوْط الحرون فيُعْنِق

فإنْ حاولتْ لطفاً فماء مُرَوَّقٌ ... وإنْ حاولَتْ عُنفاً فنارٌ تألق

يسلم لى قُسٌّ وسحبانُ وائل ... ويَرْضَى جريرٌ مَذْهبى والفرزدق

فيغضِى لنثرى خاطبٌ وهوَ مِصقعٌ ... ويعنو لنظمى شاعرٌ وهوَ مُفْلِقُ

مَقالٍ لو الأعشى رآهنّ لم يقُلْ ... «وباتَ على النارِ الندَى والمحلق» (3)

---

(١) فى اليتيمة « أنى لسانه »

(٢) فى اليتيمة « يجدد بى نهج الهدى » وفيه « ويفتح بى باب النهى »

(٣) فى الأصل « مقال لو الأعشى رآهن » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة . وعجز هذا البيت من كلام الأعشى ميمون بن قيس فى المحلق وصدره من كلام الأعشى :

* تشب لمقرورين يصطليانها *

وقال فى المهلبى الوزير [من الكامل] :

قــل للوزير أبى محمد الذى قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك فى المحافل منطق يشفى الجوى ويسوغ فى أذن الأديب سلافه
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل وكأنما آذاننا أصدافه

وقال أيضا [من الوافر] :

تلوح نواجذى والكاس شربى وأشربها كأنى مستطيب
وفوق السر لى جهر ضحوك وتحت الجهر لى سر كئيب
سأثبت إذ يصادمنى زمانى بركنيه كما ثبت النجيب[1]
وأرقب ما تجىء به الليالى ففى أثنائه فرج قريب

وقال أيضا فى عضد الدولة [من الكامل] :

لا تحسب الملك الذى أوتيته يفضى وإن طال الزمان إلى مدى
كالدوح فى أفق السماء فروعه وعروقه متولجات فى الندى
فى كل عام يستجد شبيبة فيعود ماء الورد فيه كما بدا
حتى كأنك دائر فى حلقة فلكية فى منتهاها المبتدا

وكتب إلى عضد الدولة فى يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه إليه [من البسيط] :

أهدى إليك بنو الأموال واختلفوا فى مهرجان جديد أنت مبليه[2]
لكن عبدك إبراهيم حين رأى علو قدرك عن شىء يدانيه

---

(١) فى اليتيمة « سأثبت إن يصادمنى زمانى »
(٢) فى اليتيمة * أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا *

أهدَى لكَ الفلكَ الأعلى بما فيهِ لم يرضَ بالأرضِ مُهْدَاةً إليكَ فقدْ

ومن لطيف شعره قوله [من الخفيف] :

دَفتَرِي مُؤْنسي وفِكري مميري ويدِي خادِمي وحِلمي ضجيعي
ولسانِي سيْفي و بطشي قريضي ودَوَاتي غَيثي ودرْجي رَبيعي(١)

ومثله قول أبي محمد الخازن [من المنسرح] :

فدفتري رَوضتي ومحبرَتي غديرُ علمي وصارِمي قلَمي
وَراحتي فِي قرَارِ صَوْمَعَتِي تُعلمني كيفَ موقعُ النعم

وقال أبو إسحاق الصابي وهو في الحبس [من الطويل] :

إذا لم يكنْ للمرء بدٌّ من الرّدى فأسهلُه ما جاء والعيشُ أنكد
وأصعبهُ ما جاءه وَهوَ راتِعٌ تطيف بهِ اللذّاتُ والحظّ مُسعِد
فإن أكُ سوءَ العيشتينِ أعيشُها فإني إلى خيرِ المماتينِ أقصد(٢)
وسيّانِ يوماً شقوةٍ وسعادةٍ إذا كانَ غبًّا واحداً لهما الغد

وقال [من المتقارب] :

لقدْ أخلقتْ جدَّتي الحادثاتُ ومَنْ عاشَ في رَيْبها يَخلق
وبدّلني صَلَماً شاملاً من الشَّعَرِ الفاحِمِ الأغْسَقِ(٣)

---

(١) في الأصل « ودواتي عيني » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة ، و « غيثي » هي التي تناسب « ربيعي »

(٢) في اليتيمة « فان أك شر العيشتين » وما هنا أتم في المقابله

(٣) في الأصل « من الصلع الفاحم الأغسق » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

وقد كُنْتُ أمْرَدَ مِنْ عارضى فَقَد صرتُ أمْرد من مَفْرِقى(١)

وكتب إلى قاضى القضـاة ابن معروف ـ وكان قد زاره فى معتقله ـ رقعـة نسختها :

قوى دخول قاضى القضاة إلى نفسى ، وجدد أنسى ، وأغربَ نحسى ، ووسَّع حبسى ، فدعوت الله له بما قد ارتفع إليه وسمعه ، فان لم أكن أهلا لأن يستجاب منى فهو أيده الله تعالى أهلٌ لأن يستجاب فيه ، وأقول مع ذلك [من البسيط]

دخلتَ حاكم حكام الزَّمان إلى صَنيعةٍ لك رَهْنِ الحبس ممتَحَنِ

أخذتْ عليه خطوبٌ جارَ جائرُها حتى توفاهُ طولُ الهم والحَزَنِ

فعاشَ عن كلماتٍ مِنكَ كنّ لهُ كالرُّوح عائِدَةً منهُ إلى البَدَنِ

وكتب إلى بعض الرؤساء: عرفت أن سيدنا الأستاذ الجليل أطال الله بقاءه يشتكى التياثا [من الـكامل] :

فلو استَطَعْتُ أخذت علةَ جِسْمِهِ فَقَرنتُها منى بعِلةِ حالى

وجَعلتُ صحّتَىَ التى لم تَصْفُ لى صَفواً له معَ صحة الاقبالِ

فتكونُ عندى العلّتانِ كِلاهُمَا والصِّحّتانِ له بغيرِ زَوالِ

وقال [من المنسرح] :

عهدِىَ بشعرى وكلّه غزَلُ يضحكُ عنهُ السرُورُ والجذَلُ

أيامَ همِّى أحبـةٌ بِهِمُ الـــقلبُ عن النّائبـاتِ يشتغلُ

والآنَ شِعرى فى كلِّ داهيةٍ نِيرانُها فى الضلوعِ تشتعلُ

أخرجُ منْ نـكبةٍ وأدخلُ فى أُخرَى فنحسى بهنّ متصلُ

(١) في اليتيمة « وقد كنت أصلع » وفيها « وقد صرت أصلع »

كأنها سُنَّةٌ مؤكدةٌ لا بدّ من أنْ تقيمها الدولُ
فالعيشُ مرٌّ كأنهُ صَبِرٌ والموتُ حلو كأنه عَسَلُ

وقال يهجو [من الخفيف] :

أيُّها النابحُ الذِى يتصدى بِقبيح يقوله لجوَابى
لاتؤمِّلْ أنّى أقولُ لكَ اخسأ لستُ أسخو بها لكلِّ الكلابِ

وحكى أبو القاسم بن برهان قال : دخلت على أبى إسحاق الصابى ، وكان قد لحقه وجع المفاصل ، وقد أبلّ ، والمجلس عنده حافل ، وأراد أن يريهم أنه قادر على الكتابة ، ففتح الدواة ليكتب ، فتطاولوا بالنظر إلى كتابته ، فوضع القلم وقال بديها [من الكامل] :

وجعُ المفاصل وهوَ أيسرُ ما لقيتُ منَ الأذَى
جعل الذِى استحسنتهُ واليأسَ منْ حظى كذَا(١)
والعمرُ مثلُ الكاسِ يرْ سبُ فى أواخرِهِ القذَى

وقد ألم بهذا المعنى أمين الدولة سبط التعاويذى وزاد فيه فقال [من المتقارب] :

فمن شبَّه العمر كأساً يقرّ قَذَاهُ ويرسب فى أسفلِهْ
فانى رأيتُ القَذَى طافياً على صفحة الكأس من أوله

والأمير سيف الدين بن المشد بقوله [من الخفيف] :

إن ترقى إلى المعالى أولو الفضـــل وَساخت تحت الثرى السفهاء
فَحَبابُ المدام يعلو على الكأ س محلاً وترسب الأقذاء

---

(١) فى الأصل « والناس من حظى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

وما أحسن قول ابن زياد فيه أيضا [من الخفيف] :

باضطراب الزمان ترتفع الأنـــذال فيه حتى يعم البلاء

وكذا الماء راكداً فاذا حـــرك ثارت من قعره الأقذاء

وقول الآخر [من البسيط] :

بادر إلى العيش فالأيام راقدة ولا تكن لصروف الدهر تنتظر

فالعمر كالكأس يبدو فى أوائله صفواً وآخره فى قعره كدر

ولما مات أبو إسحاق الصابى رثاه الشريف أبو الحسن الموسوى بقوله [من الطويل] :

أعلمت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى

جبل هوى لو خر فى البحر اغتدى من وقعه متتابع الإزباد

ما كنت أعلم قبل حطك فى الثرى أن الثرى يعلو على الأطواد

ومنها :

بعداً ليومك فى الزمان فإنه أقذى العيون وفت فى الأعضاد

لا تطلبى يا نفس خلاً بعده فلمثله أعيا على المرتاد

فقدت ملاءمة الشكول بفقده وبقيت بين تباين الأضداد

ما مطعم الدنيا بحلو بعده أبداً ، وما ماء الحياة ببادى

لك فى الحشا قبر وإن لم تأوه ومن الدموع روائح وغوادى

سلوا من الأبراد جسمك فانثنى جسمى يسل عليك فى الأبراد(١)

(١) في الأصول «جسمي يسيل» محرفا ، وما أثبتناه موافقا في اليتيمة وديوان الشريف الرضى

ومنها :

الفضلُ ناسبَ بيننا إذ لم يكنْ شَرَفى مناسبهُ ولا ميلادِى
إنْ لمْ تكنْ من أسرتى وعشيرتى فلأنتَ أعقلهمْ يداً بفؤادى(١)
أولاَ تكنْ عالى الأصولِ فقدْ وَفى عظمُ الجدود بسودَد الأجدَاد

وهى طويلة ، ورثاه بغير ذلك أيضاً ، وقال وقد ليم على رثائه له : إنى رَثَيْت علمه ، وكان سنه أربعا وثمانين سنة . ومات ابنه المحسن على كفره أيضاً ، وابن ابنه هلال أسلم بآخرة . وتوفى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (٢)

* * *

٨٦ — شواهد تشبيه المركب بالمفرد

يا صَاحِبىّ تقَصَّيَا نَظَرَيكما تَرَيا وجُوهَ الأرْضِ كيْفَ تُصَوَّرُ
تَرَيا نَهاراً مُشْمِساً قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبا فَكأنَّما هُوَ مُقْمِرُ

البيتــان لأبى تمام الطائى ، من قصــيدة (٣) من الكامل يمدح بها المعتصم ، أولها :

رقَّتْ حوَاشي الدهرِ فهى تَمَرْمَرُ وغدا الثرى فى حَلْيِهِ يتــكسرُ

---

(١) في اليتيمة * فلأنت أعلقهم يدا بودادى * وهو المستقيم معنى

(٢) كـذا في أصول هـذا الـكتاب ، والذى في اليتيمة أنه « توفي يوم الخميس لاثنتى عشرة ليله من شوال سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكانت سنه إحـدى وتسعين سنة قمـرية » وفى ابن خلـكان أنه توفي سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وأن سنه كانت إحـدى وسبعين سنه . وفيه نقـلا عن الفهرست لابن النديم أن وفاته كانت قبل سنة ثمانين ، وولادته كانت سنه نيف وعشرين وثلثمائة

(٣) اقرأها فى الديوان (١٥٦)

بذلتْ مقدمة المصيف حميدةً ويد الشتاء جديدة لا تكفر (١)
لولاَ الذي غرس الشتاء بكفِّه قاسى المصيفُ هشائماً لا تُثْمِرُ
كم ليلةٍ آسى البلاد بنفسه فيها ويوم وبلُهُ متفجرُ (٢)
مطرٌ يذوب الصخرُ منه و بعدهُ صَحْوٌ يكاد من الغضارة يقطر (٣)
غَيْثان فالأنواء غيثٌ ظاهرٌ لكَ وجهه والصَّحو غيث مضمرُ
وَنَدًى إذا ادَّهنَتْ به لِممُ الثرى خلتَ السحاب أتاه وَهو معذرُ
أربيعنا فى تسع عشرة حجةً حقاً لَوَجْهُكَ لَلرَّبيعُ الأزهر (٤)
ما كانت الأيامُ تسلب بهجةً لو أن حسن الروض كان يُعَمَّرُ
أولا ترى الأشياء إن هي غيرتْ سمُجتْ وحسن الأرض حين تغير (٥)

و بعده البيتان ، و بعدهما :

دنيا مَعاش للورى حتى إذا حَلَّ الربيعُ فإنما هيَ منظرُ
أضْحَتْ تصوغُ بطونُها لظُهُورِها نَوْراً تكادُ له القلوبُ تُنَوِّرُ
من كل زَاهرةٍ ترقرَقُ بالنَّدى فكأنها عينٌ لديكَ تَحَدَّرُ

وهى طويلة .

---

(١) فى الأصل « نزلت مقدمة المصيف » وما أثبتناه عن الديوان .
وبذلت : امتهنت

(٢) فى الديوان « وبله مثعنجر » والمثعنجر : السائل المنسكب

(٣) فى الأصل « يكاد من الغضارة يمطر » وما أثبتناه عن الديوان

(٤) في الديوان « حقالهنك للربيع الأزهر » وهي أجود عربية . واللام فى « لهنك » هى الواقعة فى جواب القسم ، والهاء مبدلة من الهمزة ، والأصل « لأنك » واللام فى « للربيع » هى لام الابتداء التى تتصل بخبر إن

(٥) فى الأصل « أولا ترى الأشتاء » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

ومعنى « تقصيا نظريكما » أبلغا أقصى نظريكما وغاية ما تبلغانه ، واجتهدا فى النظر . و « تصور » أصلها تتصور فحذف إحدى التاءين .

والشاهد فيهما : تشبيه المركب بالمفرد ، فانه شبه المشمس الذى اختلط به أزهار الربوات فنقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صار يضرب إلى السواد ، بالليل المقمر ، فالمشبه مركب ، والمشبه به مفرد ، قيل : ولايخلو هذا من تسامح .

* * *

شاهد التشبيه الملفوف

٨٧- كأن قُلوبَ الطَّيرِ رَطْباً ويابساً لَدَى وَكْرِهَا العنَّاب والحَشَفُ البالى

البيت من الطويل ، وقائله امرؤ القيس من قصيدته السابقة [1] فى أول هذا الفن ، وقبله :

كأنى بفتخاء الجناحين لِقْوَةٍ على عجَلٍ منها أُطأطىء شِمَالى [2]

تخطَّفُ خِزَّان الأُنَيْعِمِ بالضحى وقد حجرت منها ثعالبُ أورال [3]

---

(١) انظرها في الديوان (١٣٨) وارجع إلى الشاهد رقم (٧٤)

(٢) أراد بفتخاء الجناحين لقوة عقابا لينة الجناحين سريعة الاختطاف وفى الديوان «صيود من العقبان طأطأت شملال» والصيود : الحاذقة بالصيد وطأطأت : طامنت رأسى لأ تمكن من ضرب الفرس كى يسرع . والشملال : السريعه القوية . وهى على هذه الرواية ـ صفه لفتخاء الجناحين ، و «شيمالى» فى رواية المؤلف تبعا لجماعة من أهل اللغة أصلها «شمالى» فأشبعت الكسرة من الشين فتولدت عنها الياء ، و «شيمالى» على هذا مفعول لأطأطىء ، وهو مضاف لياء المتكلم

(٣) تخطف : أصلها تتخطف ، وخزان : جمع خزز ، وهو ذكر الأرانب ويروى «خزان الشربة» والأنيعم والشربة : موضعان . وأورال : موضع أيضا

وبعده البيت ، وبعده :

فلوْ أنَّ ما أسْعَى لأدنى مَعِيشَةٍ كَفانى ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ
ولكنما أسْعَى لمجدٍ مؤثَّلٍ وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤثَّلُ أمثالى
وَمَا المرْءُ مادَامَتْ حُشَاشَةُ نفسه بمُدْرِكِ أطرافِ الخطوب ولا آلى (١)

والحشف : أردأ التمر ، والضعيف الذى لا نوَى له ، أو اليابس الفاسد .

والشاهد فيه : التشبيه الملفوف ، وهو : أن يؤتى على طريق العطف أوغيره بالمشبهات أولاً ثم بالمشبه بها ، فهنا شبَّه الرطب الطرىَّ من قلوب الطير بالعُنَّاب واليابس العتيق منها بالحَشَف البالى ، إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يُعتدُّ بها ويقصد تشبيهها ، ولذا قال الشيخ عبد القاهر : إنه إنما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا أنَّ للجمع فائدةً فى عين التشبيه .

وذكرت بهذا البيت ماضمنه الجمال ابنُ نباتة مجوناً ، وهو [من الطويل] :

دَنَوْتُ إليها وهوَ كالفرْخ راقِدٌ فوَاخَجلتى لما دنوت وإذلالى
وقلْتُ امغَـكيه بالأنامِلِ فالْتَقَى لدَى وكرها العنابُ والحشف البالى

* * *

شاهد التشبيه المفروق

٨٨ — النَّشْر مِسْكٌ، والوجُوهُ دَنَا نيرٌ، وأطْرَافُ الأكُفِّ عَنَمْ

البيت لمرقش الأكبر ، من قصيدة من السريع (٢) ، قالها فى مرثية عم له ، أولها :

هل بالديار أن تجيبَ صَمَمْ لو أن حياً ناطِقاً كلَّمْ

---

(١) فى نسخة « مادامت هشاشة نفسه »
(٢) اقرأها فى المفضليات والأصمعيات

الدارُ وحْشٌ والرسُوم كما رَقَّشَ فى ظَهْرِ الأديم قَلَمْ(١)
ديارُ أسماءَ التى سَلَبَتْ قلبى فعَيْنى ماؤها يَسْجُمْ(٢)
أضحَتْ خلاءً نبتُها ثَئِدٌ نوَّرَ فيها زهرُه فاعْتَمْ(٣)
بل هل شجَتْك الظُّعْنُ باكرةً كأنهن النَّخْلُ من مَلْهَم

و بعده البيت ، ومنها :

لسنا كأقوامٍ خَلائقُهُمْ نَثُّ الحديثِ ونَهْكَةُ المحرَمْ(٤)
إن يُخْصِبُوا يَبْغُوا بخصبهمُ أو يُجْدِبوا فهمْ به أَلأَمْ(٥)

وهى قصيده طويلة ليست بصحيحة الوزن ، ولا حسنة الروى ، ولا متخيرة اللفظ ، ولا لطيفة المعنى ، قال ابن قتيبة : ولا أعلم فيها شيئا يُستحسن إلا قوله « النشر مسك ــ البيت » .

و يستجاد منها أيضاً قوله :

ليس على طولِ الحياةِ نَدَم ومن وراء المرْءِ ما يعلَمْ

---

(١) فى المفضليات « الدار قفر »

(٢) فى الأصل « ديار سلمي » ولا يستقيم بها الوزن ، وما أثبتناه موافق لما فى المفضليات ، والمرقش هذا كان يتغزل فى أسماء ابنة عمه عوف بن مالك.

(٣) ثئد ــ بالثاء المثلثة ــ أى أصابه الندى ، واعتم : كثر ، وفى المفضليات «نور فيها زهوه» وهو لونه من أبيض وأصفر وأحمر

(٤) فى المفضليات «مطاعمهم كسب الخنا» . ونث الحديث : نقله وإذاعته والزيادة فيه ، ووقع فى الأصل « ونكهة المحرم » وما أثبتناه موافق لما فى المفضليات ، ونهكة المحرم : انتهاك الحرمات ، وأراد لانهجو الناس ليعطونا وفى الأغانى * نث أحاديث وهتك حرم *

(٥) فى المفضليات « إن يخصبوا يعيوا بخصبهم »

النشر : الريح الطيبة ، أو أعم ، أو ريح فم المرأة وأعطافها بعد النوم . والعنَم : شجر لين الأغصان يشبه بنان الجوارى . وقيل : هى أطراف الخروب(١) الشامى عن أبى عبيدة . وقيل : هو شجر له أغصان حمر ، وقيل : هو ثمر العَوْسَج يكون أحمر ثم يسود إذا عقد ونضج .

والشاهد فيه : التشبيه المفروق ، وهو : أن يؤتى بمشبه ومشبه به ، ثم آخر وآخرَ ، وهو واضح فى البيت .

ونظيره قول المتنبى [من الوافر] :

بدَتْ قمراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ وفاحَتْ عنبراً ورنَتْ غزالا

وتبعه أبو القاسم الزاهى فقال [من الطويل] :

سَفَرْنَ بدوراً وانتَقَبْنَ أهلَّةً ومِسْنَ غصوناً والتَفَتْنَ جآذرا
وأطْلَعْنَ فى الأجياد بالدرِّ أنجماً جعلن لحبَّاتِ القلوبِ ضَرائراً

وممن نسج على هذا المنوال إسماعيل الشاشى فانه قال من قصيدة [من الطويل] :

رأيْت على أكْوارنا كلَّ ماجدٍ يرى كل ما يَبْقَى من المال مَغْرَما
ندوِّمُ أسْيافا ونعلو قَواضباً وننْقَضُّ عقباناً ونطلُعُ أنجما

وقال أبو الحسن الجوهرى فى وصف الخمر إلا أنه ثلَّثَ التشبيه [من الطويل] :

يقولونَ بغدادُ التى اشْتَقَّتَ نزهةٌ تبـاكِرُها والعبقَرِىَّ المقيَّرَا
إذا فُضَّ عنه الخَتْمُ فاح بنَفسجاً وأشرق مصباحا ونوَّرَ عُصفُرا

ولبعض الشعراء فى غلام مغنٍّ [من الوافر] :

---

(١) نص بعض أهل اللغة على أن صواب هذا اللفظ « الخرنوب »

فَدَيتكَ يا أَتمَّ الناس ظَرْفاً وأصلحهُم لمتَّخذٍ حبيبا
فوجهُك نُزهة الأبصَارِ حسناً وشَدْوكَ مُتعةُ الأسماع طيبا
وسائلةٍ تسائل عنك قلنـا لها فى وصفك العجب العجيبا
رنا ظبياً وغَنَّى عَنْدَلِيباً ولاح شقائقاً ومَشَى قضيبا

ولابن الأثير الجزرى [من البسيط] :

منوَّع الحسن يبدى من محاسنه لأعينِ النَّاس أوْصافاً وأشكالا
فلاح بَدْراً ووافى دُمْيَةً وذكا مسكاً وعلَّ طلاً وازورَّ رئبالا
وافتر دُرًّا وغَنَّى بلبلاً وسطا عَضْباً وماس نقاً واهتزَّ عَسَّالاَ

وما أحسن قوله أيضا [من البسيط] :

إنَّ التى ملكتنى فى الهوى ملكت مجامع الحسن حتى لم تدَعْ حَسَنَا
رنتْ غزالاً وفاحت رَوْضةً و بدتْ بدراً وماجت غديرا وانثنت غُصُنَا

ولابن سكرة الهاشمى أيضا [من المنسرح] :

فى وجهِ إنسانةٍ كلِفْتُ بها أربعَةٌ ما اجتمعْنَ فى أحدِ
الخـدُّ وردٌ ، والصدغ غاليةٌ والرِّيقُ خمرٌ ، والثَّغْرُ من بَرَدِ

ترجمة المرقش الأكبر

والمرقش[1] اسمه عمرو ، وقيل : عَوْف بن سعد بن مالك ، ينتهى نسبه لبكر بن وائل ، وهو أحد من قال شعراً فلقب به ، وهو أحد المتيمين ، كان يهوى ابنة عم له ـ وهى أسماء بنت عوف بن مالك ـ وكان المرقش الأصغر ابن أخى[2]

---

(١) تجد للمرقش الأكبر ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٠٣) وفى الأغانى (٥ ـ ١٨٩) وحكى ابن قتيبة قولا آخر أن اسمه ربيعة بن سعد ابن مالك . وتجد خبره مع أسماء فى تزيين الأسواق (١ ـ ١٠٠)

(٢) وحكى ابن قتيبة قولا آخر أن المرقش الأصغر أخو المرقش الأكبر

المرقش الأكبر ، واسمه ربيعة وقيل عمرو ، وهو عم طَرَفَةَ بن العبد ، وهو أيضا أحد المتيمين ، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ، و يشبب بها ، وكان للمرقشين جميعا موقع فى بكر بن وائل وحروبها مع بنى تغلب و بأس وشجاعة ونجدة وتقدم فى المشاهد ونكاية فى العدو وحسن أثر .

وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف ، وهو غلام ، فخطبها إلى أبيها ، فقال : لا أزوجك إياها حتى تُعرف بالبأس ، وكان يَعِده فيها المواعيدَ الكاذبة ، ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك ، وكان عنده زمانا ومدحه فأجازه ، وأصاب عوفاً زمانٌ شديد ، فأتاه رجل من مراد ، فأرغبه فى المال ، فزوجه أسماء على مائة من الإبل ، ثم تنحّى عن بنى سعد ابن مالك ، ورجع مرقش ، فقال إخوته : لا تخبروه إلا أنها ماتت ، فذبحوا كبشاً ، وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفوها فى ملحفة ثم قبروها ، فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت ، وأتوا به موضع القبر ، فنظر إليه ، وصار بعد ذلك يعتاده و يتردد إليه و يزوره ، فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما فى كَعْب ، فقال أحدهما : هذا كعبى ، أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه ، وقالوا: إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء ، فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام ـ وكان قد ضَنِيَ ضَنًى شديداً — فسأله عن الحديث فأخبره به و بتزوج المرادى أسماء ، فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من عقيل كان عشيرَ المرقش ، فأمرها بأن تدعو له زوجها ، فدعته ، وكان له رواحل ، فأمره باحضارها ليطلب المرادىّ ، فأحضره إياها ، فركبها ، ومضى فى طلبه ، فمرض فى الطريق حتى مايُحمل إلا معروضاً . ثم إنهما نزلا كهفاً بأسفل نجران — وهى أرض مراد — ومع العقيلى امرأته وليدة مرقش ، فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضراً وجوعاً ، فجعلت الوليدة تبكى من ذلك . فقال لها زوجها : أطيعينى و إلا فأنى

تلوكك وذاهب . قال : وكان مرقش يكتب ، كان أبوه دفعه وأخاه حرملة ـ وكانا أحب ولده إليه ـ إلى نصرانى من أهل الحيرة فعلمهما الخط ، فلما سمع مرقش قول العقيلى للوليدة كتب مرقش على مؤخر الرحل هذه الأبيات [من الكامل]:

يَا صاحبى تلبَّثَا لا تعجلاَ إنَّ الروَاحَ رَهينٌ أن لا تفعلاَ

فلعلّ لُبْثَكما يفرّط سَيِّئًا أو يحدث الاسراعُ سيئًا مثقلاَ (١)

يا رَاكبًا إماوصلتَ فَبلغنْ أنس بن سعد إن لقيت وحرملاَ (٢)

لِلهِ درُّكما ودرُّ أبيكما إن أفلتَ العبدان حتى يُقتلاَ (٣)

من مبلغُ الأقوام أنّ مرقّشاً أضحى على الأصحاب عِبئًا مُثقلاَ (٤)

وكأنما تَردُ السباعُ بشِلْوِهِ إذ غاب جمع بنى ضُبيعةَ مَنْهَلاَ

قال : فانطلق العقيلى وامرأته حتى رجعا إلى أهليهما ، فقالاَ : مات المرقش، ونظر حرملة إلى الرحل وجعل يقلبه وقرأ الأبيات، فدعاهما وخوّفهما ، وأمرهما أن يصدقاه ، فأخبراه الخبر ، فقتلهما . وكان العقيلى قد وصف له الموضع ، فركب فى طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره وعرف أن مرقشا كان فى الكهف ، ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذى هو فيه ، وأقبل

---

(١) فى الأغانى « أو يسبق الاسراع سيبا مقبلا » ويفرط : يقدم ، يريد لعل انتظاركما يقدم عنكما مكروها

(٢) فى الأغانى « ياراكبا إما عرضت » ومثله فى الشعراء

(٣) فى الأصل « أن يفلت العقلى حتى يقتلا » وليس بشىء وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وفى الشعراء « إن أفلت الغفلى »

(٤) زادصاحب المفضليات بين هذا البيت والذى بعده بيتا ، وهوقوله:

ذهب السباع بأنفه فتركنه أعثى عليه بالجبال وجيئلا

ويعنى بالأعثى الضبعانوهو ذكر الضباع ، والجيئل : انثى الضباع

راعيها إليها ، فلما بَصُر به قال له : من أنت؟ وما شأنك؟ فقال له مرقّش: أنا رجل من مراد . وقال له : فراعي من أنت ؟ قال : راعي فلان ، فاذا هو راعي زوج أسماء ، فقال له مرقش : أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريتها كلّ ليلة فأحلب لها عنزا فتأتيها بلبنها ، فقال له : خذ خاتمي هذا ، فاذا حلبت فألقه فى اللبن فانها ستعرفه و إنكَ مصيبٌ به خيراً لم يصبه راع قط إن أنت فعلت ذلك ، فأخذ الراعي الخاتم وفعل ذلك ، ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه ، فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها . فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته ؟ وكذلك كانت تصنع ، فقرع الخاتم ثَنِيَّتها ، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته ، فقالت للجارية : ماهذا الخاتم ؟ قالت : مالى به علم ، فأرسلتها إلى مولاها وهو فى شَرَفٍ بنجران[1] فأقبل فزعاً ، فقال لها : لم دعوتنى ؟ فقالت له : ادع عبدك راعي غنمك ، فدعاه ، فقالت : سله أين وجد هذا الخاتم . فقال : وجدته مع رجل فى كهف خبان[2] ، وقال لى : اطرحه فى اللبن الذى تشرب به أسماء فانك تصيب به خيراً ، وما أخبرنى مَنْ هو ، ولقد تركته بآخر رمق ، فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم مرقش ، فاعجل الساعة فى طلبه ، فركب فرسه وحملها على فرس آخر ، وسارا حتى طرقاه من ليلتهما ، فاحتملاه إلى أهليهما ، فمات عند أسماء ، فدفن فى أرض مراد .

وحدث التوزى[3] قال : كان مساور الوراق وحماد عجرد وحفص بن أبى بردة مجتمعين على شراب ، وكان حفص مرميا بالزندقة ، وكان أعمش أفطس

---

(١) فى المفضليات « وهو فى شرب بنجران » والشرب : جمع شارب

(٢) فى الأصل « خبار » وفى الأغانى « جبان » وصوابهما ما أثبتناه عن معجم البلدان وشرح المفضليات

(٣) فى المطبوعتين « التوزرى »

أنصف قبيح الوجه ، فجعل حفص يحب شعر المرقش ويلحنه ، فغلب عليه سوء[1] ، فقال [من الطويل] :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغلٌ ... وأنف كثيل العَوْد عما تتبعُ

تتبعتَ لحناً في كلام مرقشٍ ... ووجهك مبنيٌّ على اللحن أجمعُ

فأذناك إقواء وأنفك مُكفأ ... وعيناك إيطاء فأنت المُرقَّعُ

فلم حفص من الحمص خجلا وهجره مدة .

* * *

شاهد تشبيه التسوية

٨٩ – صُدغُ الحبيب وحالي ... كلاهما كالليالي

هو من المجتث ، ولا أعرف قائله .

والشاهد فيه : تشبيه التسوية ، وهو تعدد طرف المشبه ، وهو هنا الصدغ والحال ، دون المشبه به ، وهو الليالي .

ومثله قول أبي محمد الطرائفي [من الوافر] :

مُهفهفة لها نصفٌ قضيفٌ ... كخُوط البان في نصف رداحِ[2]

حكتْ لوناً ولِيناً واعتدالاً ... ولحظاً قاتلاً سُمْرَ الرماحِ

* * *

٩٠ – كأنما يبسمُ عن لؤلؤٍ ... مُنضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ

البيت للبحتري ، من قصيدة من السريع[3] ، يمدح بها أبا نوح عيسى ابن إبراهيم ، أولها :

بِتُّ نديماً لي حتى الصباحْ ... أغيدُ مجدولُ مكانِ الوشاحْ

كأنما يضحكُ عن لؤلؤ ... منظَّمٍ أو بردٍ أو أقاح

---

(١) الأبيات في الأغاني (١٣ – ٨٧) منسوبة إلى حماد عجرد

(٢) كذا في عامة أصول الكتاب ولعله « لها نصف قضيب »

(٣) اقرأها في الديوان (١ – ١١٢)

هكذا وجدت البيت في ديوانه (١) :

تحسبه نشوان أنّى رنا ... للفتر من أجفانه وهو صاح (٢)

بتّ أفدّيه ولا أرعوى ... لنهى ناه عنه ولحى لاح

أمزج كأسي بجنى ريقه ... وإنما أمزج راحاً براح

يساقط الورد علينا وقد ... تبلّج الصبح نسيم الرياح

غضيت عن بعض المحرم تقى ... من حرج في حبه أو جناح

سحر العيون النجل مستهلك ... لبّي وتوريد الخدود الملاح

والمنضد : المنتظم ، والبرد : حب الغمام ، والأقاح : جمع أقحوان ، وهو ورد له نور .

والشاهد فيه : تعدد طرف المشبه به ـ وهو هنا اللؤلؤ والبرد والأقاح ـ دون المشبه ، وهو الثغر

وقد جاء تشبيه الثغر بخمسة في قول الحريري [من البسيط] :

يفترّ عن لؤلؤ رطب وعن بَرَدٍ ... وعن أقاح وعن طلع وعن حَبَبِ

ومثل البيت المستشهد به قول امرىء القيس [من المتقارب] :

كأنّ المدامَ وصوبَ الغمام ... وريحَ الخزامى ونشر القطر

* يعلّ به برد أنيابها ... إذا غرّد الطائر المستحر *

ومن محاسن تعدد التشبيه قول الصاحب ابن عباد ، في وصف أبيات أهديت إليه [من المتقارب] :

أتتني بالأمس أبياته ... تعلّل روحي بروح الجنان

(١) وكذلك هو في نسخ الديوان التي بين يدي

(٢) التي في الديوان « إذا رنا » وهي أفضل مما هنا

كبُرْد الشباب وبَرْد الشراب وظِلِّ الأمان ونَيْل الأمانى
وعهد الصِّبا ونسيم الصَّبا وصفْو الدِّنان ورَجْع القيان

وقول الثعالبى فى الأمير أبى الفضل الميكالى [من الكامل] :

لكَ فى المحاسن معجزاتٌ جمَّةٌ أبداً لغيرك فى الورى لم تجمعِ
بحران بحرٌ فى البلاغة شابَهُ شِعرُ الوليد وحسنُ لفظ الأصمعى
كالنورِ أو كالسحرِ أو كالدُّرِّ أو كالوشى فى بُرْدٍ عليه مُوَشَّعِ

* * *

شاهد التشبيه المجمل

٩١ — صدَفْتُ عنهُ ولم تَصْدِفْ مواهبهُ عنى، وعاوَدَهُ ظنى فلم يخبِ
كالغيثِ إنْ جئتهُ وافاكَ رَيِّقُهُ وإن ترحَّلْتَ عنهُ لجَّ فى الطلب

البيتان لأبى تمام، من قصيدة من البسيط (١) يمدح بها الحسن بن رجاء ابن الضحاك، أولها :

أبدَتْ أسىً أن رَأتنى مُخْلَسَ القصبِ وآلَ ما كان من عُجْبٍ إلى عَجَبِ
ستٌّ وعشرونَ تدعونى فأتبعها إلى المشيبِ ولم تظلم ولم تحِبِ (٢)
يَومى من الدهر مثلُ الدهر تجربةً حزماً وعزماً وساعى منه كالحِقَبِ (٣)
وأصغرى أنَّ شيباً لاحَ لى حدثاً وأكبرى أننى فى المهد لم أشبِ
ولاَ يؤرِّقْكِ إيماضُ القتير بهِ فإنَّ ذاكَ ابتسامُ الرأى والأدبِ

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٥) وفيه أن الممدوح بها الحسن بن سهل

(٢) فى الأصل « ولم تخب » بالخاء معجمة، وهو تصحيف ما أثبتناه « و «لم تحب» بالحاء مهملة معناه لم تأثم ولم تذنب، من الحوب وهو الاثم والذنب

(٣) في نسخ الديوان التى بين يدى

* يومى من الدهر مثل الدهر مشتهر *

والساع : جمع ساعة

يقول في مديحها .

ستصبحُ العيسُ بي والليل عندَ فتىً كثيرِ ذكرِ الرِّضى في ساعة الغضبِ[١]

وبعده البيتان

ومعنى « صدفت » أعرضت ، ورَيِّق كل شيء : أوله وأصله ، والرواية في ديوان أبي تمام « مروءته » بدل « مواهبهُ »[٢] ، و« كان » بدل « لج » .

وذكرت بقوله « فان ذاك ابتسامُ الرأي والأدب » قول أبي الحسن على بن طاهر بن منصور [من الخفيف] :

أعرَضَتْ حينَ أبصرَتْ شعراتٍ في عِذَارِي كأنهن الثَّغَامُ

قلتُ : هذا تبسمُ الدّهرِ ، قالتْ: قدسعى في صدُودِكَ الابتسامُ

والشاهد في البيتين : التشبيه المجمل المذكور فيه وصف المشبه والمشبه به ، فانه وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض ، وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه ، وهذان الوصفان مشعران بوجه الشبه ، أعني الافاضة في حالتي الطلب وعدمه ، وحالتي الاقبال عليه والاعراض عنه .

* * *

شاهد التشبيه المفصل

٩٢ — وثَغْرُهُ في صفَاءٍ وأدْمُعِي كاللآلي

البيت من المجتث ، وهو كالبيت السابق .

والشاهد فيه : التشبيه المفصل ، وهو ما ذكر فيه وجه الشبه ، وهو هنا الصفاء .

---

(١) في نسخة من الديوان

* ستصبح العيس في ذا الليل عند فتى *

(٢) في نسخة من الديوان « ولم تصدف مواهبه » وفي أخرى « ولم تصدف مودته » وفي كلتيهما « لج في الطلب »

شاهد تفصيل التشبيه

٩٣ — حَمَلْتُ رُدَيْنِيّاً كأنَّ سِنانَهُ سنَا لَهَبٍ لم يتَّصِلْ بدُخانِ

البيت لامرىء القيس، من قصيدة (١) من الطويل، أولها:

لِمَنْ طللٌ أبصَرْتُهُ فشَجَانِي كخطّ زَبورٍ في عسيبِ يمانِي (٢)
دِيارٌ لهندٍ والرَّبابِ وفَرْتَنَى ليالينا بالنَّعْفِ مِن بدَلانِ
ليالِيَ يدعونى الصبا فأجيبهُ وأعيُنُ مَنْ أهوى إليَّ رَوانِي (٣)
فإنْ أمسِ مكرُوباً فيارُبَّ بُهمةٍ كشفتُ إذا مااسودَّ وجهُ جبانِ (٤)
وإن أمسِ مكرُوباً فيارُبَّ قينةٍ مُنعمةٍ أعملتها بكِرانِ (٥)
لهَا مِزْهرٌ يعلو الخميسَ بصوتهِ أجشُّ إذَا مَا حرَّكتْهُ يدَانِ (٦)

وهي طويلة .

والرُّديني : الرمح ، نسبة إلى امرأة كان تعمل الرماح اسمها ردينة

والشاهد فيه : تفصيل التشبيه ، وهو على وجوه ، أعرفها أن يأخذ بعضاً من الأوصاف ، ويَدَعَ بعضا كما فعل امرؤ القيس هنا حيث عزل الدخان عن السنا وجرَّده .

---

(١) اقرأها في الديوان (١٨٦)

(٢) في الديوان

* كخط الزبور في العسيب اليماني *

والزبور : الكتاب المزبور أي المكتوب ، والمزبر ، بزنة المنبر : القلم ، والعسيب : سعف النخل

(٣) في الديوان « يدعوني الهوى » وروانى : نواظر ، جمع رانية

(٤) البهمة : الأمر المنبهم ، أو الشجاع الذي ينبهم أمره على قرنه

(٥) الكران : عودالطرب

(٦) المزهر : العود ، ويعلو : يغلب ، والخميس : الجيش اللجب ، وفي الديوان « حركته اليدان »

وذكرت بأبيات امرىء القيس هذه تضمين أبى الحسين الاشبيلى لبعضها وكان قد تناول من يد مُعَذَّرٍ الأشعار الستة ، فأول ما وقعت عينه على قصيدة امرىء القيس هذه ، قال [من الطويل] :

وذى صَلَفٍ خَطَّ العذارُ بخدّه ... كخطّ زَبورٍ فى عسيبِ يمانى

فقلتُ له مستفهماً كُنْهَ حالهِ ... لمنْ طللٌ أبصرته فشجانى

فقالَ ولم يملك عزاءً لنفسهِ ... تمتع من الدنيا فإنك فانى

فما كانَ إلا برْهةً إذ رأيتهُ ... كتيسِ ظباء الحُلبِ العَدَوانِ(١)

* * *

٩٤ — لم تَلْقَ هذا الوَجْهَ شمسُ نَهارِنا ... إلّا بوجهٍ ليسَ فيهِ حياءُ

شاهد التصرف فى التشبيه المبتذل

البيت للمتنبى، من قصيدة(٢) من الكامل يمدح بها هارون بن عبد العزيز الأوارجى ، وأولها :

أمِنَ ازديارَكِ فى الدُّجى الرُّقباءُ ... إذْ حَيْثُ كنتِ مِنَ الظلامِ ضياءُ

قلق المليحة وهى مسك هتكها ... ومَسيرُها فى الليل وهىَ ذُكاءُ

أسَفى على أسَفى الذى دَلَّهْتِنى ... عن علمه فبهِ علىَّ خفاءُ

وشَكِيتى فَقْدُ السَّقام لأنه ... قد كانَ لمّا كان لى أعضاءُ

مثّلت عَينكِ فى حَشايَ جراحةً ... فتشابها كلتاهما نَجْلاءُ

نَفَذَتْ علىَّ السابرىَّ وربما ... تندق فيه الصَّعْدة السمراءُ(٣)

أنا صَخْرَةُ الوادى إذا ما زُوحِمَتْ ... فإذا نَطَقْتُ فإننى الجوْزاءُ

---

(١) الحلب — بزنة سكر — نبات تأكله الوحوش فتضمر عليه بطونها، وفى الأصل « الحلب والعدوان » ، والعدوان : الجرىء .

(٢) اقرأها فى الديوان (١ — ١٢)

(٣) السابرى : الدرع الحصينة ، والصعدة : القناة المعتدلة

وإذا خفيتُ على الغبيّ فعاذرٌ أن لا ترانيَ مقلةٌ عمياء

ومنها :

فإذا سُئلتَ فلا لأنكَ محوجٌ وإذا كُتِمت وشَتْ بك الآلاء

وإذا مُدِحتَ فلا لتكسِبَ رفعةً للشاكرينَ على الإله ثناء

وإذا مُطِرتَ فلا لأنك مُجْدِبٌ يُسْقَى الخصيبُ وتمطر الدَّأْماء

والشاهد فى البيت : التصرف فى التشبيه القريب المبتذل بما يجعله غريبا ويخرجه عن الابتذال ، فان تشبيه الوجه بالشمس قريب مبتذل ، لكن حدوث الحياء عنه قد أخرجه عن الابتذال إلى الغرابة لاشتماله على زيادة دقة وخفاء ، ثم إن كان قوله « لم تلق » من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه فيه مكنى غير مصرح ، وإن كان بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبىء عن التشبيه : أى لم تقابله ولم تعارضه فى الحسن والبهاء إلا بوجه ليس فيه حياء .

ومثله قول الآخر [1] [من البسيط] :

إن السَّحابَ لتَستَحْيِي إذا نظَرَت إلى نَدَاكَ فقاسته بما فيها

***

٩٥ — عزَماته مِثْلُ النُّجوم ثَواقِباً لو لم يكن للثاقِبَاتِ أُفُولُ

شاهد التشبيه المشروط

البيت لرشيد الدين الوطواط ، من قصيدة من الكامل .

والثواقب : جمع ثاقب ، وهو النجم المرتفع على النجوم ، والأفول : الغيبة .

والشاهد فيه : كما فى البيت الذى قبله ، فان تشبيه العزم بالنجم مبتذل ، لكن الشرط المذكور أخرجه إلى الغرابة ، ويسمى هذا التشبيه المشروط ، وهو

(١) البيت لأبى نواس . وذكره العكبرى فى شرح ديوان المتنبى عند الكلام على البيت المستشهد به .

أن يقيد المشبه أو المشبه به أو كلاهما بشرط وجودى أو عدمى يدل عليه بصريح اللفظ أو سياق الكلام .

وسيأتى ذكر الوطواط فى شواهد التفريق، إن شاء الله تعالى .

***

شاهد التشبيه المؤكد

٩٦ــ وَالرِّيحُ تَعْبَثُ بالغُصُونِ وقَدْجَرَى ذَهَبُ الأصيلِ على لُجَيْنِ الماءِ

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله .

وعبث الريح بالغصون عبارة عن إمالتها إياها ، والأصيل : هو الوقت من بعد العصر إلى الغروب ، و يوصف بالصفرة ، قال الشاعر [من الطويل] :

ورُبَّ نهارٍ للفراق أصيلُهُ ووجهى كلا لونَيْهما مُتَنَاسِبُ

أبيات فى وصف الأصيل والأنهار

وما أحسن قول الخطيب أبى القاسم بن معاوية فيه [من الوافر] :

كأنَّ الموجَ فى عُبْرَيْهِ تُرْسٌ تُذَهِّبُ مَتْنَهُ كفُّ الأصيل

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لجَدْوله فى سَرْحَةِ الماء مُنْصُلٌ ولكنه فى الجذع عطفُ سِوارِ

وأمْوَاجُهُ أردافُ غيدٍ نواعمٍ تَلَفَّفْنَ بالآصال رَيْطَ نُضَارِ

ومثله لابن الأبّار [من الطويل] :

ونهرٍ كماذابَتْ سبائكُ فضَّةٍ حكى بمَحَانيهِ انعِطَافَ الأراقِمِ

إذا الشَّفَقُ استولى عليه احمِرارُهُ تبدَّى خَضيباً مثلَ دامى الصوَارم

ولابن قلاقس فى تشبيه الشمس وقت الأصيل [من مجزوء الكامل] :

والشمس فى وقتِ الأصيل بهارةٌ لُفَّتْ بوَرْدِ

وله أيضاً فى معنى ما سبق [من المتقارب] :

كأن الشعاعَ على متنه فرِندٌ بصفحة سَيْفٍ صَدِى

وأشبهَ إذ درَّجَتْه الصَّبا بُرادةَ تِبْرٍ على مِبْرَدِ

ومن بديع ما وقع لشاعر فى وصف نهر جعَّده النسيم قول ابن حمديس وقد جلس فى منتزه باشبيلية ومعه جماعة من الأدباء وقد هبت ريح لطيفة صنعت من الماء حبكا جميلة فأنشد [من الرمل] :

* حاكتِ الرِّيحُ من الماء زردْ *

واستجاز الحاضرين ، فأتوا بما لم يَرْضَ ، إلى أن قال الشاعر المشهور بالحجام مجيزاً له :

* هوَ دِرْعٌ لقِتَالٍ لوْ جَمَدْ *

ومن الأندلسيين من ينسب هذا البيت إلى أبى القاسم بن عباد .

ولابن حمديس المذكور مطلع قصيدة من وزن هذا البيت وقريب من معناه وهو [من الرمل] :

نَشَرَ الجوُّ على التُّرْبِ بَرَدْ هو درٌّ لنُحُورٍ لو جَمَدْ

لؤلؤ أصْدَافُهُ السُّحْبُ التى أنجز البارقُ فيها ما وعدْ

ومن بديع ما وقع له فيها من التشبيه أيضاً قوله [من الرمل] :

وكأن الصبحَ كفٌّ حَلَّلَتْ من ظلام الليل بالنور عُقَدْ

وكأن الشمس تجرى ذهبا طائراً من جيده فى كل يد

ومن بديع ما يذكر فى معنى البيت المستشهد به قول عبد العزيز بن المنفتل القرطبى ، أو ابن الحداد [من الكامل] :

إنى أرى شمس الأصيل عليلةً ترتاد من بين المغارب مَغْرِبَا

مالت لتحجبَ شخصها فكأنها مَدَّتْ على الدنيا بساطا مُذْهَبَا

وما أحسن قول ابن لؤلؤة الذهبى [من الطويل] :

وما ذهبتْ شمسُ الأصيل عشيةً إلى الغرب حتى ذهبتْ فضةَ النهر

وما أبدع قول الآخر أيضا [من الطويل] :

ونهرٍ إذا ما الشمسُ حانَ غروبُها عليه ولاحت فى ملابسها الصفْرِ
رأينا الذى أبقتْ به من شعاعها كأنا أرقْنا فيه كأساً من الخمرِ

وقول إبراهيم بن خفاجة أيضا [من المتقارب] :

وقدْ غشىَ النبتُ بطحاءهُ كبدو العذارِ بخدٍّ أسيلِ
وقد ولّتِ الشمسُ مُجتثةً إلى الغرب ترْنو بطرْف كحيل
كأنّ سناها على نهْرهِ بقايا نجيعٍ بسيفٍ صقيلِ

وبديعٌ أيضا قول ابن سارة هنا [من الكامل] :

النهرُ قدْ رقتْ غلالةُ صفوه وعليه من صبغ الأصيل طرازُ
تترقرقُ الأمواجُ فيه كأنها عُكَنُ الخصور تهزها الأعجازُ

وما أعذب قول الحسن بن سراج فيه [من الكامل] :

عمْرى أبا حسنٍ لقد جئتَ التى عطفَتْ عليكَ ملامةَ الاخوانِ
لما رأيتُ اليومَ ولّى عمرهُ والليل مُقْتبِل الشبيبة دانى
والشمسُ تنفضُ زعفرانا بالرُّبا وتفُتُّ مسْكتها على الغيطانِ
أطلعتها شمسا وأنتَ صباحها وحففتها بكواكب النُّعمانِ
وأتيت بِدْعاً فى الأنام مخلداً فبما قرنتَ ولاتَ حينَ قرانِ

وما أبدع قول عيسى بن لبون أيضا [من البسيط] :

لو كنتَ تشهدُ يا هذا عشيّتنا والمزنُ يسكبُ أحيانا وينحسرُ
والأرضُ مصفرةٌ بالمزن كاسيةٌ أبصرتَ تبراً عليه الدُّرُّ ينتثرُ

وبديع أيضا قول أبى العلاء المعرى [من الخفيف] :

ثمَّ شابَ الدُّجى وَخافَ من الهَجـــرِ فغطى المشيبَ بالزعفرانِ

وقول أسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة [من الكامل] :

لو كنتَ شاهدنا عشية أُنسها والمزنُ يبكينا بعينَىْ مُذْنبِ

والشمسُ قدمدّتْ أديمَ شعاعها فى الأرض تجنحُ غيرَ أنْ لم تذهبِ

خلتَ الرُّذاذَ بُرَادةً من فضةٍ قد غربلتْ من فوق نطعٍ مذهبِ

ولابن حمديس فى وصف نهر ألقت الشمس عليه حمرتها عند الشروق من أبيات [من البسيط] :

ومشرقٍ بكيمياءِ الشمس فى يدهِ ففضةُ الماء من إلقائها ذَهبُ

ومثله أيضاً قول أبى العلاء المعرى [من الطويل] :

يُظَنُّ به ذوبُ اللجين فإنْ بَدَتْ له الشمسُ أُجرتْ فوقَهُ ذوبَ عسجدِ

و بديع قول الشريف أبى القاسم شارح مقصورة حازم [من الكامل] :

وغريبةِ الانشاء سرنا فوقها والبحرُ يسكن تارةً ويموجُ

عجُنا نؤمُّ بها معاهدَ طالمَا كرمتْ فعاج الحسنُ حين تعوجُ

وامتدَّ من شمس الأصيل أمامنا نورٌ له مرأى هنـاكَ بهيجُ

فكأنَّ ماء البحر ذائبُ فضةٍ قد سالَ فيه من النضار خليجُ

و بديع قول ابن العطار ، وهو فى معنى قول ابن حمديس السابق ، وهو [من الطويل] :

مرَرْنا بشاطى النهرِ بينَ حدائقٍ بها حدقُ الأزهار تستوقف الحدقْ

وقد نسَجت كفُّ النسيم مفَاضةً عليه وما غيرُ الحباب لهـا حلقْ

وقوله أيضا [من الخفيف] :

هَبَّتِ الريح بالعشىِّ فحاكتْ زَرَداً للغـدير ناهيكَ جُنَّهْ

فانجلى البدْر بعد هَدْء فصاغتْ كفه للقتـال فيـه أسِنّهْ

والشاهد فى البيت : حذف أداة التشبيه ، و يسمى التشبيه المؤكد ، وهو هنا تشبيه صفرة الأصيل بالذهب و بياض الماء وصفائه باللجين ، وهو الفضة .

تشبيهات منوعة من غير أداة

ومن محاسن التشبيه من غير أداته قول الوأواء الدمشقى [من البسيط] :

قالوا وقد فتكتْ فينا لواحظُهَا مهلاً أما لقتيل الحب من قَوَدِ

وأسبلَتْ لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتْ وَرْدا وعضّتْ على العُنّاب بالبردِ

ومثله قول الحريرى [من البسيط] :

سألتها حين زَارتْ نَضْوَ برقعها الـــقانى و إيداعَ سمعى أطيب الخبرِ

فزحزَحت شفقاً غشّى سنا قمرٍ وساقطتْ لؤلؤا من خاتم عَطِرِ

وقوله أيضاً [من البسيط] :

وأقبلت يوم جد البين فى حُللٍ سودٍ تَعَضُّ بنان النادم الحَصِرِ

فلاحَ ليلٌ على صبح أقلّهما غصنٌ وضَرّست البلّورَ بالدُّررِ

وقول الغزى الشاعر [من البسيط] :

وما نسيتُ وما أنسى تبسُّمَهَا وملبسُ الجوّ غفلٌ غيرُ ذى علم

حتى إذا طاح عنها المِرْط من دَهَشٍ وانحلّ بالضم عقدُ السلك فى الظلم

تبسمتْ فأضـاء الجوّ فالتقطتْ حبّات منتثر فى ضـوء منتظم

وقول أبى طالب المأمونى [من الكامل] :

عزماتهم قُضُبٌ ، وفيضُ أكفهم سحبٌ ، وَبِيضُ وجوههم أقمارُ

وقول صَرَّ دُرّ [من البسيط] :

البـاذلى العرفِ والأنواء باخـلةٌ والمانعى الجارِ والأعمارُ تُختَـرَمُ

حيث الدجى النقع والفجر الصوارمُ والـ أسْدُ الفوارس والخطّيّةُ الأجَمُ

وقول محمد بن حمدون القنوع من قصيدة فى شبل الدولة بن صالح لما هزَم ملك الروم [من الكامل] :

لبسوا درُوعا من ظباكَ تقيهمُ ... كانت عليهم للحتوف شِباكا
نالت بك العربُ الغنى من مالهم ... وتقاسمت أتراكك الأتراكا
لو لم يَفِرَّ جعلت صفحة خده ... نعلا وقوسَىْ حاجبيه شِراكا

أردت البيت الأخير ، ومنه قول أبى حفص عمر المطوعى [من الوافر] :

ومعسولِ الشمائل قامَ يسعى ... وفى يده رحيقٌ كالحريق
فأسقانى عقيقاً حَشْوَ درّ ... ونقّلنى بدُرٍّ فى عقيق

وما أبدع قول أبى الحسن العقيلى [من البسيط] :

وللأقاحى قصورٌ كلها ذَهبٌ ... من حولها شُرُفاتٌ كلها دُرَرُ

ولنذكر هنا طرفا من التشبيهات على اختلاف أنواعها ، وغريب أسلوبها واختراعها ، فمن ذلك قول منصور بن كيغلغ ، وهو [من الكامل] :

طرف من التشبيهات مختلفة الأنواع

عادَ الزمانُ بمن هويتُ فأعتبَا ... ياصاحبىّ فأسقيانى واشربا
كم ليلةٍ سامرتُ فيها بدرَها ... مِن فوق دِجلةَ قبلَ أن يتغيبَا
قامَ الغلامُ يُديرها فى كفه ... فحسبت بدر التم يحمل كوكبا
والبدر يجنح للغروب كأنه ... قد سلّ فوق الماء سيفاً مُذهبَا

وأحسن ما سمع فى هذا المعنى قول التنوخى [من الكامل] :

أحسنْ بدجلةَ والدُّجى متصوبٌ ... والبدر فى أُفق السماء يغرب
فكأنها فِيهِ بساطٌ أزرَقٌ ... وَكأنه فِيها طِرَازٌ مُذْهَبُ

ولأبى فراس فى وصف الجلنار [من مجزوء الرجز] :

وجلنَارٍ مُشرق ... عَلى أعالِى شَجَرَهْ

كأنَّ فى رُؤوسهِ أحمرهُ وأصفرهْ
قُراضةً من ذهبٍ فى خِرَقٍ مُعصفرَهْ

ولأبى الفرج الببّغاء فى وصف كانون نار من أبيات ، وتُعزَى إلى السرىّ الرفاء [من المتقارب] :

وذى أرْبعٍ لا يُطيقُ النُّهوض ولا يألفُ السَّيْر فيمَنْ سَرَى
تُحمّـلهُ سَبجاً أسْوَداً فيَجعلهُ ذهبـاً أحمَرا

وله فى معناه أيضا [من مجزوء الوافر] :

وأحْدقنا بأزْهرَ خا فِقاتٍ حوْله العَـذَبُ
فما يَنفْكّ عَنْ سَبَجٍ يعُودُ كأنه ذَهبُ

وله فيه أيضا [من المنسرح] :

والتَهبَتْ نارُنا فمنظرُها يُغنيك عن كُلِّ منظرٍ عجبِ
إذا رمَت بالشّرارِ واضطرمتْ على ذرَاها مطارفُ اللّهَبِ
رأيتَ ياقوتةً مُشبكةً تَطيرُ منْها قُراضةُ الذَّهبِ

ولأبى محمد الخالدىّ فى معناه [من المنسرح] :

ومُقعدٍ لا حِراكَ يُنهضُه وهْو على أربع قد انتصبـا
مُصفرٍّ مُحْرق تنفّسُـه تخاله العيْنُ عاشـقاً وصِبا
إذا نَظمْنا فى جِيـدهِ سَبَجاً صيّرهُ بَعـد ساعةٍ ذهبا

ولأبى بكر(١) الخالدىّ فى وصف الصباح من هذه القصيدة أيضا

طوَى الظّلامُ البنودَ مُنصَرفاً حين رأى الفَجْر يَنشُرُ العذَبا
والليلُ مِن فتْكَةِ الصّباح به كرَاهبٍ شق جيْبَهُ طرَبا

وللسرىّ الرفاء فى مثله [من المنسرح] :

(١) كذا ، وقد ذكره أولا بكنية « أبى محمد »

كراهبٍ جُنَّ للهوى طرباً فشقَّ جلبابهُ من الطربِ

وله فى معناه أيضاً [من السريع] :

والفجرُ كالراهبِ قد مُزِّقتْ من طرب عنهُ الجلابيبُ

وما أحسن قول ابن حيان الكاتب أيضا [من المنسرح] :

كأنما الفحمُ والزنادُ وما تفعله النارُ فيهما لهبَا
شيخٌ مِنَ الزنج شابَ مفرقُهُ عليهِ درعٌ منسوجة ذهبَا

وقول مجير الدين بن تميم [من الكامل] :

وكأنما النارُ التى قد أُوقِدَت ما بيننا ولهيبُها المتضرمُ
سوداء أُحرِقَ قلبُها فلسانُها بسفاهةٍ للحاضرين يُكلِّمُ

وقوله أيضاً [من المنسرح] :

كأنما نارُنا وقد خمدَتْ وجمرُها بالرمادِ مستورُ
دمٌ جرى مِنْ فواختٍ ذُبِحتْ من فوقها ريشُهنَّ منشور

وقوله أيضاً [من المنسرح] :

كأنما النار فى تلهُّبها والفحمُ مِنْ فوقها يغطِّيها
زنجيةٌ شبَّكتْ أناملَها من فوق نارنجةٍ لتخفيها

وقول الآخر [من مخلع البسيط] :

كأنَّ كانوننَا سماءٌ والجمر فى وسْطِهِ نجوم
ونحنُ جنٌّ بجانبيه والشررُ الطائرُ الرجومُ

ومن بديع أيضاً قول ابن مكنسة [من المنسرح] :

إبريقنا عاكفٌ على قدحٍ كأنهُ الأمُّ ترضعُ الولدَا
أو عابدٌ مِنْ بنى المجوس إذا توهَّمَ الكأسَ شعلةً سجدَا

وفى معنى البيت الثانى قول القاضى أبى الفتح بن قادوس [من البسيط] :

وليلةٍ كاغتماض الجفن قصَّرها وصْلُ الحبيب ولم تَقْصُر عن الأمل
وكلّما رام نطقاً فى مُعاتبتى سَدَدْت فاه بنظم اللّثم والقُبـل
وبات بَدْر تمـام الحسْن مُعتنقى والشمس فى فلك الكاسات لم تفل
فبتُّ مِنْها أرى النَّار التى سَجَدَت لها المجوسُ مِن الأبريق تسْجدُ لى

ومن بديع التشبيه وغريبه قول ابن حمديس من أبيات [من الكامل] :

حمراء تَشْرَبُ بالأنوف سلافها لطفاً مع الأسماع والأحداق
بزُجاجةٍ صُوَرُ الفوارس نَقشها فترى لها حرباً بكفّ الساقى
وكأنما سفكتْ صوارِمُهَا دماً لبستْ به عزفاً إلى الأعناق
وكأنّ لِلْكاسات حُمْر غلائلٍ أزرارها دُرَرٌ على الأطواق

وما أحسن قول ابن عطية أيضاً [من السريع] :

بتنَا نُديرُ الرَّاح فى شاهق ليلاً على نَغمةِ عودَين
والنّار فى الأرض التى دوننَا مثْلُ نجوم الجوِّ فى العيْن
فيا له مِنْ مَنظرٍ مونق كأننا بيْنَ سماءيْن

وما أحسن قول الخالدىّ من قصيدة أولها [من الكامل] :

لو أشْرَقتْ لك شمْسُ ذاك الهوْدجِ لأرَتكَ سالفَتى غزَال أدْعج
أرْعَى النجومَ كأنّها فى أفْقها زَهرُ الأقاحى فى رياض بنفْسج
والمُشْترى وَسط السَّماءِ تخالُهُ وسَنَاهُ مِثْلُ الزِّئبق المترجرج
مِسْمارَ تِبْرٍ أصفَر ركَّبتَهُ فى فصِّ خاتَم فِضّةٍ فيْرُوزَج
وتمايلُ الجوْزاءِ يحكى فى الدُّجى مَيلانَ شاربِ قهوةٍ لم تمْزَج
وتنقّبت بخفيفِ غيْم أبْيض هِىَ فيهِ بين تخفّرٍ وتبرّج

كتنفس الحسناء فى المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه بديع لم يسبق إليه. ومثله قول أبى حفص بن بُرْد [من الكامل]:

والبدر كالمرآة غيّر صقلها عبث الغوانى فيه بالأنفاس

وقول ابن طباطبا العلوى [من الوافر]:

متى أبصرت شمسا تحت غيم ترى المرآة فى كف الحسود

يقابلها فيلبسها غشاء بأنفاس تزايد فى الصعود

وللخالدى فى وصف النجوم [من المنسرح]:

كأنما أنجم السماء لمن يرمقها والظلام منطبق

مال بخيل يظل يجمعه من كل وجه فليس يفترق

ولأخيه أبى عثمان الخالدى فى وصف النجوم أيضا [من مجزوء الرجز]

وليلة ليلاء فى اللون كلون المفرق

كأنما نجومها فى مغرب ومشرق

دراهم منثورة على بساط أزرق

ومن التشبيه النفيس قول ابن حمديس فى وصف خضاب الشيب [من الخفيف]:

وكأن الخضاب دهمة ليل تحته للمشيب غرة صبح

وقوله أيضاً فى تشبيه العذار من أبيات [من المنسرح]:

أو دب بالحسن فوق عارضه نمل أصاب المداد أرجلها

وقوله أيضا فى وصف الشمعة [من السريع]:

كأنها راقصة بيننا لم تنتقل بالرقص منها قدم

قائمة في مَلْبسٍ أصفَرَ قد حرَّكت منه لنا فَرْدكمْ

وبديع قوله أيضا في وصف الشيب [من مخلع البسيط] :

ولىَّ شَبَابِي وراعَ شَيْبِي منيَ سِرْبُ المَهَا وفَضَّهْ

كأنما المُشْطُ في يميني يجرُّ منهُ خيوطَ فِضَّهْ

وللوأواء الدمشقي [من الكامل] :

ولربَّ ليلٍ ضَلَّ عنهُ صَبَاحهُ وكأنَّه بك خَطْرَة المتذكرِ

والبدْر أوَّلَ ما بدا متلثِّما يبدِى الضياء لنا بخدٍ مُسْفِرِ

فكأنما هوَ خوذَة من فضةٍ قد ركِّبَتْ في هامَةٍ من عنبرِ

ولأبى طالب الرفاء فى وصف أترجة مقنعة [من الرجز] :

مُصفَرَّة الظاهر بيضاء الحشَى أبدَعَ في صنعها ربُّ السما

كأنها كَفُّ مُحِبٍّ دنِفٍ مبسَّد يحسُب أيام الجفَا

ولابن لنكك البصرى [من الوافر] :

ورَوْضٍ عَبقَرِىُّ الوَشى غَضٍّ يُشَا كل حين زُخْرِفَ بالشَّقيق

سماء زبرْجَدٍ خَضْرَاء فيها نجومٌ طالِعَات من عَقِيقْ

وللنفرى الكاتب في الباقلاء الأخضر [من الوافر] :

فُصُوصُ زبرجد في غلفِ دُرِّ بأقماع حكت تقْليمَ ظُفْرِ

وقد صاغَ الإله لها ثياباً لها لوْنانِ من بيضٍ وخُضرِ

ولعبدان الخوذى في قينة [من الطويل] :

لنا قَينَةٌ تحمى من الشُّرْب شَرْبَنا فقد أمِنوا سكراً وخَوْفَ خُمَارِ

تكَشِّرُ عن أنيَابهَا في غنائها فتحكى حماراً شمَّ بوْلَ حمارِ

وما ألطف قول عبد الله بن النطاح في أحدب [من الكامل] :

وقصيرٍ قد جمّعت أعضاؤه ليكون في باب الخلاعة أطمعا
قصُرت أخادعه وغاص قذاله فكأنه متوقع أن يُصفعا
وكأنه قد ذاق أول صفعةٍ وأحسّ ثانيةً لها فتجمّعا

و بديع قول السراج الحار يهجو امرأة سودا مزامرة [من الكامل]:

ولربَّ زامرة تهيج بزَمْرِها ريحَ البطونِ فليتَها لم تزمر
شبَّهت أنملها على صرنابها وقبيح مَبْسَمِها الشّنيع الأبخر
بخنافس قصدت كنيفاً واغتدت تسعَى إليه على خيارِ الشنبر

وهو من قول الأول يهجو زامراً أسود أيضاً [من الرجز]:

فكأنها في حلقة العيدان خنافس دبت على ثعبانِ

وقول محمد بن الحسن المصرى الكاتب [من السريع]:

رأيت يحيى إذ أفادَ الغنى هاجَ به ذكر ووسْوَاس
كأنه كلب على جيفةٍ يخاف أن يطرده الناس

وقول البسلمي في رجل لبس خلعة تطول عليه و يقصر عنها [من السريع]

كأنه لما بدا طالعاً في خلعة يقصر عن لبسها
جاريةٌ رعناء قد قدّرتْ ثياب مولاها على نفسها

ولطيف قول ابن قلاقس في عواد اسمه حسن [من الكامل]:

حسن ملاوى عوده مهْما تناوله مساوى
وكأنه إن جسّهُ من بعْدِ تحريرِ الملاوى
كلبٌ تجاذبُ كفُّه أنشوطَةَ والكلب عاوى

ولأبى طالب المأموني في رمانة تفت [من السريع]:

رمانةٌ ما زلت مستخرجاً في الجام من حقّتِهاجوْهرا

فالجام أرض و بناتى حيا يمطر منها ذهباً أحمرا

وللصادع بالحق الواثق وأجاد [من السريع] :

وليلةٍ شاب بها المفرقُ بل جَمَدَ الناظر والمنطقُ

كأنما فحمُ الغضا بيننا والنار فيه ذهبٌ محرق

أو سبج فى ذهبٍ أحمر بينهما لينوفر أزرق

وللامام أبى عامر التميمى رحمه الله تعالى [من الرجز] :

يارُب كَوْماء خَضَبْتُ نحرَها بمدية مثل القضاء السابق

كأنها والدمُ حبس حولها سَوْسَنة زرقاء فى شقائقِ

وله فى وصف الرمان [من الطويل] :

خذوا صفة الرُّمان عنى فانَّ لى لساناً عن الأوصاف غيرَ قصيرِ

حِقاق كأمثالِ الكُراتِ تضمنتْ فصوصَ بلخش فى غشاء حرير

وله فى النرجس [من الكامل] :

يانرجسا لم تَعْدُ قامته سهم الزمرد حين تنتسب

فرصافهُ عظم وقدّته قطع اللجين وفوقه ذهب

ولأبى منصور البغوى رحمه الله تعالى [من الطويل] :

تراءتْ لنا من خدْرِها بسوالفٍ كما لاحَ بدرٌ منْ خلالِ سحابِ

ولخزّ الصبا صدغاً لها فوقَ خدّها كما روّحت نارٌ بريش غرابِ

ولنصر بن يسار المروى فى تفاحة معضوضة [من الكامل] :

تفاحة قد عضّها قمر عمداً ومصَّ موضع العضّهْ

وكأن عضّته مممكة صدغٌ أحاط بوجنة غضه

وكأنما نونان قد كتبا بالمسك فى كرةٍ من الفضه

وله أيضاً [من الكامل] :

وبدا لنا بدر الدجى والليل قد شَمِلَ الأنام بفاضل الجلباب
غطى الكسوف عليه إلا لمعةً فكأنه حسناء تحتَ نقابِ

وله فى النرجس [من الرجز] :

ونرجسٍ غادرنى مابين عُجْب وعَجَبْ
كطبقٍ من فضةٍ عليه كأس من ذهب

وما أبدع قول أسعد بن إبراهيم بن بليطة [من المنسرح] :

أحببْ بنَوْر الأقاح نوَّارا عسجدُه فى لُجينه حارا
كأن ماأصفرَ من موسَّطه عليلُ قوم أتوه زوَّارا
كأن مُبْيَضَّه صقالبة كانوا مجوساً فاستقبلوا نارا
كأنه ثغر مَنْ هَوِيت وقد وضعت فيه بفِيَّ دينارا

ومن بديع ما قيل فيه قول ابن عباد الاسكندرى أيضاً [من البسيط] :

كأن شمعته من فضةٍ حُرِست خوف الوقوع بمسمارٍ من الذهب

وقول ظافر الحداد الاسكندرى أيضاً [من البسيط] :

والأقحوانة تحكى ثغْر غانيةٍ تبسمت فيه من عُجْب ومن عَجَب
كشمسة من لجيْن فى زبرجدة قد شرفت تحت مسمار من الذهب
وللشقائق جَمْر فى جوانبها بقيةُ الفحم لم تستره باللهب

ومن لطيف التشبيه قول محمد بن عبد الله بن طاهر فى الورد [من البسيط] :

أما ترى شجرات الورد مظهرة منها بدائع قد رُكبن فى قضب
أوراقها حمر أوساطها جمم صفر ومن حولها خضر من الشطب
كأنهن يواقيت يطيف بها زمرُّد وسطه شذر من الذهب

ولأبي الحكم مالك بن المرحل يصف قِصَرَ الليل ، وأجاد [من الكامل] :

وعشيةٍ سبق الصباحُ عشاءها قِصَراً فما أمسيت حتى أسفرا
مسكيّةٍ لبست حُلًى ذهبيةً وجلا تبسُّمُهَا نقاباً أحمرا
وكأن شُهْبَ الرجم بعضُ حليها عثرت به من سرعةٍ فتكسرا

وما أحسن قول صفوان بن إدريس من أبيات [من الكامل] :

والوردُ في شطِّ الخليج كأنه رَمَد ألَمَّ بمقلةٍ زرقاء

وما ألطف قول بعضهم [من السريع] :

وشادنٍ أبصرتُه راكباً في كفه جوكانه يلعب
كالبدر فوق البرق في كفه هلالةٌ والكرة الكوكب

ومثله قول الصفي الحلي ، ولم أدر أيهما أخذ من الآخر [من الكامل] :

ملك بروضٍ فوق طرف ضارباً كرةً بجوكان حناه ضِرابا
فكأن بدراً في سماء راكباً برْقاً يزحزح بالهلال شهابا

ومن بديع التشبيه قول الأستاذ علي بن الحسن بن علي بن سعد الخير في دولاب [من الكامل] :

لله دولابٌ يفيضُ بسلسل في روضة قد أينَعتْ أفنانا
قد طارحَتْهُ بها الحمائم شَجْوَها فيجيبها وَيرجِّع الألحانا
فكأنه دَنِفٌ يدور بمعهدٍ يبكي ويسأل فيه عَمَّنْ بانا
ضاقت مجاري طَرْفه عن دمعه فتفتحت أضلاعه أجفانا

وباب التشبيه واسع جداً ، تضيق الطاقة عن حصره ، وهذا القدر كاف فيه .



شواهد الاستعاره

شاهد الاستعارة التحقيقية

٩٧ - لدى أسدٍ شاكى السلاح مُقذَّفٍ

قائله زهير بن أبى سُلمَى ، من قصيدته السابقة فى شواهد الايجاز ، وسيأتى كاملا فيما بعد[١] وقبله

لعمرى لنِعْمَ الحىُّ جرَّ عليهمُ ... بما لا يواتيهم حُصَيْنُ بن ضَمْضَمِ
وكانَ طوَى كشحاً على مُسْتكنةٍ ... فلا هُوَ أبداها ولم يتقدَّمِ[٢]
وقال سأقضِى مأربى ثم أتقى ... عدوّى بألفٍ من ورائىَ مُلجمِ[٣]
فشدَّ ولم ينظر بيوتاً كثيرةً ... لدى حيثُ ألقتْ رَحْلها أم قَشْعَمِ[٤]

و بعده البيت ، والقصيدة طويلة يقول منها أيضاً:

سئمت تكاليفَ الحياة ومن يَعِشْ ... ثمانين عاماً لا أبالكَ يَسْأمِ[٥]
رأيت المنايا خَبْطَ عَشْواء من تُصِب ... تُمِتْهُ ومن تُخْطِىء يعمر فيهرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ ... وإن خالها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

وشاكى السلاح وشاكُه وشائكه : حديده ، والمقذف : الذى يقذف به كثيراً إلى الوقائع ، أو الذى رمى باللحم رميا .

والشاهد فيه : الاستعارة التحقيقية ، فالأسد هنا مستعار للرجل الشجاع وهو أمر متحقق حسا .

---

(١) الشاهد صدر بيت ، وعجزه قوله
* له لبد أظفاره لم تقلم *

(٢) فى الأصول « على مستكينة » وفيها « ولم تتقدم » وأثبتنا ما فى ديوان زهير ، وحكى فى شرح الديوان رواية أخرى « ولم يتجمجم »

(٣) فى الديوان « سأقضى حاجتى »

(٤) فى الديوان « فشد ولم يفزع » وحكى فى الشرح أنه يروى ولم ينظر كما هنا

(٥) فى نسخ المعلقات والديوان « ثمانين حولا »

شاهد ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به

٩٨ — قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ　　نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ　　شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

البيتان لابن العميد، وهما من الكامل، قالها فى غلام حسن قام على رأسه يظلله من الشمس[1]، وقال ابن النجار فى تاريخه: قرأت على إسماعيل بن سعد الله أنبأنا بكر بن على التاجر، قال: أنشدنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى الواعظ فى ولده أبى العباس، لأنه كان يقوم إذا جاءت عليه الشمس و يظلله فقال:

قامت تظللنى من الشمس　　نفسٌ أعزُّ على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب　　شَمْسٌ تظللنى من الشمس
لمّا رَأَيْتُ الشمسَ بارزةً　　سَتَّرتُ عين الشمس بالخَمْسِ
ثم استَعنتُ على التى اختَلست　　منى الفؤاد بآيةِ الكرسى

وقال ياقوت فى معجم الأدباء: كان أبو إسحاق الصابى واقفا بين يدى عضد الدولة وعلى رأسه غلام تركى جميل، فكان إذا رأى الشمس عليه حجبها عنه، فقال للصابى: هل قلت شيئا يا إبراهيم؟ فقال:

وَقَفَتْ لتحجُبنى عن الشمس　　نفسٌ أعزُّ علىّ من نَفْسى
ظلَّتْ تظللنى ومن عجب　　شَمْسٌ تُغيِّبنى عن الشمس

فسُرَّ بذلك.

والشاهد فيهما: أن إطلاق المشبه به على المشبه إنما يكون بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به، و إذا كان كذلك فيكون استعمال الاستعارة فى المشبه

---

(١) رواهما أبو منصور الثعالبى فى اليتيمة (٣-١٦٠) لابن العميد، وروى الثانى هكذا:

فأقول: واعجبا، ومن عجب　　شمس تظللنى من الشمس

استعمالا فيما وضعت له، فهنا لولا أنه ادعى له معنى الشمس الحقيقي وجعله شمسا لما كان لهذا التعجب معنى، إذ لا تعجب فى أن إنسانا حسنا يظلل إنسانا آخر.

وقريب من معنى البيتين ماحكى أن سيماء التركى غلام المعتصم كان أحسن تركى على وجه الأرض فى وقته، وكان المعتصم لا يفارقه ولا يصبر عنه محبة له ووجدا به، فاتفق أن المعتصم دعا أخاه المأمون ذات يوم إلى داره، فأجلسه فى بيت على سقفه جامات، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيماء فصاح المأمون لأحمد بن محمد اليزيدى فقال: انظر ويلك إلى ضوء الشمس على وجه سيماء، أرأيت أحسن من هذا قط؟ وقد قلت [من السريع]:

قد طَلَعت شمسٌ على شَمْسِ وزَالَتِ الوحْشَةُ بالأُنْسِ

فأجز، فقال اليزيدى بعده:

قد كُنْتُ أشْنا الشَّمْسَ من قبل ذا فصِرْتُ أَرْتاحُ إلى الشمس (١)

قال: وفطن المعتصم فعض شفتيه لأحمد، قال أحمد للمأمون: والله يا أمير المؤمنين لئن لم يعلم الأمير حقيقة الأمر منك لأقعَنَّ منه فيما أكره، فدعاه المأمون فأخبره الخبر، فضحك المعتصم، فقال له المأمون: كثر الله يا أخى فى غلمانك مثله.

ويقرب من هذا ما حكى أن المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية جلس يوما وبين يديه جارية تسقيه، فخطف البرق، فارتاعت منه، فقال ابن عباد فى ذلك [من السريع]:

روَّعها البرقُ وفى كفِّها برقٌ من القَهْوَةِ لَمَّاعُ
عجبت منها وهْىَ شمس الضحى من مثل ما تحمل ترتاعُ

---

(١) أشنا: أصله أشنأ - مهموز الآخر - فسهلت الهمزة، فصارت حرف مد من جنس حركة ما قبلها

ثم أنشد الأول لعبد الجليل بن وهبون المرسى واستجازه فقال :

ولَنْ ترى أعجب من آنسٍ من مثل ما يُمْسِكُ يرتاع

ترجمة ابن العميد

وابن العميد [١] هو: أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ، ولسان الجبل ، وعماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، قال فى حقه أبو منصور الثعالبى كان أوحد العصر فى الكتابة ، وكان يدعى الجاحظ الآخر ، والأستاذ والرئيس ، ويضرب به المثل فى البلاغة [وينتهى إليه فى الاشارة بالفصاحة والبراعة مع [٢]] حسن الترسل وجزاله الألفاظ وسلاستها ، مع براعة المعانى ونفاستها ، وما أحسن [وأصدق] ما قاله الصاحب وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها : بغداد فى البلاد كالأستاذ فى العباد . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد . وقد أجرى ذكرهما معا [٢] أبو محمد [عبد الله بن أحمد] الخازن فى قصيدة مدح بها الصاحب بن عباد حيث وصف بلاغته فقال [من البسيط] :

دعوا الأقاصيصَ والأنباء ناحيةً فما على ظهرها غير ابن عبَّادِ
والى بيَانٍ متى يُطْلق أعِنَّتَهُ يدَعْ لسان إيادٍ رهْنَ أقيادِ [٣]
ومُورِدٌ كَلمَاتٍ عَطَّلَتْ زهراً على رياضٍ ودرّا فوقَ أجيادِ [٤]
وتاركٌ أولاً عبدَ الحميدِ بهـا وابنَ العميد أخيراً فى أبى جادِ

---

(١) تجد لأبى الفضل بن العميد ترجمة ضافية فى يتيمة الدهر للثعالبى (٣ - ١٣٧ - ١٦٢ مصر) وفى ابن خلكان (٢ - ٤٦٣)

(٢) زيادة عن يتيمة الدهر

(٣) أشار بلسان إياد إلى قس بن ساعدة الايادى خطيب العرب فى الجاهلية ومضرب المثل فى الفصاحة

(٤) فى الأصل « كلمات عطرت زهرا » وأثبتنا ما فى اليتيمة

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كَلالَة ، بل كان كما قال ذو الرمة فى وصف صائد حاذق [من البسيط] :

* ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب *

لأن أباه أبا عبد الله الملقب بكله كان فى الرتبة الكبرى من الكتابة ، وكان قد تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر ، وكان يحضر ديوان الرسائل فى محفة لسوء أثر النِّقْرِس فى قدمه ، وفيه يقول أبو القاسم الاسكافى وكان يكتب فى ديوانه إذ ذاك ويرى نفسه أحق منه برتبته ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه [من الكامل] :

يا ذا الذى رَكِب المحفَّـ ـةَ جامعاً فيها جهازهْ
أترى الإله يُعِيشُنى حتَّى يرينيها جنازهْ[1]

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبى عبد الله منيته ، ووافت أبا القاسم أمنيته وتولى ديوان الرسائل ، فسبق من قبله وأتعب من بعده ، ولم يزل أبو الفضل هذا فى حياة أبيه و بعدوفاته بالرى وكورة الجبل وفارس يتدرج إلى المعالى ، ويزداد فضلا و براعة على الايام والليالى ، حتى بلغ ما بلغ واستقر فى الذروة من وزارة ركن الدولة ورياسة الجبل وخدمة الكبراء ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب المتنبى عند صدوره من حضرة كافور الاخشيدى فمدحه بتلك القصيدة المشهورة التى منها يقول [من الكامل] :

من مبلغ الأعرابِ أنِّىَ بَعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافنى من ينحر البِدَرَ النُّضار لمن قرى
وسمعتُ بطليموس دَارِسَ كتبِهِ مُتملِّكاً متبدياً متحضرا[2]

---

(١) فى الاصول « الاله يغيثنى » محرفا، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

(٢) فى الأصل « مارس كتبه » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة وديوان المتنبى، وثلاثة الابيات ليست متصلة فى الديوان

ولقيتُ كلّ الفاضلين كأنما ... رَدَّ الإلهُ نفوسهم والأعصرَا

ومنها :

نسقوا لنا نَسقَ الحساب مقدمًا ... وأتى فذلكَ إذ أتيت مؤخَّرًا(١)

بأبي وأمي ناطقٌ في لفظهِ ... ثمن تباعُ له القلوبُ وتشترَى(٢)

قطفَ الرجالُ القولَ قبلَ نباتهِ ... وقطفتَ أنتَ القول لما نوّرَا

ومدحه الصاحب بن عباد بقصائد كثيرة استفرغ فيها جهده ، فمنها قوله فيه(٣) [من الخفيف] :

منْ لقلبٍ يهيم في كل وادي ... وقتيلٍ للحب من غير وادي

إنما أذكر الغوانيَ والمقصـ ... ـدُ سعدى تكثُّراً للسوادِ

وإذا ما صدقتُ فهْيَ مرامي ... ومُرادي وَرَوْضتي ومرَادي(٤)

وندَى ابنِ العميد إنى عميدٌ ... من هواها أليةَ الأمجادِ

لوْ درَى الدّهرُ أنه من بنيهِ ... لازْدَرى قدرَ سائرِ الأولاد

أو رأى الناسُ كيف يهتزُّ للجو ... دِ لما عدّدوهُ في الأطوادِ

---

(١) في الأصل « وأتوافدى لك » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في الديوان قال الواحدى : معناه جمع لنا الفضلاء في الزمان ، ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود ، فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم ، مثل الحساب يذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب في آخر الحساب : فذلك كذا وكذا ، فيجمع في الجملة ما يذكر في التفصيل ، كذلك أنت جمع فيك ما تفرق فيهم من الفضائل والعلم والحكمة .

(٢) في الديوان واليتيمة « ثمن تباع به القلوب »

(٣) الأبيات في اليتيمة (٣ ـ ١٤٠) ضمن ثلاثة عشر بيتا

(٤) في اليتيمة « ومنائى وروضتي » وما هنا أحسن

وله أيضا (١) [من الكامل] :

قالوا رَبيعك قد قَدِمْ فلكَ البشارةُ بالنِّعَمْ
قلتُ الربيعُ أخو الشتا ءِ أم الربيع أخو الكرمْ ؟
قالوا الذى بنواله يُغْنَى المقلّ من العَدَمْ
قلتُ الرئيسُ ابنُ العميـ د إذاً فقالوا لى نعمْ

ولبعضهم (٢) فيه عند انتقاله إلى قصرٍ جديد قد بناهُ ، وهو مُستبدع [من البسيط] :

لا يعجبنَّكَ حسنُ القصر تنزلهُ فضيلة الشمس ليستْ فى منازلها
لو زِيدتِ الشمسُ فى أبراجها مائةً ما زاد ذَلك شيئاً فى فضائلها

وهذه نبذة من محاسن نثره :

فصل من رسالة كتب بها إلى أبى العلاء السروى ـ كتابى ، جعلنى الله تعالى فداكَ ، وأنا فى جد وتعب منذ فارقت شعبان ، وفى جهد ونصب من رمضان ، وفى العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم ومرتهن بتضاعف حرّ ، لو أن اللحم يَصْلَى ببعضه غريضا ، أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهواجر ، يكاد أُوراها يذيبُ دِماغ الضَّبُّ ، ويصرف وجه الحرباء عن التحنف (٣) ، ويزويه عن التنصر ، ويقبض يده عن إمساك ساق وإرسال ساق .

ويترك الجأبَ فى شغل عن الحقب ويقدح النارَ بين الجلد والعصب

---

(١) أربعة الأبيات فى اليتيمة (٣ ـ ١٤١)
(٢) البيتان فى اليتيمة (٣ ـ ١٤٢) وقد نسبهما أبو منصور إلى أبى على مسكويه.
(٣) فى اليتيمة « عن التحنق » وفيها « ويزويه عن التبصر »

ويغادر الوحش قد مالت هواديها [من الطويل] :

سجودًا لدى الأرطى كأنّ رؤسها علاها صداعٌ أوفواقٌ يصورها

كما قال الفرزدق [من الطويل] :

ليوم أتى دون الظلال شموسه تظل المها صُوراً جماجمُها تَغْلِي (١)

وكما قال مسكين الدارمى [من الطويل] :

وهاجِرَةٍ ظلت كأنّ ظباءها إذا ما اتقتها بالقُرون سجودُ

تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها كما لاذ من وَخْزِ السنان طريدُ

ومَمْنوٌ بأيام تحاكى ظل الرمح طولا ، وليال كإبهام القطاة قصراً ، ونوم كلاولا

قلة ، وكحسو الطائر من الماء الثماد دقة ، وكتصفيقة الطائر المستحر خفة :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رَأَوها أقشعتْ وَتجلتِ (٢)

وكنَقْر العصافير ، وهى خائفة من النواطير يانعَ العنب (٣) ، وأحمد الله

تعالى على كل حال ، وأسأله أن يعرفنى بَرَكَتَه ، ويلقينى الخير فى أيامه

وخاتمته ، وأرغب إلى الله أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف

حركته ، ويعجل نهضته ، وينقص مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة

الطول من ساعاته ، ويردّ علىّ غرة شوال ، فهى أسرُّ سائر الغرر عندى ،

وأقرها لعينى ، وُيسمعنى النعرة فى قفا شهر رمضان ، ويعرض علىّ هلاله أخفى

من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأضنى من قيس

---

(١) في اليتيمة « أتت دون الظلال شموسه » والبيت ليس في ديوان الفرزدق .

(٢) فى اليتيمة « فلما رجوها »

(٣) هذه الجملة مأخوذة من لفظ بيت من المنسرح وهو :

نقر العصافير وهى خائفة من النواطير يانع العنب

ابن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور ، ويرسل على رقاقته التى يغشى العيون ضوءها ، ويحط من الأجسام نوءها ، كلفا يغمرها ، وكسوفا يسترها ، ويريه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة ، وينقص من أطرافه كما تنقص النار من أطراف الزند ، ويبعث إليه الأرضة ، ويهدى إليه السوس ، ويغرى به الدود ، ويبليه بالفأر ، ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالنمل ، ويجتحفه بالذر[1] ، ويجعله من نجوم الرجم ، ويرمى به مسترق السمع ، ويخلصنا من معاودته ، ويريحنا من دوره ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان[2] ، ويصنع به صنيعه بالألوان ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه ، وتهتك بطلوعه ، ويرحم الله عبداً قال آمينا ، وأستغفر الله جل وجهه مما قلته إن كرهه ، وأستعفيه من توفيق لما يذمه ، وأسأله صفحا يفيضه ، وعفواً يسبغه ، وحالى بعد ما شكوت صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر .

ومن فصوله القصار الجارية مجرى الأمثال ، قوله : متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى ؟ . خير القولُ ما أغناك جده ، وألهاك هزله . الرتب لا تبلغ إلا بتدرّج وتدرب ، ولا تدرك إلا بتجشم كلفة وتصعب . المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه . المرء يبذل ماله فى إصلاح أعدائه ، فكيف[3] يذهل العاقل عن حفظ

---

(١) فى الأصل « ويجتحنه » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

(٢) فى الأصل «فعله بالشكلان» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة والعرب تعتقد أن ضوء البدر يبلى الكتان وعلى هذا جاء قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته　　قد زر أزراره على القمر

وهو الشاهد (رقم ٩٩) من الشواهد المشروحة فى هذا الكتاب فارجع إلى شرحه

(٣) فى الأصل « فكيف يذهب العاقل من حفظ أوليائه » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة .

أوليائه ؟. هل السيد إلا من يهابه إذا حضر، وتغتابه إذا أدبر . اجتنب سلطان الهوى وشيطان الميل . المرح والهزل[1] بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر، وخلان إذا لقحا لم ينتجا غير الشر .

ومما أخرج له من الشعر[2] قوله [من الكامل] :

آخ الرجالَ من الأبا عد، والأقاربَ لا تُقارب

إن الأقارب كالعقا رب بل أضر من العقاربْ

وكتب إلى العلوى[3] [من المقتضب] :

يا من تخلى وولى وصدَّ عنى وملاَّ

وأوسع العهد نَكْثاً وأتبع العقد حلاَّ

ما كان عهدك إلا عهد الشبيبة ولى

أوْ طائفاً منْ خيالٍ ألَمَّ ثمَّ . تولّى

أو عارضاً لاحَ حتّى إذا دَنا فتَدلى

ألوَتْ بهِ نَسمات من الصَّبا فتجلّى

أهْلاً بِما تَرْتضيهِ فى كلِّ حالٍ وسهلاَ

ليَجزيَنّكَ وُدّى بمثْل فعْلِكَ فعْلاَ

إنْ شِئتَ هجْراً فهجراً أو شئتَ وَصْلاً فوَصلا

صبَرْتَ عنّى فانظرْ ظفِرتَ بالصَّبر أمْ لا

---

(١) فى اليتيمة « المزح والهزل » ولكل واحدة من العبارتين وجه

(٢) هذان البيتان فى ابن خلكان عن أبى الفضل الميكالى فى كتابه المنتحل وفى اليتيمه (٣ - ٢٤ بيروت)

(٣) هذه الأبيات فى اليتيمة (٣ - ١٩ بيروت)

إني إذا الخِــلُّ ولّى وليتــُــهُ ما تولّى

وكتب إلى أبي الحسن بن هندو وأرسلها إليه صبيحة عرسه [من الكامل]:

انعمْ أبا حسن صباحا وازددْ بزوجتك ارتياحا

قدْ رضتَ طرفكَ خاليا فهل استلنتَ لهُ جماحا

وقدحتَ زندكَ جاهداً فهل استبنتَ لهُ انقداحا

وطرقتَ منغلقاً فهلْ سنَّ الالــه انفتاحا

قدْ كنتُ أرسلتُ العيو نَ صباحَ يومِكَ والرّواحا

وبعثتُ مُصغيــةً تبيت لديكَ ترتقبُ النّجاحا

ففدتْ عليّ بجملةٍ لم تولني إلاّ افتضاحا

وشكتْ إليّ خلاخلاً خرساً وأوشحةً فصاحا

منعت وساوسها المنا مع أن تحسَّ لكمْ صياحا

وللصاحب ابن عبّاد في هذا المعنى إلا أنه أقرب في التصريح [من السريع]

قلبي على الجمرة يا ابا العلا فهل فتحتَ الموضع المقفلا

وهل فككت الختم عن كيسه وهل كحلت النّاظر الأكحلا

إن قلتَ يا هـذا نعم صادقاً أبعثْ نثاراً يملأ المنزلا[1]

وإنْ تجبنى مِنْ حياء بلاَ أبعثْ إليكَ القطنَ والمِغزلاَ

ولابن العميد في المغني القرشيّ [من الوافر]:

إذا غنّانيَ القرشيُّ يوماً وعنّاني برؤيتــه وضربهْ

وددتُ لوَ انّ أذني مثلُ عيني هناكَ وأنّ عيني مثلُ قلبهْ

---

(١) في اليتيمة * إنك إن قلت نعم صادقا *

وللوزير المهلبي فيه أيضاً [من مجزوء الوافر] :

إذا غنّانيَ القُرَشي دعوْتُ الله بالطَّرش
وَ إنْ أبصرْتُ طَلعتهُ فَوالهفي على العَمَش

واجتمع عند ابن العميد يوما أبو محمد [بن] هندو ، وأبو القاسم بن أبي الحسين ، وأبو الحسين بن فارس ، وأبوعبدالله الطبرى ، وأبوالحسن البديهيّ ، فحياه بعض الزائرين بأترجة حسنة فقال لهم: تعالوا نتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدئ فعل ، فابتدأ وقال [من الطويل] :

* وأُتْرُجَّةٍ فيهـا طبـائعُ أرْبعُ *

فقال أبو محمد :

* وفيها فُنونُ اللَّهْو والشرب أجْمَعُ *[1]

فقال أبو القاسم :

* يُشبِهُها الرَّائي سـبيكةَ عَسْجَدٍ *

فقال أبو القاسم بن أبي الحسين[2] :

* على أنها منْ فَأرةِ المِسْكِ أضْوَعُ *

فقال أبوعبد اللهِ :

* وما اصفرَّ منْها اللَّوْنُ للْعشْق والهوى *

فقال أبوالحسن :

* ولـكِنْ أرَاها لِلْمحبِّين تجْمَعُ *

وكان ابن العميد متفلسفاً متَّهماً برأي الأوائل ، ويقال : إنه كان مع فنونه لا يدري الشرع ، فاذا تـكلم أحد بحضرته في أمر الدين شق عليـه وخَنَسَ ثم

---

(١) في اليتيمة * وفيها فنون اللهو للشرب أجمع *
(٢) هكذا في أصول الـكتاب ، وأظنه « فقال أبو الحسين بن فارس »

قطع على المتكلم فيه ، وكان قد ألف كتابا سماه الخلق والخلق ولم يبيضه ، ولم يكن الكتاب بذاك ، ولكن جعس الرؤساء خبيص ، وصنان الأغنياء ند .

وتوفى فى سنة ثلثمائة وستين(١) .

ترجمة أبى الفتح ابن ابن العميد

وقام ابنه علىّ أبوالفتح ذو الكفايتين(٢) مقامه ، إذ هو ثمرة تلك الشجَرَة ، وشبل ذلك القَسْوَرَه * وحقّ على ابنِ الصقْر أن يشبه الصقْرا * وما أصدق قول الشاعر [من الكامل] :

إنّ السَّرِىّ إذا سرا فبنَفْسِهِ وابنُ السّرِىّ إذا سرا أسراهما

وَكان نجيباً ، ذكياً لطيفا سَخياً رفيع الهمة ، كامل المروءة ، تأنق أبوه فى تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره وفضلاء وقته ، وخرج حسن الترسّل متقدّم القدَم فى النظم ، آخذا من محاسن الأدب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال ، وعلى مدى بعيد من الاكتهال ، وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة بن بويه لُقِّبَ بذى الكفايتين ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وطاب ذكره ، وجرى أمره أحسن مجرى ، إلى أن توفى ركن الدولة وأفضتْ حال أبى الفتح إلى ما سيذكر قريباً بمشيئة الله تعالى وعَونه .

ومن طرف أخباره أن أباه كان قد قَيَّض جماعة من ثقاته فى السرّ يشْرفون على ولده الأستاذ أبى الفتح فى منزله ومكتبه ، ويشاهدون أحواله ، ويَعُدُّون أنفاسه وأفعاله ، ويُنْهون إليه جميع ما يأتيه ويَذَرُه ، ويقوله ويفعله ،

---

(١) ذكر ابن خلكان هذا وقولا آخر أنه توفى فى سنة تسع وخمسين وثلثمائه

(٢) تجد ترجمة أبى الفتح ذى الكفايتين على بن محمد بن الصاحب بن عباد فى يتيمة الدهر للثعالبى تالية لترجمة أبيه (٣ ـ ١٦٢ مصر) وقد أبى المؤلف إلا أن يقرنهما هنا مع أن صلة الموضوع بأبى الفتح بعيدة

فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المترفون من عقد مجلس أنس واتخاذ النـدماء وتعاطى ما يجمع شمل اللهو فى خفية شـديدة واحتياط تام ، وأنه فى تلك الحال كتب رقعة إلى بعض أصدقائه فى اسـتهداء الشراب ، فحمل إليهم مايصلح لهم من المشروب والنُّقْل والمشموم ، فدس أبوه إلى ذلك الانسان مَنْ أتاه بالرقعة ، فاذا فيها بخطه : بسم الله الرحمن الرحيم ، قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاك ياسيدى ومولاى رقدةً من عين الدهر ، وانتهزت فرصة من فُرَص العمر ، وانتظمت مع أصحابى فى سمط الثُّريَّا ، فان لم تحفـظ علينا النِّظام باهداء المدام ، عدنا كبنات نعش والسلام ، فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجابا بهذه الرقعة البـديعة ، وقال : الآن ظهرلى أمر براعتـه ، ووثقت بجريه فى طريقى ، ونيابته منابى ، ووقَّع له بألفى دينار .

وحكى أبوالحسين بن فارس قال : كنت عند الأستاذ أبى الفتح فى يوم شديد الحر ، فرمت الشمس بجمرات الهاجرة ، فقال لى : ماقول الشيخ فى قلبه ؟ فلم أُحِرْ جوابا لأنى لم أفْطِنْ لما أراد ، ولما كان بعد هُنَيَّةٍ أقبل رسول والده الأستاذ يستدعينى إلى مجلسه ، فلما مثَلت بين يديه تبسّم ضاحكا إلىّ ، وقال : ما قول الشيخ فى قلبه ؟ فبُهِتُّ وسكت وما زلت متفكراً حتى تنبهت أنه يريد الخيش وكأنّ مَنْ يشرف على أبى الفتح من جهة أبيه أتاه بتلك اللفظة فى تلك الساعة ، فأفرط اهتزازه لها ، وقرأت صحيفة السرور فى وجهه ، ثم أخذت أتحفه بنكت نظمه ونثره ، فـكان مما أعجب به واستضحك له رقعة له وردت على ، وصدرها : وصلت رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقة ، وأقصر من أنملة نملة .

قال أبو الحسين : وجرى فى بعض أيامنا ذكـر أبيات استحسن الرئيس الأستاذ وزنها واستحلى رويها ، وأنشد كل من الحاضرين ما حضره على ذلك وهو قول القائل [من المقتضب] :

لئن كففتَ وإلاَّ شققتُ منك ثيابى[١]

فأصغى الأستاذ أبو الفتح ثم أنشد فى الوقت وقال :

يا مولَعاً بعذابى أما رحمتَ شبابى
تركتَ قلبى قريحاً نَهْبَ الأسى والتصابى
إن كنتَ تُنكِر مابى من ذِلّتى واكتئابى
فارفعْ قليلا قليلا عن العظامِ ثيابى

وله من نوروزية[٢] [من الكامل] :

أَبْشر بنورُوزٍ أتاكَ مبشرا بسعادةٍ وزيادةٍ ودوامِ
واشربْ فقد حلَّ الربيعُ نقابَهُ عن منظرٍ متهللٍ بسَّامِ
وهديَّتى شعر عجيب نظمُهُ ومديحُهُ يبقى على الأيامِ
فاقبلْهُ واْقبلْ عذرَ مَن لم يستطعْ إهداء غير نتيجة الأفهامِ

ومن بدائعه المشهورة قوله من قصيدة [من الكامل] :

عُودى وماء شبيبتى فى عودى لا تَعمدى لِقَاتلِ المعمودِ
وصِليه مادامتْ أصائلُ عيشهِ تُؤويه فى ظلٍّ لها ممدودِ[٣]
مادام من ليلِ الصِّبا فى فاحمٍ رجل الذرى متهدلِ العُنقودِ[٤]
قبلَ المشيبِ وطارقاتُ جُنُودِهِ يُبْدِلْنَهُ يَقَقا بِسُحْمٍ سُودِ[٥]

ومن شعره [من الخفيف] :

---

(١) فى الأصل «لئن كففت عنى وإلا » ولا شك أن كلمة «عنى» مزيدة لامحل لها ، وهى تخل بالوزن ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة (٣ - ١٦٤)

(٢) يريد من قصيدة قيلت فى عيد النيروز

(٣) فى اليتيمة « تؤويه فى فىء »

(٤) فى اليتيمة « فينان كالعنقود »

(٥) فى اليتيمة « قبل المشيب فطارقات جنوده» وما هنا أدق

أين لى من يَفِي بشكر الليالى   إذْ أضافتْ خيالها وخيالى
لم يكنْ لى على الزمانِ اقتراحٌ   غيرَهـا منيةً فجـادَ بها لى

ومنه [من الطويل] :

إذا أنا بُلِّغْتُ الذى كنت أشتهى   وأضعافَهُ ألفاً فـكِلْنِى إلى الخمر
وقل لنديمى قمْ إلى الدهر واقترح   عليه الذى يهوى وكلنى إلى الدهر

يحكى أنه سر يوماً وطلب الندماء وهيأ مجلساً عظيما بآلات الذهب والفضة والمغانى والفواكه ، وشرب بقية يومه وعامة ليلته ، ثم عمل شعراً وغَنَّوْه به وهو هذا [من المتقارب] :

دعوتُ الغِنا ودعوت المنى   فلمـا أجابا دعوتُ القَدَحْ
إذا بلغ المـرء آمالَهُ   فليس له بعدها مُقْتَرَحْ

وكان ذلك بعد تدبيره على الصاحب و إبعاده عن ركن الدولة وانفراده بالدست كما سنذكره، ثم طرب بالشعر وشرب إلى أن سكر ، وقال: غطوا المجلس لأصطبح عليه غداً ، وقال لندمائه : باكرونى ، ثم نام ، فدعاه مؤيد الدولة فى السحر وقبض عليه وأخذ ما يملكه ثم قتله ، وكان من خبر ذلك أنه لما توفى ركن الدولة وقام بعده ولده مؤيد الدولة مقامه خليفةً لأخيه عضد الدولة أقبل من أصبهان إلى الرى ، ومعه الصاحب أبو القاسم بن عباد فخلع على أبى الفتح هذا خلع الوزارة ، وألقى إليه مقاليد المملكة والصاحب على حالته فى الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به وشدة الحظوة لديه ، فكره أبو الفتح مكانه ، وأساء به الظن ، فبعث الجندَ على أن يشغبوا عليه ، وهموا بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان ، وأسرَّ فى نفسه الموجدة على أبى الفتح ، وانضاف إلى ذلك تغير عضد الدولة واحتقاده عليه أشياء كثيرة فى أيام أبيه و بعدها، منها ممايلته عز الدولة بختيار ، ومنها ميل القواد إليه بل غلوهم فى موالاته ومحبته ، ومنها ترفعه عن التواضع له فى مكاتباته ، واجتمع رأى الأخوين على اعتقاله وأخذ أمواله ، ولما قبض عليه بَدَرَتْ منه كلمات

أيضا نقلت إلى عضد الدولة فزادت فى استيحاشه منه ، وأنهض من حضرته من طالبه بالأموال وعذبه بأنواع العذاب ، ويقال : إنه سَمَلَ إحدى عينيه ، وقطع أنفه وجز لحيته

وفى تلك الحال يقول وقد أيس من نفسه واستأذن فى صلاة ركعتين ودعا بدواة وقرطاس وكتب [من السريع] :

بدِّلَ من صورتِىَ المنظرُ لكنَّهُ ما غُيِّرَ المخبرُ
ولستُ ذا حُزْنٍ على فائتٍ لكن على من باتَ يَستعبِرُ
ووالهِ القلب لما مسنى مُستَخبِرٌ عنى ولا يُخبَرُ

وحدث أبو جعفر الكاتب ، قال : كان أبو الفتح قبل النكبة التى أتت على نفسه قد لهج بانشاد هذين البيتين فى أكثر أوقاته ولست أدرى أهُمَا له ، أم لغيره ، وهما [من الرمل] :

سكنَ الدُّنيا أناسٌ قبلنا رَحلوا عنها وخَلَّوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ونُخَلِّيها لقومٍ بعدنا

ولما تيقن بهلاكه وأنه لاينجومنهم ببذل المال مد يده إلى جيب جبة كانت عليه ففتقه عن رقعة فيها مكتوب مالا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره وألقاها فى كانون كان بين يديه ، ثم قال للموكل به المأمور بقتله : اصنَعْ ما أنت صانع ، فوالله لا يَصِلُ من أموالى المستورة إلى صاحبك الدرهمُ الواحد ، فما زال يَعْرضه على العذاب ويُمَثِّل به حتى تلف .

وفيه يقول بعضُ الشعراء المتعصبين له :

آلَ العميدِ وآلَ بَرْمك مالكُمْ قَلَّ المُعِينُ لكُمْ وقَلَّ النَّاصِرُ
كان الزمان يحبكم فبَدَاله إنَّ الزمان هو المحبُّ الغادرُ

ورثاه كثير من الشعراء بغرر القصائد

من شواهد ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به

٩٩ — لاَ تعجَبوا مِنْ بلى غِلاَلَتِهِ   قَدْ زُرَّ أزرارهُ علَى القَمرِ

البيت لأبى الحسن بن طباطبا العلوى، من المنسرح، وقبله :

يا منْ حكى المـاءَ فرطَ رِقَّتِهِ   وقلبـهُ فى قسـاوة الحـجرِ

يا ليتَ حظى كحظِّ ثوبكَ مِنْ   جسمكَ يا واحداً من البشر

و بعده البيت ، و رأيته بلفظ :

* قد زُرَّ كِتَّانُها علَى القمرِ *

ولعله أبلغ فى المراد ، والغِـلالة — بكسر الغـين المعجمة — شعار يلبس تحت الثوب .

والشاهد فيـه : ما فى البيت الذى قبـله ، لأنه لو لم يجعله قمراً حقيقياً لمـا كان للنهى عن التعجب معنى ، لأن الكتان إنمـا يُسْرع إليـه البِلَى بسبب ملازمته للقمر الحقيقى ، لا بسبب ملابسـة إنسان كالقمر حسنا ، ورُدَّ كون الاستعارة مجـازاً عقليا : بأن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يقتضى كونها مستعملة فيما وضعت له ، للعلم الضرورى بأنها مستعملة فى الرجل الشجاع مثلا ، والموضوع له هو السبب المخصوص ، وأما التعجب والنهى عنه فى البيت والذى قبله فللبناء على تناسى التشبيه ، قضاءً لحق المبالغة ، ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصـلا ، حتى إن كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهى عنه يترتب على المشبه أيضا .

ترجمة ابن طباطبا العلوى

وأبو الحسن ابن طباطبا ، اسمه محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، طباطبا ، بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، رضى الله تعـالى عنهم ! وهو شاعر مفلق ، وعالم محقق ، مولده بأصبهان ، و بها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمـائة ، وله عقب كثير بأصبهان فيهم علماء ،

وأدباء ، ومشاهير . وكان مذكورا بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد .

وله من المصنفات كتاب « عيار الشعر » ، وكتاب « تهذيب الطبع » ، وكتاب « العروض » ، ولم يسبق إلى مثله .

ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتا ، ليس فيها راء ولا كاف ، أولها [من الكامل] :

يا سيداً دانتْ له الساداتُ ... وتتابعت فى فعله الحسناتُ

يقول منها فى وصف القصيدة :

ميزانها عندَ الخليلِ معدَّلٌ ... متفاعلنْ متفاعلن فعلاتٌ

لو واصلُ بنُ عطاء البانى لها ... تليتْ توُهم أنها آياتُ

ومن شعره يهجو أبا على الرستمى ويرميه بالدعوة والبرص [من الخفيف] :

أنتَ أعطيتَ من دلائل رسل الله آيَاتها علوتَ الرؤسَا

جئتَ فردًا بلا أبٍ ، وبيمنا ... كَ بياضٌ ، فأنتَ عيسى وموسى

ات فى معنى
ده القمر
ب الكتان

وما أحسن قول أبى المطاع ناصر الدولة ابن حمدان فى معنى البيت المستشهد به [من البسيط] :

ترى الثيابَ من الكتان يلمحها ... نورٌ من البدر أحياناً فيبليها

فكيفَ تنكر أن تبلى معاجرُها ... والبدرُ فى كل وقتٍ طالعٌ فيها

وقال منصور البستى ، المعروف بالغزال ، فيه من قصيدة ، يصف الساقى [من الكامل] :

ومشى بكتانٍ تخلتُ عناكبا ... نسجت على الياقوت ثوب قتامِ

أعجِبْ ببدرٍ سالمٍ كتانُهُ ... وبه يحرق أنفسَ الأقوامِ

وَمثله قول الآخر [من المديد] :

كيفَ لا تبْلَى غلائلُهُ وَهْوَ بَدْرٌ وهيَ كتانُ

* * *

١٠٠ — فان تعافُوا العدلَ والايمانَا فانَّ فِى إيمَانِنَا نيرَانَا

شاهد القرينة اللفظية للاستعارة

قائله بعض العرب ، من الرجز .

والشاهد فيه : ذكر القرينة فى الاستعارة ، لأنها مجاز ، ولا بد لها من قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له ، وهى : إما أمر واحد أو أكثر ، وهو هنا قوله « تعافوا » فان تعلقه بكلٍّ من العدل والايمان قرينة دالة على أن المراد بالنيران السيوف : أى سيوفا تلمع كشعل النيران ، لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتُلْجَئُون إلى الطاعة بالسيوف .

* * *

١٠١ — وصاعقةٍ من نَصْله تَنْكَفِى بها على أرْؤُسِ الأقران خمسُ سَحائِبِ

شاهد مجىء القرينة معانى ملتئمة

البيت للبحترى ، من قصيدة [1] من الطويل ، أولها :

هَبِيهِ لمنهلّ الدموع السواكبِ وهَبَّاتِ شوقٍ فى حَشاه لوَاعِبِ

وإلا فَرُدِّى نظرَةً فيه تَعْجَبِى لما فيه أو لا تحفلى بالعجائب [2]

وهى طويلة ، والرواية فيه « وصاعقة فى كفه » كما فى الديوان [3] وبعده :

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ - ٧٢)

(٢) فى الديوان « أو لا تحفلى للعجائب »

(٣) فى نسخة الديوان المطبوعة بمصر « وصاعقة من نصله » كما فى نسخ التلخيص

يكادُ الندى منها يفيض على العدَا لَدَى الحرب في ثنيَى قنا وقوَاضبِ

والصاعقة : الموت ، وكل عذاب مهلك ، وصيحة العذاب ، والمخراق الذى بيد الملك سائِقِ السحاب ، ولا يأتى على شيء إلا أحرقه ، أو نار تسقط من السماء ، والانكفاء : الانقلاب ، والأرؤس : جمع رأس ، والأقران: جمع قرن ، وهو الكفْء.

والشاهد فيه : مجيء القرينة معانى ملتئمة ، مربوطة بعضها ببعض ، يكون الجميع قرينة ، لا كل واحد ، فههنا أراد بخمس سحائب أنامل الممدوح الخمس التى هى فى الجود وعموم العطاء سحائب : أى يَصُبُّهَا على أكفائه فى الحرب فيهلكهم بها ، وأراد بأرؤس الأقران جمع الكثرة بقرينة المدح ، لأن كلا من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر ، فههنا لما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أن هناك صاعقة وَبيَّن أنها من نصل سيفه ، ثم قال «على أرؤس الأقران» ثم قال «خمس» ، فذكَّر العدد الذى هو عدد الأنامل ، فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الخمس الأنامل .

* * *

شاهد الاستعارة الغريبة

١٠٢ — * وإذَا احتَبَى قَرَبُوسهُ بِعِنَانِهِ *

قائله يزيد بن مَسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من قصيدة من الكامل يصف فرسا له بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى عنانه فى قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه ، وتمامه :

* عَلكَ الشَّكيم إلى انْصِرَافِ الزائِرِ *

والقربوس — بفتح الراء ، ولا تسكن إلا فى ضرورة الشعر — وهو حِنْوُ السَّرْجِ ، وهما قربوسان ، والعنان — بكسر العين — سير اللجام الذى تمسك

به الدابة ، والشكيم ، والشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس فيها الفأس ، وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله ، وهو :

عَوَّدْتهُ فيما أزُورُ حَبَائبى إهْمَالَه وكَذَاكَ كلُّ مُخاطِرِ

والشاهد فيه : الاستعارة الخاصة ، وهى : الغريبة ، والغرابة قد تكون فى نفس الشبه كما فى البيت ، فانه شبه هيئة وقوع العنان فى موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبى فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبى ، ممتدا إلى جانبى ظهره وساقيه بثوب[1] أوغيره كوقوع العنان فى قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة كغرابة المشبه .

أبيات من الاستعارات الغريبة

ومن الاستعارات الغريبة قول طُفَيل الغَنَوى [من الكامل] :

وجَعَلْتُ كُورى فَوقَ نَاجِيةٍ يقْتَاتُ شَحْمَ سنامِهَا الرَّحْلُ

وكذا قول الأستاذ ابن المعتز [من الرجز] :

حتى إذا ما عرَفَ الصَّيْدَ انْصَارْ وأذِنَ الصُّبحُ لنا بالأبصَارْ

وقول جرير [من الكامل] :

تُحْيِى الرَّوَامِسُ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ بعدَ البِلَى وتُميتُهُ الأمطارُ

وقول أبى نواس [من السريع] :

بِصَحْنِ خَدٍّ لم يَغِضْ مَاؤهُ ولم تَخُضْهُ أعينُ الناسِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله بثوب إلى قوله السرج ثابت فى جميع النسخ ، وهو زائد بلا فائدة ، فلعل الصواب إسقاطه » اهـ

فإذا بدا اقتادت محاسنه   قسراً إليه أعنة الحدق

* * *

١٠٣ — * وسالت بأعناق المطى الأباطح *

شاهد التصرف فى الاستعارة العامية حتى تصير غريبة

قائله كثير عزة، من قصيدة من الطويل ، وصدره :

* أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا *

وقبله (١) :

ولما قضينا من منى كل حاجة   ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا   ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

وقيل : الأبيات لابن الطثرية . وذكر الشريف الرضى فى كتابه « غرر الفرائد » قال : أنشدنى ابن الأعرابى للمضرب (٢) ، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى رحمهم الله تعالى :

وما زلت أرجو نفع سلمى وودها   وتبعد حتى ابيض منى المسائح

وحتى رأيت الشخص يزداد مثله   إليه وحتى نصف رأسى واضح

---

(١) أنشد ثلاثة الأبيات أبو هلال العسكرى فى الصناعتين (٤٢ الآستانة) وابن قتيبة فى الشعر والشعراء (٨ أوربا) والشيخ عبد القاهر الجرجانى فى أسرار البلاغة (١٦ طبعة ثالثة) وروى أولها وثالثها أبو على القالى فى ذيل الأمالى (١٦٦)وأبو الفتح ابن جنى فى الخصائص (١ ــ ٢٢٥) وروى ثلاثة الأبيات فى ضمن ثمانية أبيات الشريف المرتضى فى أماليه (٢ ــ ١١٠) وهى الأبيات التى رواها المؤلف فيما بعد، بنفس ترتيبها هنا . و نسبها إلى المضرب عقبة بن كعب ابن زهير بن أبى سلمى المزنى ، وأسند روايتها إلى ابن الأعرابى كما هو فى كلام المؤلف

(٢) فى الأصل «للمضرى» ونحسبه محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى أمالى الشريف المرتضى الذى نقل عنه المؤلف

عَلَا حاجِبَيَّ الشيبُ حتى كأنَّهُ ظِباء جَرَتْ منها سَنيحٌ وبارِحُ
وهِزَّةَ أظْعَانٍ علَيهِنَّ بهجَةٌ طَلَبتُ ورَيْعَانُ الصِّبَا بِي جامِحُ
فلما قضينـا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطحُ
وشُدَّت على حدب المهارى رحالها ولم ينظر الغادى الذى هو رائحُ
قفَلْنا على الخوصِ المراسيل وارْتمَتْ بِهِنَّ الصَّحَارى والصِّفَاحُ الصَّحَاصِحُ(١)

والأباطح : جمع أبطح ، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

والمعنى : لما فرغنا من أداء مناسك الحج ، ومسحنا أركان البيت الشريف عند طواف الوداع ، وشددنا الرحال على المطايا ، وارتحلنا ولم ينظر السائرون فى الغداة السائرين فى الرواح للاستعجال ، أخذنا فى الأحاديث وأخذت المطايا فى سرعة السير .

والشاهد فيه : حصول الغرابة فى الاستعارة العامية بتصرف فيها ، فانه استعار سيلان السيول الواقعة فى الأباطح لسير الابل سيراً عنيفاً حثيثا فى غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة ، والشبه فيها ظاهر عامى ، لكنه تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة حين أسند الفعل ـ وهو سالت ـ إلى الأباطح ، دون المطىّ أو أعناقها ، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الابل ، وأدخل الأعناق فى السير لأن السرعة والبطء فى سير الابل يظهران غالبا فى الأعنـاق ، و يتبين أمرهما فى الهوادى، وسائر الأجزاء يستند إليها فى الحركة و يتبعها فى الثقل والخفة .

ومثل هذه الاستعارة فى الحسن وعلوّ الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز رحمه الله تعالى حيث يقول [من البسيط] :

سَالَتْ عليه شِعَابُ الحىِّ حين دعا أنصارهُ بوُجوهٍ كالدَّنانيرِ

---

(١) فى الأصل « والصناح الصحاصح » محرفا وما أثبتناه موافق لما في أمالى الشريف المرتضى

أراد أنه مُطَاع فى الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته كالسيل، وكما أن إدخال الأعناق فى السير أكد كلا من الرقة والغرابة فى الأول أكده هنا تعدية الفعل إلى ضمير الممدوح بعلى لأنه يؤكد مقصوده من كونه مطاعا فى الحى .

ترجمة كثير عزة

وكُثَيِّر عزة[1] هو [كثير بن] [2] عبد الرحمن بن أبى جمعة الأسود بن عامر ابن عويمر ، أبو صخر، الخزاعى الشاعر المشهور ، أحد عشاق العرب ، و إنما صغروه لأنه كان شديد القصر . حدث الوقاصى[3] قال : رأيت كثيراً يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه ، وكان إذا دخل على عبد الملك ابن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله تعالى يقول له: طأطئ رأسك لئلا يصيبه السقف ، وكان يلقب زب الذباب .

وعن أبى عبيدة قال : كان الحزين الكنانى قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين فى كل شهر ، منهم ابن أبى عتيق، فجاءه لأخذ درهميه على حمار له أعجف ، قال : وكثير مع ابن أبى عتيق ، فأمر ابن أبى عتيق للحزين بدرهمين فقال الحزين لابن أبى عتيق : من هذا الذى معك ؟ قال : أبو صخر كثير بن أبى جمعة ، قال : وكان قصيراً دميما، فقال له الحزين: أتأذن لى فى أن أهجوه ببيت من الشعر ؟ قال . لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسى ، ولكنى أشترى عرضه منك بدرهمين ، ودعا له بهما ، فأخذهما وقال : لا بد لى من هجائه ببيت ، قال : وأشترى ذلك منك بدرهمين آخرين ، فدعا له بهما ، فأخذهما أيضا، وقال : ما أنا بتاركه حتى أهجوه ، قال: وأشترى ذلك منك بدرهمين أيضا ، فقال له كثير:

---

(١) تجد لكثير عزة ترجمة فى الأغانى (٨ ـ ٢٧ و ١١ ـ ٤٦) وفى الشعر والشعراء (٣١٦) وفى تزيين الأسواق (١ ـ ٤٧) وفى ابن خلكان (٢ـ١٨٩) وفى خزانة الأدب للبغدادى (٢ ـ ٣٧٦)

(٢) زيادة لا بد منها ، وهى ثابتة فى جميع المراجع ، وعبد الرحمن اسم أبيه ، واسم جده الأسود ، وأبو جمعة كنية الأسود

(٣) كذا ، ولم أعثر له على تعريف ، ولعله محرف .

ايذن له ، وما عسى أن يقول فى بيت واحد ، قالَ: فأذن له ابن عتيق ، فقال [من الطويل]:

قَصيرُ القَميصِ فاحِشٌ عندَ بَيْتِهِ يَعَضُّ القُرَادُ باسْتِهِ وهو قائمُ

قال : فوثب إليه كثير ، فلكزه فسقط عن الحمار ، فخلص ابن أبى عتيق بينهما ، وقال لكثير : قبحك الله ! أتأذن له وتسفه عليه ؟ فقال كثير : وأنا ماظننت أن يبلغ بى فى بيت واحد هذا كله .

وكان كثير يقول بتناسخ الأرواح ، وكان يدخل على عمة له يزورها فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها ، فقال لها يوما : لا والله ما تعرفيننى ولا تكرميننى حق كرامتى ، قالت : بلى والله إنى لأعرفك ، قال : فمن أنا ؟ قالت: فلان ابن فلان وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأمه ، فقال : قد علمت أنك لا تعرفيننى ، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا يونس بن متى ، وكان يقرأ [1] (فى أى صورة ماشاء ركبك) وكان يؤمن بالرجعة ، ودخل عليه عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم يعوده فى مرضه الذى مات فيه ، فقال له كثير : أبشر فكأنك بى بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق ، فقال له عبد الله بن حسن رضى الله عنه : مالك ؟ عليك لعنة الله ! فوالله لئن مت لا أشهدك ! ووالله لا أعودك ولا أكلمك أبدا . وكان شيعيا غاليا فى التشيع ، وكان يأتى ولد حسن بن حسن رضى الله عنهم إذا أخذ العطاء فيهب لهم الدراهم ، ويقول : بأبى الأنبياء

---

(١) عبارة الأغانى أوضح حيث يقول « وكان كثير شيعيا غاليا ، وكان يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى : (فى أى صورة ما شاء ركبك) ويقول : ألا ترى أنه حوله من صورة فى صورة .

الصغار [١] .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى : إني لأعرف صالح بني هاشم من فاسدهم بحب كثير ، مَنْ أحبه منهم فهو فاسد ، ومن أبغضه فهو صالح ، لأنه كان خشبيا يؤمن بالرجعة .

وحدَّث رجل من مُزَينة قال : ضِفْتُ كثيراً ليلةً وبتُّ عنده ، ثم تحدثنا ونمنا ، فلما طلع الفجر تضور ، ثم قمت فتوضأت وصليت وكثير نائم فى لحافه ، فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال : ياجارية اسْجِرى[٢] لى ماء ، أى سخِّنى ، قال : فقلت : تبًّا لك سائر اليوم و بعده ، وركبت راحلتى وتركته .

وكان كثير عاقا لأبيه ، وكان أبوه قد أصابته قرحة فى أصبع من أصابع يديه فقال له كثير : أتدرى لم أصابتك القرحة فى أصبعك ؟ قال : لاأدرى ، قال : مما ترفعها إلى الله فى يمين كاذبة .

وعن طلحة بن عُبيدالله قال : مارأيت أحمق من كثير ، دخلت عليه فى نفر من قريش وكنا كثيراً مانهزأ به وكان يتشيع تشيعا قبيحا ، فقلت له : كيف تجدك يا أباصخر ؟ وهو مريض ، فقال : أجدنى ذاهباً ، فقلت : كلا ، فقال : هل سمعتم الناس يقولون شيئا ؟ قلت : نعم يتحدثون بأنك الدجال ، قال: أما إذ قلت ذاك فانى لأجد فى عينى هذه ضعفا منذ أيام .

---

(١) فى الأصل « ويقول أنانبى الأنبياء الصغار » محرفا عما أثبتناه ،وعبارة الأغانى تؤيد هذا التصحيح ونصها « نظر كثير إلى بنى حسن بن حسن وهم صغار ، فقال : يا بأبى أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار » وفى رواية أخرى « كان شيعيا وكان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه فيهب لهم الدراهم ويقول : وا ، بأبى الأنبياء الصغار »

(٢) فى الأصل « أنجزى » محرفا وما أثبتناه موافق لما في الأغانى، ويؤيده التفسير

وعن عبدالعزيز بن عمر رحمهما الله أن أناسا من أهل المدينة المنورة كانوا يهزأون بكثير ويقولون وهو يسمع : إن كثيرا لا يلتفت من تِيهِهِ ، فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ، ويمضى فى قميص .

وكان عبدالملك بن مروان مُعجبا بشعره ، قال له يوماً : كيف ترى شعرى يا أميرالمؤمنين ؟ قال : أراه يسبق السحر ، ويغلب الشعر .

وقال عبد الملك له يوما : مَنْ أشعر الناس يا أبا صخر ؟ قال : مَنْ يروى أمير المؤمنين شعره ، فقال له عبدالملك : إنك لمنهم .

وحدّث كثير قال : ماقلت الشعر حتى قُوِّلته ، قيل له : وكيف ذاك ؟ قال: بينا أنا نصفَ النهار أسيرُ على بعيرٍ لى بالغُمَيم ، أو بقاع حمران ، إذ راكب قد دنا إلىَّ حتى صار إلى جنبى ، فتأملته فاذا هو من صفر وهو يجر نفسه فى الأرض جرًّا ، فقال لى : قل الشعر ، وألقاه على ، قلت : من أنت ؟ قال : قرينك من الجن ، فقلت الشعر .

وكان أول أمره مع عزة التى يتعشقها أنه مر بنسوة من بنى ضمرة ومعه جلب غنم فأرسلن إليه عزة وهى صغيرة فقالت له : يقلن لك النسوة بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه إلى أن ترجع ، فأعطاها كبشا ، وأعجبته ، فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه ، فقال : وأين الصبية التى أخذت منى الكبش ؟ قالت : وما تصنع بها ؟ هذه دراهمك ، قال : لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعت[1] إليه ، وولى وهو يقول [من الطويل] :

قَضى كلُّ ذى دَينٍ فوَفَّى غَرِيمَهُ وعَزَةُ ممطُولٌ مُعنًّى غرِيمُها

فقلن له : أبيت إلا عزة ، وأبرزنها له وهى كارهة ، ثم إنها أحبته بعد ذلك أشد من حبه لها .

---

(١) عبارة الأغانى « لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعت الكبش إليها »

وعن الهيثم بن عدى أن عبدالملك سأل كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة فقال : حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها ، ولم يعلم أحدنا بصاحبه ، فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن يصلح به طعاما لأجل رفقته ، فجعلت تدور الخيام خيمة خيمةً حتى دخلت إلى وهى لاتعلم أنها خيمتى ، وكنت أبرى سهْماً لى ، فلما رأيتها جعلت أبرى وأنظر إليها ولا أعلم حتى بريت ذراعى وأنا لا أشعر به ، والدم يجرى ، فلما تبينت ذلك دخلت إلى فأمسكت بيدى ، وجعلت تمسح الدم بثوبها ، وكان عندى نِحْىٌ من سمن : فحلفت لتأخُذَنَّهُ ، فجاءت به إلى زوجها ، فلما رأى الدم سألها عن خبره ، قال : فكاتمته ، حتى حلف عليها لتصدُقَنَّه ، فلما أخبرته ضربها وحلف لتشتمنى فى وجهى ، فوقفت علىَّ وهو معها ، فقالت لى : يا ابن الزانية ، وهى تبكى ، ثم انصرفا ، فذلك حيث أقول [من الطويل] :

أسيئى بنا أو أحسنى لا مَلُومةً ... لدينا ولا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّتِ

هَنِيئاً مَرِيئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ ... لعَزَّةَ من أعراضنا ما استحلتِ

ومنه قوله فيها أيضا [من الطويل] :

وددْت وحَقِّ الله أنك بكْرَةٌ ... وأنِّى هَجانٌ مُصْعَبٌ ثم نَهْرُب

كلانا به عرٌّ فمن يرَنا يقلْ ... على حُسْنِها جرباء تُعْدِى وأجْرَب

نكون لذى مالٍ كثيرٍ مغفَّلٍ ... فلاَ هوَ يرعانا ولا نَحْنُ نُطْلَب

إذا ما ورَدْنا منْهلاً صاح أهله ... علينا فما ننفَكُّ نُرْمَى و نُضْرَبُ

يحكى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر إليها أنشدته الأبيات وقالت له: ويحك! لقد أردت بى الشقاء ، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ، فخرج من عندها خجلا

وأسوأ من هذه الأمنية أمنية الفزارى[1] حيث قال [من البسيط] :

---

(١) فى هامش مطبوعة بولاق ـ تعليقا على هذه الكلمة ـ ما نصه . قوله الفزارى كذا فى نسخة وفى أخرى العذرى

مِنْ حبّها أتمنى أنْ يُلاقِيَنِي ... مِنْ نَحْوِ بلدتها ناعٍ فينعاها

كيما أقول فراقٌ لا لقاء له ... وتضمرَ النفس يأساً ثم تسلاها

ولكنه استدرك بعد ذلك فقال :

ولو تموتُ وراعتني لقلت لها : ... يا بؤس للموت ليتَ الدهر أبقاها

وقال الآخر [من الطويل] :

تمنَّيت من حبِّي بثينــةَ أننا ... وُجِدْنا جميعا ثم نَحيا ولا أحيا

فتَرْجع دنياها عليها وإنني ... بساعة ضمّيها رَضيتُ من الدُّنيا

وكل امرىء أمانيه تليق بمعاليه ، قيل للامام أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى عليه : ما تتمنى؟ قال: سندا عاليا و بيتا خاليا ، وقيل لبعض الوراقين : ما تتمنى؟ قال : قلما مشاقا ، وحبرا برّاقا ، وجلودا وأوراقا ، وقيل لبعض الصوفية : ماتتمنى؟ قال : دقنا[1] ودلقا ، ولا أريد رزقا ، وقال بعضهم [من مخلع البسيط] :

أبيات في أنواع من الأمانى

لوْ قالَ لى خالِقى تمنى ... قلْتُ لهُ سائِلاً بصِدْق

أُريدُ فى صُبحِ كلِّ يومٍ ... فُتُوحَ خيْر يأتى برزْقِ

كف حشيش ورِطل لحم ... ومَنّ خبز ونبكَ عِلق

وقول الآخر [من البسيط] :

لوْ قيلَ ما تتَمَنّى قلتُ فى عجَل ... أخاً صدُوقا أميناً غيرَ خوّان

إذا فعَلت جميلاً ظل يشكرنى ... وَإن أسأتُ تلقّانى بغفران

وما أحسن قول ابن سارة فى الأمانى [من الطويل] :

أمانِىّ منْ ليلى حِسانٌ كأنما ... سقَتْنى بها ليلى على ظمإ برْدَا

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق مانصه : قوله دقنا كذا في النسخ ولعله دقنا

مُنًى إن تكن حقاً تكن أحسنَ المنى ... وإلا فقد عِشْنا بها زمناً رَغْدَا

وبديع قول الوزير مؤيد الدين الطغرائى رحمه الله تعالى [من البسيط] :

أُعَلِّلُ النفسَ بالآمال أرْقُبها ... ما أضيقَ العَيْشَ لوْلا فُسْحَةُ الأمل

وقد أخذه العماد الكاتب فقال [من الطويل] :

وما هٰذِهِ الأيام إلاّ صحائفٌ ... نؤرِّخ فيها ثم تُمْحَى وتُمْحَق

ولم أرَ عيشاً مِثلَ دائرةِ المنى ... توسِّعُها الآمالُ والعيش ضَيِّق

وقال العفيف إسحاق بن خليل كاتب الانشاء للناصر داود [من البسيط] :

لولا مواعيدُ آمالٍ أعيشُ بها ... لَمُتُّ يا أهلَ هذا الحيِّ من زَمَنٍ

وإنما طِرْفُ آمالى به مرحٌ ... يجْرِى بوَعدِ الأمانى مطلقَ الرَّسَنِ

وقال آخر [من الخفيف] :

فى المنى راحةٌ وإن عللتنا ... مِنْ هَوَاها ببعض ما لا يكونُ

وقال أبو الوليد بن زيدون أيضاً [من الكامل] :

أمَّا مُنَى قلبي فأنتِ جميعُهُ ... يا ليتنى أصبحتُ بعضَ مُناكِ

يُدْنِى مزاركِ حين شطَّ به النوى ... وهْمٌ أكادُ به أُقبلُ فاكِ

ومن هنا أخذ الحاجرى قوله [من الطويل]

يمثِّلُكَ الشوقُ الشديدُ لناظرى ... فأطرِقُ إجلالا كأنك حاضر

وقال ابن رزين من شعراء الذخيرة [من مجزوء الكامل] :

لأُسَرِّحَنَّ نواظرى ... فى ذلك الروضِ النضير

ولآكلنَّــكَ بالمنى ... ولأشربنَّكَ بالضمير

وقال علم الدين أيدمر المحيوى [من مجزوء الخفيف] :

كم لَدَيْنَا أمانياً ... قد حَوَتْ محكم العملْ

فارغاتٍ من الدُّنا ... نيرِ مَلأى من الأمل

وهو عكس قول الآخر [من الطويل] :

وإنَّ رجاء كامناً فى نواله لكالمالِ فى الأكياسِ تحت الخواتم

وقال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :

ليتَ شعرى ما العذرُ لولا قضاء الله فى رزقه وفى حرمانى

ولقد كدت أن أهيمَ بحمل الهم لولا تعلُّلى بالأمانى

وله أيضا [من الكامل] :

حَسْبُ الفتى حسن الأمانى إنه لا يعتريه مدى الزمان زوالُ

وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاتمى [من الخفيف) :

لى حبيب لو قيل: ما تتمنى ما تعدَّيْتُه ولو بالمنونِ

أشتهى أن أحلَّ فى كل طَرْفٍ فأراه بِلحظ كُلُّ العيونِ

وقال غيره [من الوافر] :

أُعلل بالمنى قلبى لأنى أُفرجُ بالأمانى الهمَّ عنى

وأعلم أن وصلك لا يرجَّى ولكن لا أقل من التمنى

وقال الآخر وهو أصرح مما قبله [من الوافر] :

إذا ما عنَّ ذكرك فى ضميرى وقابلنى محيَّاكَ الجميلُ

أصير لفرطِ أشواقى أيوراً لِعلمى أنَّ نيكَكَ مستحيل

وهو يشبه قول الصفى الحلى أيضا [من الوافر] :

إذا صدَّ الحبيب لغير ذنبٍ وقاطعنى وأعرض عن وصالى

أمثله وأنكسح عند صلحى بأيْرِ الفكر فى ثقب الخيال

وقد سد ابن المعتز باب المنى بقوله [من البسيط] :

لا تأسفنَّ من الدنيا على أمل فليس باقيه إلا مثل ماضيه

وتابعه الخالدى فقال [من السريع] :

ولا تكن عبد المنى فالمنى رءوس أموال المفاليس

وقال الآخر [من السريع] :

من نال من دنياه أمنيةً أسقطت الأيامُ منها الألِفْ

وقال شرف الدين القيرواني أيضا [من الكامل] :

غلف تمنوا فى البيوت أمانياً وجميعُ أعمارِ اللئامِ أماني

وقال الآخر [من الوافر] :

ألا يا نفسُ إن تَرْضَى بقوتٍ فأنت عزيزة أبداً غنيَّهْ
دعى عنك المطامع والأماني فكم أمنيةٍ جلبت منيَّهْ

وقال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :

أنا فى راحةٍ من الآمال أينَ من همتى بلوغُ المعالى
لىَ عجزٌ أراح قلبي من الهم ومن طول فكرتى فى المحال
ما لباسُ الحرير مما أرجيِّه فيُرْجَى ولا ركوبُ البغال
راحة السر فى التخلف عن كل محلٍّ أضحى بعيدَ المنالِ

وقال بعضهم [من الطويل] :

وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا فإن صدقت جازت بصاحبها القدرا

وقال آخر [من الطويل] :

ولى من تمنِّى النفس دُنْيَا عريضةٌ ومستفتِحٌ يغدو علىَّ ويَطْرُقُ
فقدت المنى الا النفسُ تلهو عن المنى لتجربةٍ منها ولا هى تصدُقُ

وقال الصلاح الصفدى [من الطويل] :

ألا فاطْرِح عنك التمنى ولا تَبِتْ بكاساته نَشْوَان غير مُفيقِ
فانْ كان مما لا غِنَى عنه فليكن وفاةَ عدوٍّ أو حياةَ صديقٍ

وقد أكثرنا فى طول الأمل وضده فلنرجع إلى أخبار كثير عزة .

عود إلى أخبار كثير عزة

يحكى أنه خرج فى الحج بجمل يبيعه ، فمر بسكينة بنت الحسين رضى الله عنهما ، ومعها عزة وهو لا يعرفها ، فقالت لها سكينة : هذا كثير سُومِيهِ بالجمل ، فسامته ، فاستام بمائتى درهم ، فقالت : ضع عنا كذا وكذا ، لشىء قليل ، فأبى ، فدعت له بتمر وزبد فأكل ، فقالت له : ضع عنا كذا وكذا ، لشىء قليل ، فأبى أيضا ، فقالتا له : قد أكلت بأكثر مما نسألك ، فقال : ما أنا بواضع شيئا ، فقالت سكينة : اكشفوا ، فكشفوا عنها وعن عزة ، فلما رآها استحيا وانصرف وهو يقول : هو لكم ، هو لكم

وحدث محمد بن سلام قال : كان كثير يتقول ، ولم يكن عاشقا ، وكان جميل صادق الصبابة والعشق ، وقال أبو عبيدة : كان جميل يصدق فى حبه ، وكان كثير يكذب فى حبه

ويروى أنه نظر ذات يوم إلى عزة وهى تَمِيسُ فى مشيتها ، فلم يعرفها ، فاتبعها وقال لها : يا سيدتى ، قفى لى أكلمك فانى لم أر مثلك قط ، فمن أنت ؟ قالت : ويحك ! وهل تركت عزة فيك بقيةً لأحد ؟ فقال : بأبى أنت ! لوأن عزة أمة لوهبتها لك ، قالت : فهل لك فى المخالة ؟ قال : وكيف لى بذلك ؟ قالت : وكيف بما قلته فى عزة ؟ قال : أقلبه كله وأُحوله إليك ، فكشفت عن وجهها وقالت : أغدراً يا فاسق ، وإنك لهكذا ؟ فأبلس ولم ينطق وبهت ، فلما مضت أنشأ يقول [من الطويل] :

ألا ليتنى قبل الذى قلت شِيبَ لى ... من السم جرعاتٌ بماء الذَّرارحِ
فمتُّ ولم تعلم علىَّ خيانةً ... وكم طالب للربح ليس برابحِ
أبوء بذنبى إننى قد ظلمتُها ... وإنى بباقى سِرِّها غير بائحِ

وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة المنورة ، فاشتاق إليها فسافر ليلقاها ، فصادفها فى الطريق وهى متوجهة إلى مصر ، فجرى بينهما كلام طويل الشرح ، ثم إنها

انفصلت عنه وقدمت مصر ، ثم عاد كثير إلى مصر فوافاها توفيت والناس منصرفون عن جنازتها ، فأتى قبرها وأناخ راحلته ومكث ساعة ثم رحل وهو يقول أبياتا منها قوله [من الطويل] :

أقولُ ونِضْوى واقف عند قبرها عليك سلام الله والعينُ تسفحُ
وقد كنت أبكى من فراقك حيةً فأنتِ لعَمرى الآن أنأى وأنزحُ

وقال له عبد الملك بن مروان يوما : بحق على بن أبى طالب هل رأيت أحداً أعشق منك ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، لو أنشدتنى[1] بحقك لأخبرتك ، بينا أنا أسير فى بعض الفلوات إذ أنا برجل قد نصب حِبالته ، فقلت له : ما حبسك هاهنا ؟ فقال : أهلكنى وأهلى الجوعُ فنصبت حِبالتى هنا لأصيب لهم شيئا يكفينا ويعصمنا يومنا هذا ، قلت : أرأيت إن أقمت معك فأصبت صيدا تجعل لى جزءا منه ؟ قال : نعم ، فبينا نحن كذلك وقعت ظبية فى الحبالة فخرجنا نبتدر فبدرنى إليها فحلها وأطلقها ، فقلت : ما حملك على هذا ؟ قال : دخلتنى لها رقة لشبهها بليلى وأنشأ يقول [من الطويل] :

أيا شِبه ليلى لا تُرَاعِى فاننى لكِ اليوم من وحشيَّةٍ لصديقُ
أقولُ وقد أطلقتُها من وِثاقِها فأنت لليلىَ ما حييت طليقُ

وحدث عبد الرحمن بن عبد الله الزهرى قال : بكى بعض آل كثير عليه حين نزل به الموت ، فقال له كثير : لا تبك فكأنى بك بعد أربعين يوماً تسمع خشفة نعلى من تلك الشعبة راجعا إليكم

وحدث يزيد بن عروة رحمهم الله تعالى قال : مات كثير وعكرمة رحمه الله تعالى فى يوم واحد ، فقيل : مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس ، ولم تتخلف امرأة ولا رجل عن جنازتيهما ، وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكرن عزة فى ندبهن ، فقال أبو جعفر محمد بن على : افرجوا لى عن جنازة كثير لأرفعها

(١) كذا والمحفوظ أن هذا الفعل ثلاثى ، فالهمزة أوله لا محل لها

قال : فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل محمد بن على رضى الله عنهما يضربهن بكمه ويقول : تَنَحَّيْنَ يا صويحبات يوسف ، فانتدبت له امرأة منهن فقالت : يا ابن رسول الله لقد صدقت ، إننا لصويحباته ، وقد كنا خيراً منكم له ، فقال أبو جعفر لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تجيئنى بها إذا انصرفنا ، فلما انصرف أتى بتلك المرأة كأنها شرر النار ، فقال لها : إيه أنت القائلة : إنكن ليوسفَ خيرٌ منا ؟ قالت: نعم ، تؤمننى غضبك يا ابن رسول الله ، قال: أنت آمنة من غضبي فأبينى ، قالت : نحن يا ابن رسول الله دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والمتمتع والمتنعم ، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه فى الجب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه فى السجن ، فأينا كان عليه أحن وبه أرأف ؟ فقال لها محمد : لله دركِ لن تغالَبَ امرأة إلا غلبت ، ثم قال : ألك بعل ؟ فقالت: لى من الرجال مَنْ أنا بعله ، فقال لها: ما أصدقك مثلك من تملك زوجها ولا يملكها ، فلما انصرفت قال رجل من القوم : هذه ربيبة فلانة بنت معيقب الأنصارية

وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة ، فى ولاية يزيد بن عبد الملك ، رحمهم الله تعالى !

* * *

مدار الاستعارة التبعية على المفعول

١٠٤ — * قتَلَ البُخْلَ وأحيا السَّماحا *

هو لابن المعتز، من قصيدته السابقة فى التشبيه (١) وصدره :

* جمع الحقُّ لنا فِى إمامٍ *

وبعده قوله :

إن عفا لم يُلْغِ لله حقاً أو سَطَا لم يخش منه جناحا

---

(١) ارجع إلى شرح الشاهد رقم (٧٩ فى ص ٣٤ من هذا الجزء) .

أُلفُ الهيجاء طفلا وكهلاً يحسبُ السيفَ عليهِ وشاحا

والشاهد فيه: مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول فان القتل والإحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود

* * *

١٠٥ — نَقْرِيهُمُ لَهْذَميّاتٍ

مدار التبعية على المفعول

قائله القطامى ، ولفظه :

نقريهمُ لهذميات نَقُدُّ بهَا ما كانَ خاطَ عليهم كلُّ زَرَّادِ

وهو من قصيدة (١) من البسيط يمدح بها زفر بن الحارث الكلابى أولها :

مااعتْادَ حُبُّ سُلَيْمَى غيرَ مُعتادِ ولا تَقَضَّى بوافى دِينْها الطَّادِى (٢)

بيضاء مَحْطُوطَةُ المتنَيْنِ بهْكَنَةٌ ريَّا الرَّوادِفِ لم تمغلْ بأولادِ (٣)

ما للكَواعبِ ودَّعْنَ الحياةَ كما ودَّعْنَنى واتَّخذْنَ الشَّيبَ ميعادِى

أبصارُهُنَّ إلى الشبانِ مائِلَةٌ وقد أراهُنَّ عنى غيرَ صُدَّادِ

إذ باطِلِى لم تَقَشَّعْ جاهِلِيَّتُهُ عنى ولم يترُكِ الخُلَّانُ تَقْوادِى

كَنِيَّةِ الحىِّ مِنْ ذى اليَقْظَةَ احتْملوا مُسْتَحْقِبِينَ فؤاداً ما له فادى (٤)

---

(١) اقرأها فى ديوان القطامى (٧ أوربا)

(٢) فى الديوان « حين معتاد » وفى الأصل * ولا تقضى بوافى دينها الصادى * محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان . والطادى : الثابت القديم .

(٣) فى الأصل « مخطوطة » محرفا . ومحطوطة المتنين : لطيفتهما . ولم تمغل : من قولهم « أمغلت الشاة » إذا ولدت فى السنة مرتين .

(٤) فى نسخة من الديوان « من ذى الغضبة » وفى نسخة أخرى كما هنا وثمة روايات أخرى ، وفى الديوان « مستحقبين أسيرا » وعنى به فؤاده

باتوا وكانت حياتى فى اجتماعهمُ ... وفى تفرُّقهمْ قتلى وإقصادِى
يَقْتُلْننا بحديثٍ ليسَ يعلمُهُ ... من يتَّقِينَ ولا مكنونُهُ بادِى (١)
فهُنَّ ينبِذْنَ من قولٍ يصبنَ بهِ ... مواقعَ الماءِ من ذى الغُلَّةِ الصادِى

وهى طويلة .

واللهذم : القاطع من الأسنة ، وأراد بلهذميات طعنات منسوبة إلى الأسنة القاطعة ، أو أراد نفس الأسنة ، والتشبيه للمبالغة ، والقد : القطع ، والزراد : صانع الدروع

والشاهد فيه : أن مدار قرينة الاستعارة التبعية فى الفعل وما يشتق منه على الفاعل أو المفعول كما هنا ، فإن المفعول الثانى — وهو اللهذميات — قرينة على أن « نقريهم » استعارة .

وقد تقدم ذكر القطامى (٢) فى شواهد القلب ، والله أعلم .

***

شاهد الاستعارة المجردة

١٠٦ — * غمْرُ الرِّداء إذا تَبسَّمَ ضاحِكا *

هو من الكامل ، وتمامه:

* غلِقتْ لضحكتهِ رقابُ المالِ *

وهو من قصيدة لكثير عزة ، وأراد بغمر الرداء كثير العطاء

والشاهد فيه : الاستعارة المجردة ، وهى ما قرنت بملائم المستعار له ، فإنه استعار الرداء للعطاء ، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ، ثم وصفه بالغمر الذى يلائم العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة ، والقرينة سياق

---

(١) فى نسخة من الديوان و« لا مكتومه بادى » .

(٢) ارجع إلى ترجمة القطامى فى شرح الشاهد (رقم ٣٢ فى ج ١ ص ٧٩١ من هذه المطبوعة) .

الـكلام ، وهو قوله « إذا تبسم ضاحكاً » أى شارعاً فى الضحك آخـذا فيه ، غلقت لضحكته رقاب المال ، يقال « غلق الرهن فى يد المرتهن » إذا لم يقـدر على انفـكا كه ، وهو يريد فى البيت أن ممدوحه إذا تبسم غلقت رقابُ أمواله فى أيدى السائلين

ومن استعارة الرداء قوله [من الوافر] :

يُنَازعنى ردائى عَبْدُ عمرٍو رُوَيْدَكَ يا أخا عمرٍو بن بكرٍ
لِىَ الشطرُ الذى مَلَـكت يمينى فَدُونك فاعتجر منـه بشَطْرِ

فانه استعار الرداء للسيف ، وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء .

وما أحسن استعارة الرداء فى قول أبى الوليد بن الجنان الشاطبى وهو [من مجزوء الرمل] :

فَوقَ خَدِّ الوَرْدِ دَمْعٌ من عيونِ السُّحْبِ يَذْرِفْ
برداء الشمس أضْحَى بعدَ ما سالَ يُجَفَّفْ

وفى معنى عجز البيت قول امرىء القيس [من الطويل] :

غلقن برَهْنٍ من حَبيبٍ به ادَّعَتْ سُليمى فأضْحَى حَبْلُها قد تبَتَّرا

وقول زهير [من البسيط] :

وفارَقَتْكَ برَهنٍ لا فـكاكَ له يومَ الوداعِ فأمْسَى الرهنُ قد غَلِقَا

وقول الوليد [من الطويل] :

* ومن يَكُ رهناً للحَوادِثِ يَغْلَقِ *

وقول عمر بن أبى ربيعة [من الطويل] :

وكم من قَتيلٍ لا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ ومن غلق رهن إذا ضمه مبنى[1]

وقول أبى جعفر بن مسلمة بن وضاح يخاطب ساجع حمام من أبيات [من السريع] :

وهاجَ مَبْكاك ببُسْتَان إبـــراهيمَ للنَّجدِىِّ ذِكْرَ القَطِينْ

(١) كذا ، ولم اجده فى ديوان عمر

فرج فَساعِدْنى على لوْعتى   فانَّ رهنى غَلَقٌ فى الرهونْ

وقول أبى نصر الساجى [من الرجز] :

تشكو إليك جُمْلتى ما نالها   فيالهَا إن صَبَرَتْ وبالهَا

لأنها مرْهونَةٌ بحُبكم   طوبَى لها إن غَلِقَتْ طوبَى لها

وما ألطف قول الصلاح الصفدى مع زيادة إيهام وإيهام الطباق [من المجتث] :

سهامُ لحظِكِ أصمَتْ   قَلْبى ولم تترفّقْ

ماتَفتحُ الجفن إلاّ   ورهن قلبى يغلق

* * *

لدى أسدٍ شَاكِى السِّلاحِ مُقذَّفٍ   له لبد أظفَارُهُ لم تُقَلَّم

شاهد اجتماع التجريد والترشيح

تقدم قريباً (١) أن قائله زهير بن أبى سلمى ، من قصيدة من الطويل

واللبد ـ بالكسر (٢) شَعْر زبرة الأسد ، وكنيته أبو لبد ، والتقليم : مبالغة القلم وهو قطع الأظفار

والشاهد فيه : اجتماع التجريد والترشيح فى الاستعارة ، فالتجريد قد عرف قبله ، والترشيح هو : ماقرن بملائم المستعار منه ، فقوله هنا « لدى أسد شاكى السلاح » تجريد ، لأنه وصف يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع ، وباقى البيت ترشيح لأنه وصف يلائم المستعار منه ، وهو الأسد الحقيقى

ومعنى البيت أخذه زهير من قول أوس بن حجر (٣) حيث قال [من الطويل]

(١) هو الشاهد رقم (٩٧) الذى مضى شرحه فى (ص١١٢ من هذا الجزء)

(٢) يريد بكسر أوله ، وأما ثانيه فمفتوح .

(٣) انظر حديث هذا الأخذ عن الأصمعي فى الشعر والشعراء (١٠١ أوربا)

لَعَمْرُكَ إنَّا والأحاليفَ هؤلاَ لَفِى حِقْبَةٍ أظفارها لم تُقَلَّمِ (١)

أى : نحن فى حرب ، وكذلك أخذه النابغة حيث قال أيضا [من الكامل]:

وبنو قُعَيْنٍ لا محالة إنهم آتوكَ غير مُقَلَّمِى الأظفارِ

* * *

مبنى الترشيح على تناسى التشبيه

١٠٧- ويَصْعَدُ حتى يَظُنَّ الجَهُولُ بأنَّ لهُ حاجَةً فى السماء

البيت لأبى تمام الطائى ، من قصيدة (٢) من المتقارب يرثى بها خالد بن يزيد الشيبانى ويذكر أباه ، وأولها :

نَعَاءِ إلى كلِّ حَيٍّ نَعاء فتى العَرَب اختَطَّ ربعَ الفناءِ

أُصِبْنا جميعاً بسهمِ النِّضال فَهلا أصبنَا بسهم الغِلاَءِ (٣)

ألا أيها الموْتُ فجعْتَنَا بماءِ الحياةِ وماءِ الحياء

فماذا حبَوتَ به حاضراً وماذا خَبأْتَ لأهلِ الخِباءِ (٤)

نعاء نعاء شَقِيقَ النَّدَى إليه نعياً قَليلَ الجَدَاءِ

وكانازَماناً شريكَىْ عِنانٍ رَضيعَىْ لِبانٍ خَليلَىْ صفاء (٥)

إلى أن قال يخاطب ولده :

---

(١) فى الأصل « لفى جعبة » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الشعراء .

(٢) اقرأها فى ديوان أبى تمام (٣٤٧ بيروت) وقد أثبتت هذه الأبيات المروية هنا وكأنها مبنية على الألف اللينة ، بدون همزة فى رويها وهو خطأ

(٣) فى الأصل « بسهم النصال » وفيه « بسهم العلاء » وكلاهما تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والغلاء : مجاوزة الحد .

(٤) فى الأصل « وماذا حضرت به حاضرا »

(٥) فى الديوان « وكانا جميعا ».

أباجعفر ليعرك الزما ... ن عزاً ويكسك طول البقاء (١)

فما مزنك المرتجى بالجهام ... ولا ريحنا منك بالجربياء (٢)

فلا رجعت فيك تلك الظنون ... حيارى ولا انسد شعب الرجاء

وقد نكس الثغر فابعث له ... صدور القنا فى ابتغاء الشفاء

فقد مات جدك جد الملوك ... ونجم أبيك حديث الضياء

ولم يرض قبضته للحسام ... ولا حمل عاتقه للواء

فما زال يقرع تلك العلا ... مع النجم مرتدياً بالعماء (٣)

وبعده البيت ، وهى قصيدة طويلة ، وهذا البيت فى مدح أبيه وذكر علوه والشاهد فيه : أن مبنى الترشيح على تناسى التشبيه ، حتى إن المرشح يبنى على علو القدر الذى يستعار له علو المكان مايبنى على علو المكان والارتقاء إلى السماء ، فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصر على إنكاره فيجعله صاعدا فى السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه

ومثله قول بشار [من مجزوء الوافر] :

أتتنى الشمس زائرة ... ولم تك تبرح الفلكا

وقول ابن الرومى يمدح به بنى نوبخت [من المنسرح] :

شافهتم البدر بالسؤال عن الـ ... أمر إلى أن بلغتم زحلا

وقول أبى الطيب المتنبى أيضاً [من الكامل] :

كبرت حول ديارهم لما بدت ... منها الشموس وليس فيها المشرق

---

(١) فى الديوان « ليعرك الزمان * عزاء ».

(٢) المزن : السحاب ، والجهام : الذى لا ماء فيه ، والجربياء : ريح الشمال

(٣) العماء : السحاب المرتفع .

وقول الآخر [من الطويل] :

ولم أرَ قبلي مَنْ مشى البدرُ نحوهُ ولا رَجلاً قامتْ تُعانقهُ الأُسْدُ

وقد اتفق علماء البديع على تقديم الاستعارة المرشَّحة على غيرها في هذا الباب ، وأنه ليس فوق رتبتها رتبة ، ولنذكر نبذة منها ومن غيرها ، فمن محاسن ما ورد فيها قول أبي جعفر الشقريّ [من السريع] :

يا هلْ ترَى أظرفَ منْ يوْمنَا قلدَ جيدَ الأفقِ طوْقَ العقيقْ

وأنطقَ الورق بعيدانِـهِ مُرْقصةً كل قضيبٍ وَريقْ

والشمسُ لاتشرَبُ خمرَالندَى في الروض إلا بكئوس الشقيقْ

ومثله في الرشاقة قول ابن رشيق [من السريع] :

باكِرْ إلى اللذَات واركَبْ لها سوَابقَ اللهـوِ ذواتِ المزَاحْ

من قبلِ أنترْشفَ شمسُ الضحى رِيقَ الغَوَادي من ثُغُورِ الأقاحْ

ولطيفٌ قولُ بعضهم أيضاً [من السريع] :

شَرَابُنَا الرِّيقُ وكاساتُنا شفاهُنا والقُبَلُ النَّقْلُ

ويقرُب من البيت الأول ، من قول ابن رشيق ، قولُ ابن المعتزّ ، [من الوافر] :

وقدْ رَكضتْ بنا خيلُ الملاَهي وقـد طِرْنا بأجنحةِ السُّرُورِ

وبديعٌ أيضاً قول ابن وكيع [من الرمل] :

غرّدَ الطيرُ فَنَبِّهْ من نعَسْ وأدِرْ كأسكَ فالعيشُ خُلسْ

سُلّ سيفُ الفجرِ من غِمْدِ الدجى وتعرّى الصبحُ من ثوبِ الغَلَسْ

وانجلى عنْ حُلَلٍ فضيَّةٍ نالهـا من ظُلَمِ الليـل دَنَسْ

وقول أبي نُوَاس [من السريع] :

بصحن خدٍّ لم يغضْ ماؤهُ ... ولم تخضْهُ أعينُ الناسِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

فإذا بدا اقتادتْ محاسنهُ ... قسْراً إليهِ أعنةَ الحدَقِ

وقوله أيضاً ، وهو عجيب هنا [من البسيط] :

مازلتُ أستلُّ رُوحَ الزقّ فى لَطَفٍ ... وأستقى دَمَهُ من جفنٍ مجْروحِ
حتى انثنيتُ ولى رُوحانِ فى جسدى ... وَالزّقّ منطرحٌ جسم بلا روحِ

وقول البدر الذهبي ، وأجاد [من مخلع البسيط] :

ما نظرت مُقلتى عجيباً ... كاللوزِ لما بدَا نَوّارُهُ
اشتعلَ الرأسُ منـهُ شيباً ... واخضرّ من بعدذَا عذارُهُ

وقول ابن خفاجة الأندلسى [من الطويل] :

وقد جالَ من حول ِ الغمامة أدهمٌ ... لهُ البرقُ سوطٌ والشّمالُ عِنانُ
وضمخَ درعُ الشمس نحرَ حديقة ... عليه من الطلّ السقيط جُمانُ
ونَمّتْ بأسرار الرياض خميلةٌ ... لهـا النّوْرُ ثغـرٌ والنسيم لسانُ

وقول ابن قرناص [من الخفيف] :

قد أتينا الرياضَ حين تجلّتْ ... وتحلّتْ من الندى بجُمانِ
ورَأينا خـواتمَ الزهر لمـا ... سقطتْ من أنامل الأغصانِ

و بديعٌ أيضاً قول ابن نُبَاتة السعدى [من الطويل] :

خرَقنا بأطراف القنا لظهورِهمْ ... عيوناً لها وَقعُ السيوف حواجبُ
لقوا نبلنَا مرْدَ العوارض وانْثَنوا ... لأوجُههم منها لحى وشوَاربُ

وقول الشريف أبى الحسن العقيلى [من المتقارب] :

وفرّق تيجانَ نوّارهِ فلم ينسَ من غُصُنٍ مفرِقَا

وقوله أيضاً [من الوافر] :

إذا أبدَى مُؤامرَةَ التجنى أقمتُ لهُ وُجوه الاحتمالِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

خلّصْ بجاه الوصلِ قلبَ متيّمٍ غمزَ الصّدُودُ عليهأعوانَالضنَى

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

كلما لاحَ وَجههُ بمكانٍ كثرت زحمةُ العيون عليهِ

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

فلما تبدّى لنا وجههُ نَهَبْنَا محاسنهُ بالعُيُونِ

وقول السرى الرفاء فى يوم بارد من أبيات [من مجزوء الكامل] :

متلون يبدى لنا طرفاً بأطراف النّهارِ

فهواهُ منكسبُ الرّدا ء وغيمهُ جافىالإزارِ

يبكى فيجمدُ دمعهُ والبرقُ يكحله بنارِ

وقول أبى القاسم الدينورى [من مجزوء الرمل] :

من عذيرى من بديع الـ حسنِ ذى قدّ رشيقِ

أنبتَتْ فى فمهِ اللـؤ لؤ أرضٌ من عقيقِ

وما ألطف قول أبى زكرياء المغربى من قصيدة أولها [من الرمل] :

نامَ طفلُ النبتِ فىحجرِ النعامى لاهتزاز الطلّ فى مهدالخُزَامَى

يقول فيها :

كحّلَ الفجرُ لهم جفنَ الدّجى وغدَا فى وجنة الصبح لثامَا

تحسبُ البدرَ مُحَيًّا ثَمِلٍ قد سقتهُ راحةُ الفجرمدامَا

وقول السلامى ، وهو بديع [من البسيط] :

والكأسُ للسُّكرِ التبرىّ صائغةٌ وَالماء للحبَبِ الدرّى نَظّامُ

بتنا نكفكفُ بالكاسات أدمُعَنا كأننا فى حجور الروض أيتامُ

وما أبدع قوله أيضاً [من الوافر] :

تبسطنا علَى الآثامِ لمّا رأيْنا العفوَ مِنْ ثمرِ الذُّنوبِ

قيل : كان الصاحب بن عبّاد يستحسن هـذا البيت ، وكان يستشهد به كثيراً ، ويقول : مادرى قائله أى درة رمى بها ، وأى غرة سيرها وخلّدها .

وقول التنوخىّ وهو من غريب الاستعارات [من الخفيف] :

وَرِيَاضٍ حَاكَتْ لهُنّ الثُّرَيّا حُلَلاً كانَ غَزْلُها لِلرُّعودِ

نَثَرَ الغَيْثُ دُرَّ دَمْعٍ علَيْهَا فتَحَلّتْ بمثْلِ دُرِّ العُقُودِ

أقحوانٌ مُعانِقٌ لشقيقٍ كثغورٍ تعضّ وردَ الخدُودِ

وعيونٌ من نرجسٍ تتراأى كعيونٍ موصولة التسهيد

وكأن الشقيق حين تبدّى ظلمةُ الصدغ فى خدود الغيدِ

وكأنّ الندَى عليها دموعٌ فى عيونٍ مفجوعةٍ بفقيدِ

وقولُ السيد أبى الحسن علىّ بن أبى طالبٍ البلخىّ ، من أبيات [من الطويل] :

وكمْ قدمضى ليلٌ على أبرُقِ الحِمَى مُضِيء ويومٌ بالمشرّق مُشْرِقُ

تسرّقتُ فيه اللهوَ أملسَ ناعماً وأطيَبُ أنس المرء ما يتسرّقُ

ويا حُسْنَ طيفٍ قد تمرّض موْهِناً وقلبُ الدُّجى من صَوْلَةِ الصبح يخفق

وقول ابن الساعاتى [من الطويل]

ولولا وُشاةٌ بل رُواةٌ تَخرّصوا أحاديثَ ليستْ فى سماعٍ ولا نقلِ

لثمتُ ثغورَ النَّوْرِ فى شَنَبِ الندَى خلالَ جبينِ النهر فى طُرَرِ الظلّ

وقول القاضى كمال الدين بن النبيه [من الطويل] :

تبسّمَ ثغرُ الروضِ عن شنبِ القَطْرِ ... وَدَبَّ عذارُ الظلِّ فى وَجْنَةِ النهرِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

والنهرُ خدٌّ بالشعاعِ مُوَرَّدُ ... قد دَبَّ فيه عذارُ ظلِّ البَانِ

والماء فى سُوقِ الغصونِ خلاخلٌ ... من فضةٍ والزهرُ كالتيجانِ

وقول ابن قرناص أيضاً [من الوافر] :

لقد عقدَ الربيعُ نطاقَ زهرٍ ... يضمُّ بغصنه خصراً نحيلاَ

ودبَّ مع العشىِّ عذارُ ظلٍّ ... على نهرٍ حكى خدًّا أسيلاَ

وكلهم قد أخذوا الوجه والعذار من ابن خفاجة ، حيث قال [من الطويل] :

وإنى وإن جئتُ المشيبَ لمولعٌ ... بطُرّةِ ظلٍّ فوق وَجهِ غديرِ

وما أحسن قول الشهاب محمود الوراق [من البسيط] :

إذا الكرى ذرَّ فى أجفاننا سِنَةً ... من النعاس نفضناها عن الهُدُبِ

وقول ابن نباتة المصرى أيضاً [من الطويل] :

ولما جنى طرفى رياضَ جمالكمْ ... جعلتُ سُهادى فى عقوبةِ مَنْ جَنَى

أأحبابَنَا إن عفتمُ السفحَ منزلاً ... وأخليتم من جانب الجذع موطنَا

فقد حزتمُ دمعى عقيقاً ومُهجتى ... غَضًى وسكنتم من ضلوعى مُنحنَى

وقوله أيضاً [من الكامل] :

هذِى الحمائم فى منابر أيكها ... تُملِى الغنا والطلُّ يكتبُ فى الورَقْ

والقُضْبُ تخفض للسلام رُؤوسها ... والزهرُ يرفعُ زائريه على الحدَقْ

وهو أحسن من قول الأمير مجير الدين بن تميم [من الكامل] :

إنى لأشهدُ للحِمَى بفضيلةٍ ... من أجلها أصبحتُ من عشاقهِ

ما زارَهُ أيامَ نرجسِهِ فـتىً إلا وأجلسهُ على أحداقِهِ

وقول مجد الدين الاربلى [من الكامل] :

أصغِى إلى قول العذول بجملتى مستفهماً عنكم بغير ملالِ
لتلقُّطِى زهرات وَردِ حديثكمْ من بين شوك ملامةِ العذّالِ

وقول مانى الموسوس [من المتقارب] :

دعتنى إلى وصلها جَهْرَةً ولم تدر أنى لها أعشقُ
فقمتُ وللسكر من مفرقى إلى قدمى ألسنٌ تنطقُ

وما أجود قول أبى طاهر البغدادى فى نار القرى [من الكامل] :

خطرتْ فكادَ الوُرقُ تَسْجعُ فوقها إن الحمامَ لمولعٌ بالبانِ
من معشرٍ نَشَرُوا على تاج الرُّبا للطارقين ذوائبَ النيرانِ

وهو مأخوذ من قول الأول [من الطويل] :

يبيتون فى المَشْتَى خماصاً وعندهُمْ من الزاد فضلاتٌ تعدُّ لمن يَقْرَى
إذا ضلَّ عنهم طارقٌ رفعوا له من النار فى الظلماء ألويةً حمرا

وقول صر در فيها [من الكامل] :

قومٌ إذا حيا الضيوفُ جفانَهُمْ رَدَّتْ عليهم ألسنُ النيرانِ

ومنه قول التهامى [من الكامل] :

نادَتهُ نارُكَ وهىَ غيرُ فصيحةٍ وهناً بخَفْقِ ذوائب النيرانِ

وقد بالغَ مهيار الديلمى فى قوله [من الكامل] :

ضرَبوا بمَدْرَجة الطريق قِبَابهمْ يتقارعونَ على قِرى الضيفانِ
ويكادُ موقدُهمْ يجُودُ بنفسـهِ حُبَّ القِرَى طرَباً على النيرانِ

وما أحسن قول ابن سُكَّرة ، وهو صاحب البيتين الجامعين لكافات الشتاء [من مجزوء الرمل] :

قيلَ ما أعددتَ للبرْ د فقد جاء بشدَّهْ
قلتُ دُرَّاعةَ عُرْيٍ تحتها جُبَّة رِعْدَهْ

وما ألطف قول ابن عمار [من الكامل] :

أدرِ الزجاجة فالنسيم قد انبرَى والنجمُ قد صرف العِنانَ عن السُّرَى
والصبحُ قد أهدى لنا كافورهُ لما استردّ الليلُ منّا العنبرا

ومن بديع الاستعارة — على سخفه ومجونه — قولُ سعيد بن سناء الملك ، [من مجزء الكامل] :

يا هذه لا تستحى منى قد انكشف المُغَطَّى
إن كان كُسُّكِ قد تثا ءَبَ إنّ أيرِى قد تمطّى

فاستعارة التثاؤب والتمطى هنا من أحسن الاستعارات . قال ابن جبارة : أنشدنى هذا ابنُ سناء الملك ، وزاد فى الاعجاب به ، فلما عدتُ إلى البيت أخذت جزءاً من البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى ، فوجدت فيه أن بغدادية قالت لأخرى : خرجت اليوم إلى العيد ؟ قالت : إى وحياتك ، قالت لها : فما رأيت ؟ قالت : أحراحاً تتثاءب وأيوراً تتمطى ، فلما اجتمعتُ به قلت له : قد عرفتُ وعثرت على الكنز الذى انتهبته ، وحكيت له الحكاية قال : سيدنا يفتش عن أمرى .

ومن ظريف الاستعارات قول الأمير مجير الدين بن تميم [من الكامل] :

كيفَ السبيلُ لأنْ أقبلَ خدّ مَنْ أهوى وقد نامت عيونُ الحرّسِ
وأصابعُ المنثور تومى نحوَنا حسداً وتغمزها عيون النرجسِ

و بديع قول السلامى أيضاً فى وصف الحرب [من الكامل] :

والنقع ثوبٌ بالنُّسُورِ مُطَرَّزٌ والأرضُ فَرْشٌ بالجياد مخيلُ
وسطورُ خيلكَ إنمـا ألِفاتها سمرٌ تنقط بالدماء وتشكلُ

وأجاد البدر بن يوسف الذهبي بقوله [من السريع] :

هلمّ يا صاحِ إلى روضةٍ يجلو بها العانى صدَا همِّه
نسيمها يعثر فى ذيلهِ وزَهرها يضحكُ فى كمِّه

ومن ظريف الاستعارة أيضاً قول ابن الغويرة [من مجزوء الكامل] :

عاينتُ حبـةَ خالهِ فى رَوضةٍ من جُلُّنارِ
فغـدا فؤادِى طائراً فاصطاده شركُ العِذَارِ

وما أبدع أيضاً قول الشريف الرضى الموسوى [من البسيط] :

أرسى النسيمُ بواديكمْ ولا برِحتْ حواملُ المزنِ فى أجداثـكم تضعُ
ولا يزالُ جنـينُ النبتِ تُرْضِـعُهُ على قبـورِكُمُ العرّاضـةُ الهمعُ

وقد أخذه ابن أسعد الموصـلى ، فقال من قصيدة ، يتشوق فيها إلى دمشق [من البسيط] :

سقى دمشقَ وأياماً مضتْ فيها حواملُ السُّحب باديهَا وعاديهَا
ولا يزالُ جنينُ النبت تُرضعهُ حواملُ المزن فى أحشا أرَاضيهَا

ومحاسن هذا الباب كثيرة ، والاقتصار على هذه النبذة أولى .

* * *

شاهد جواز البناء على الفرع

١٠٨ — هى الشَّمْسُ مَسكنها فى السماء فعزِّ الفـؤادَ عَزاء جميـلاَ
فلنْ تستطيعَ إليها الصُّعودَ ولنْ تستطيعَ إليكَ النزولاَ

البيتان للعباس بن الأحنف ، من المتقارب

والشاهد فيهما : جواز البناء على الفرع – وهو المشبه به – مع جحد الأصل وهو المشبه ، لأنه هنا طوى ذكر الأصل ، وجعل الكلام خلوا منه ، ويسمى هذا المجاز المفرد ، ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

أبى أحمدُ الغيثين صعصعةُ الذى ... متى تبخلِ الجوزاء والدَّلْوُ يُمطِرِ

وقول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين [من الكامل] :

يتعاوَرانِ من الغبارِ مُلاَءةً ... بيضاء محكمةً إذا نسجاهَا

تُطوَى إذا وَرَدَا مكاناً محزناً ... وإذا السنابكُ أسهلت نشراهَا

وقول سعيد الكاتب التسترى النصرانى [من مجزوء الخفيف] :

قلتُ زورى فأرسلتْ ... أنا آتيك سُحرَهْ

قلتُ فالليلُ كان أخـفى ... وأدنى مسرّهْ

فأجابتْ بحجةٍ ... زَادتِ القلبَ حسرَهْ

أنا شمسٌ وإنمـا ... تطلعُ الشمسُ بُكرَهْ

وله فى معناه أيضاً [من الخفيف] :

وعدَ البدرُ بالزيارة ليلاً ... فاذا ما وفى قضيتُ نذورى

قلتُ ياسيدى فَلِمْ تؤثر الليـلَ على بهجةِ النهار المنيرِ

قال لى لا أحبُّ تغيير رسمى ... هكذا الرّسمُ فى طلوع البدُورِ

وقال فى معناه أيضاً [من الخفيف] :

قلتُ للبدر حينَ أعتبَ زرنى ... واشمت الوصلَ بالقلا والتجافى

قالَ إنى معَ العشاء سآتى ... فانتظرنى ولا تخفْ من خلافِ

قلتُ يا سيدى فزرنى نهاراً ... فهو أدنى لقربةِ الايلافِ

قالَ لا أستطيعُ تغييرَ رسمى ... إنما البدرُ فى الظلام يوافِى

وقد جمع أبو العلاء المعرى المعنيين فى قوله [من الخفيف] :

هىَ قالت لما رأت شيبَ رأسى ... وأرادتْ تنكراً وازورارًا

أنا بدرٌ وقد بدا الصبحُ من شيبكَ والصبح يطرد الأقمارًا

قلتُ لا بل أراكِ فى الحسن شمساً ... لا ترَى فى الدُّجى وتبدو نهارًا

* * *

١٠٩ — وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارَهَا ... ألفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ

شاهد الاستعارة بالكناية

البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، من قصيدة [1] من الكامل ، قالها وقد هلك له خمسُ بنين فى عام واحد ، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر ، فرثاهم بهذه القصيدة ، وأولها :

أمِنَ المنونِ ورَيبها تتوجعُ ... والدهرُ ليسَ بمُعْتِبٍ مَنْ يجزعُ

قالتْ أُمامةُ ما لجسمكَ شاحباً ... منذُ ابتذلتَ ومثلُ مالكَ ينفعُ

أمْ ما لجسمكَ لا يلائم مضجعاً ... إلا أقضَّ عليكَ ذاكَ المضجعُ [2]

فأجبتها أمّا لجسمىَ إنهُ ... أودَى بَنِىَّ من البلاد فودَّعُوا [3]

أودَى بَنِىَّ فأعقبونى حسرةً ... عند الرُّقادِ وعَبْرةً لا تُقْلِعُ

فالعينُ بعدُهمُ كأنّ حداقَهَا ... كُحِلَت بشوكٍ فهى عُورٌ تدمعُ [4]

---

(١) انظرها فى ديوان أبى ذؤيب فى مجموعة شعر الهذليين (١ – ١ طبع دار الكتب المصرية) وانظرها أيضا فى المفضليات ، ولم يراع المؤلف ترتيبهما

(٢) فى المفضليات « أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا » وكذلك فى الديوان

(٣) فى الأصل « فأجبتها أرثى لجسمي » وأثبتنا ما فى المفضليات والديوان

(٤) فى المفضليات « سملت بشوك » وكذلك فى الديوان

فَغُبِرْتُ بعدهم بعيش ناصبٍ ... وإخالُ أنى لاحقٌ مستتبعُ
سبقوا هَوَىَّ وأعنقوا لهواهمُ ... فتُخُرِّموا ولكل جنبٍ مَصْرَعُ
ولقد حرصتُ بأن أدافعَ عنهمُ ... فإذا المنيةُ أقبلتْ لا تُدْفَعُ

وبعده البيت، وبعده:

وتجلُّدِى للشامتين أريهمُ ... أنى لريب الدهر لا أتضعضعُ
حتى كأنى للحوادث مَرْوَةٌ ... بصفا المشرَّق كلَّ يوم تُقْرَعُ
والدَّهرُ لا يَبْقَى على حَدَثانِهِ ... جَوْنُ السَّراةِ له جدائد أربعُ(١)

يروى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما استأذن على معاوية فى مرض موته ليعوده، فادّهن واكتحل، وأمر أن يقعد ويسند، وقال: ائذنوا له، وليسلم قائما ولينصرف، فلما سلم عليه وولى، أنشد معاوية قول الهذلى فى هذه القصيدة * وتجلدى للشامتين ... البيت * فأجابه ابن عباس على الفور: * وإذا المنيةُ أنشبتْ ... البيت * ثمّ ما خرج من داره حتى سمع الناعية عليه.

والشاهد فيه: الاستعارة بالكناية، والاستعارة التخييلية، فهو هنا شبه فى نفسه المنية بالسبع فى اغتياله النفوسَ بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفّاع وضَرّار ولا رقة لمرحوم، فأثبت لها الأظفار التى لا يكمل الاغتيال فى السبع بدونها تحقيقا للمبالغة فى التشبيه، فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية، وَإثبات الأظفار لها استعارة تخييلية.

---

(١) فى الأصل «جون السحاب» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى المفضليات والديوان والأغانى وخزانة الأدب ـ وأراد بجون السراة حمارا وحشيا، والسراة ـ بفتح السين ـ أعلى الظهر، والجدائد: الأتن اللواتى خفت ألبانهن واحدهن جدود.

وأبو ذؤيب[(١)] اسمه : خويلد بن خالد بن محرث[(٢)] بن زبيد بن مخزوم ، ثم صاهلة بن [illegible] الهذلي ينتهي نسبه لنزار ، وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والاسلام ، ولم تثبت له رؤية .

وحدث أبو ذؤيب قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، فاستشعرت حزناً ، وبتُّ بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ، ولا يطلع نورها ، فظللت أقاسي طولها ، حتى إذا كانَ قربَ السحرِ أغفيتُ ، فهتفَ بي هاتفٌ ، وهو يقولُ [من الكامل] :

خطبٌ أجلُّ أناخ بالاسلام بين النخيل ومقعدِ الآطامِ

قبضَ النبيُّ محمدٌ فعيوننا تذرِي الدموعَ عليه بالتسجامِ

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومي فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفاءلت به ذبحا يقع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض ، فركبت ناقتي وسرت ، فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به ، فعنَّ لي شَيْهَمٌ — يعني القنفذ — قد قبض على صِلٍّ — يعني الحية — فهي تلتوي عليه ، والشيهم يقضمها حتى أكلها ، فزجرت ذلك ، وقلت : شيهم شيء مهمّ والتواء الصل : التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبةَ القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر ، فحثثت ناقتي ، حتى إذا كنت بالغابة زجرت الطائر ، فأخبرني بوفاته ، ونعَبَ غراب سانح ، فنطق بمثل ذلك ، فتعوذت بالله من شر ما عنّ

---

(١) لأبي ذؤيب ترجمة في الأغاني (٦ — ٥٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥ — ١٧٩) وخزانة الأدب (١ — ٢٠٣) والشعراء لابن قتيبة

(٢) كذا ، وفي الأغاني « خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن مخزوم » وهو تحريف وما هنا موافق لما في الخزانة ومطلع ديوانه

لى فى طريقى ، وقدمت المدينة المنورة ، ولها ضجيج بالبكاء ، كضجيج الحجيج إذا انطوى بالإحرام ، فقلت : مَهْ ؟ قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت إلى المسجد ، فوجدته خاليا ، فأتيت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبت بابه مُرْتَجًا ، وقيل : هو مُسَجًّى ، وقد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة صاروا إلى الأنصار ، فجئت إلى السقيفة ، فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالماً وجماعة من قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ، وفيهم شعراؤهم : حسان ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، وملأٌ منهم ، فأويت إلى قريش ، وتكلمت الأنصار ، فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب ، وتكلم أبو بكر ، فلله درُّهُ من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخصام ، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا مال إليه وانقاد له ، ثم تكلم عمر بعده بكلام دون كلامه ، ومدّ يده ، فبايعه وبايعوه . ورجع أبو بكر ورجعت معه ، فشهدت الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهدت مدفنه صلى الله عليه وسلم . ثم أنشأ أبو ذؤيب يبكى النبى صلى الله عليه وسلم (١) [من الكامل] :

لما رأيتُ الناسَ فى عسلانهم ما بين ملحودٍ له ومُضَرَّحِ

متنابذين لشرجع بأكفهمْ نصّ الرقاب لفقد أبيض أروحِ

فهناك صرتُ إلى الهموم ومَنْ يبتْ جارَ الهموم يبيتُ غيرَ مروّحِ (٢)

---

(١) لا توجد هذه الأبيات فى ديوان أبى ذؤيب المطبوع فى ديوان الهذليين بدار الكتب المصرية ، وتوجد ماعدا ثانيها فى تاريخ دمشق باختلاف يسير فى ألفاظها

(٢) فى تاريخ دمشق « يبيت غير مرزح » محرفا

كسفت لمصرعه النجوم وبدرها وتضعضعت آطام بطن الأبطح (١)
وتزعزعت أجبال يثرب كلها ونخيلها لحلول خطب مفدح (٢)
ولقد زجرت الطير قبل وفاته بمصابه وزجرت سعد الأذبح
وزجرت أن نعب المشحج سانحاً متفائلاً فيه بفأل أقبح (٣)

ثم انصرف أبو ذؤيب رحمه الله تعالى إلى باديته ، فأقام بها .

وقال محمد بن سلام : كان أبو ذؤيب شاعراً فحلا لا غميزة فيه ولا وهن . وسئل حسان بن ثابت : من أشعر الناس ؟ قال : أحيًّا أم رجلا . قالوا : حياء قال : أشعر الناس حيا هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . وقال محمد بن معاذ العمرى : فى التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زوراء ، وكان اسم الشاعر بالعبرانية مؤلف زوراء ، فأخبرت بذلك بعض أصحاب العبرانية ، — وهو كثير بن إسحاق — فعجب منه ، وقال : قد بلغنى ذلك .

وكان أبو ذؤيب يهوى امرأة ، يقال لها : أم عمرو ، وكان يرسل إليها خالد ابن زهير ، فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل ، يقال له : عويمر ابن مالك بن عويمر ، وكان رسوله إليها ، فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها فأرسلت تترضاه ، فلم يفعل ، وقال فيها (٤) [من الطويل] :

تريدين كيما تجمعيني وخالداً وهل يجمع السيفان ويحك في غمد ؟
أخالد ما راعيت من ذى قرابة فتحفظنى بالغيب أو بعض ما تبدى
دعاك إليها مقلتاها وجيدها فملت كما مال المحب على عمد

---

(١) فى تاريخ دمشق « وتزعزعت آطام »
(٢) وفيه * وتحركت آكام يثرب كلها *
(٣) وفيه * وزجرت إذ نعب . . . *
(٤) انظرها فى الديوان (١٥٩) والأغانى (٦-٦٢)

وكنت كرقراق السرابِ إذا جرى ... لقومٍ وقد بات المطىّ بهم تَخْدِى(١)
فآليتُ لا أنفكُّ أحذو قصيدةً ... تكون وإياها لها مثلا بعدى(٢)

وقال أبو زيد عمرو بن شيبة : تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية ، يعنى قصيدته المثبتة قريباً .

وعن ابن عياش — بالياء التحتية والشين المعجمة — قال : لما مات جعفر الأكبر بن المنصور مشى فى جنازته من المدينة إلى مقابر قريش ، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره ، فأقبل على الربيع ، فقال : يا ربيع ، انظر مَنْ فى أهلى ينشدنى :

* أمنَ المنون وريبها يتوجعُ *

حتى أتسلّى عن مصيبتى ، قال الربيع : فخرجت إلى بنى هاشم ، وهم بأجمعهم حضور ، فسألتهم عنها ، فلم يكن فيهم أحد يحفظها ، فرجعت فأخبرته ، فقال : والله لمصيبتى بأهل بيتى ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة لقلة رغبتهم فى الأدب أعظمُ وأشد علىّ من مصيبتى بابنى ، ثم قال : انظر هل فى القواد والعوام من يعرفها؟ فانى أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها ، فخرجت فاعترضت الناس ، فلم أجد أحدا ينشدها إلا شيخا مؤدبا قد انصرف من تأديبه ، فسألته : هل يحفظ شيئا من الشعر ، قال : نعم ، شعر أبى ذؤيب ، فقلت : أنشدنى ،

---

(١) فى الأصل (تحدى) وفى الأغانى (يحدى) كلاهما بالحاء مهملة ، وأثبتنا الصواب عن الديوان

(٢) فى الأصل «لا أنفك أحدو» وكذا فى الأغانى ، بالدال مهملة ، وهى رواية ، ومعناها أغنى بها ، وأثبتنا أوثق الروايتين ، ومعنى « أحذو » بالذال معجمة ــ أقول

فابتدأ بهذه القصيدة العينية ، فقلت : أنت بغيتى ، فأوصلته إلى المنصور ، فأنشده إياها ، فلما قال :

* والدَّهرُ ليسَ بمعتب مَنْ يجزعُ *

قال: صدق والله ، فأنشدنى هذا البيت مائة مرة لترددهذا المصراع على ، فأنشده ، ثم مر فيها فلما انتهى إلى قوله :

* والدهرُ لا يبقى على حدثانِهِ إلخ *

قال : سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ، ثم أمر الشيخ بالانصراف ، فاتبعته فقلت : أمر لك أمير المؤمنين بشىء ؟ قال : نعم ، وأرانى صرة فى يده فيها مائة درهم

وعن الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى قال : كان أبو ذؤيب الهذلى خرج فى جند عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح أحد بنى عامر بن لؤى إلى إفريقية سنة ست وعشرين غازيا فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، و بعث معه نفراً منهم أبو ذؤيب ، ففى عبد الله يقول [من المتقارب] :

وصاحبِ صِدْقٍ كَسِيدِ الضَّرا ءِ ينهضُ فى الغزوِ نهضا نجيحا (١)

فى قصيدة له (٢) ، فلما قدموا إلى مصر مات أبو ذؤيب بها

وعن أبى عمرو عبد الله بن الحارث الهذلى من أهل المدينة المنورة قال : خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له(٣) أبو عبيد حتى قدموا على عمر

---

(١) فى الأصل « كسيد الغضا » وأثبت ما فى الديوان . والضراء ـ بفتح الضاد ـ ما واراك من الشجر

(٢) انظرها فى الديوان (١٢٩ ـ ١٣٦)

(٣) فى الأغانى « يقال له أبو عقيل » وسماه بعد ذلك فى كل موضع جرى فيه اسمه من هذه القصة أبا عبيد ، وفى تاريخ دمشق كما هنا

ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : أى العمل أفضل يا أمير المؤمنين ؟ قال : الايمان بالله ورسوله ، قال : قد فعلت فأيه أفضل بعده ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قال : ذلك كان عملى ولا أرجو جنة ولا أخاف ناراً ، ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين ، فلما قفلوا أخذه الموت ، فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعاً فمنعهما صاحب الساقة وقال : ليتخلف عليه أحدكما وليعلم أنه مقتول ، فكلاهما أراد أن يتخلف عليه ، فقال لهما أبو ذؤيب : اقترعا ، فطارت القرعة لأبى عبيد فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس ، فكان أبو عبيد يحدث قال : قال لى أبو ذؤيب ، يا أبا عبيد ، احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعضد من الشجر بسيفك ، ثم اجررنى إلى هذا النهر فانك لاتفرغ حتى أفرغ ، فاغسلنى وكفنى بكفنى ثم اجعلنى فى حفيرتى ، وانثل على الجرف برمحك ، وألق على الغصون والحجارة ، ثم اتبع الناس فان لهم رهجة تراها فى الأفق إذا أمسيت كأنها جهامة ، قال : فما أخطأ مما قال شيئا ، ولولا نعته لم أهتد لأثر الجيش ، وقال وهو يجود بنفسه [من الرجز] :

أبا عُبيدٍ رُفعَ الكتابُ   واقترَب الموعودُ وَالحسابُ(١)
وعندَ رِجلى جملٌ نحابُ   أحمرُ فى حارِكه انصِبَابُ

ثم مضيت حتى لحقت بالناس ، فكان يقال : إن أهل الاسلام أبعدوا الأثر فى بلاد الروم ، فما كان وراء قبر أبى ذؤيب قبر يعلم لأحد من المسلمين ، وهذا يخالف رواية الزبير بن بكار السابقة ، والله أعلم أى ذلك كان

* * *

من شواهد الاستعارة بالكناية

١١٠ — ولئن نطقتُ بشكرِ بِرِّكَ مُفصِحا   فلسانُ حالى بالشِّكايةِ أنطَقُ

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله

---

(١) فى الأغانى « واقترب الموعد »

والشاهد فيه : ما فى البيت قبله ، فانه شبه الحال بانسان متكلم فى الدلالة على المقصود ، وهذا هو الاستعارة بالكناية ، فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الانسان المتكلم ، وهذه الاستعارة التخييلية

وقريب من معناه قول ابن الخيمى [من الكامل] :

أبداً أحِنُّ إلى محيَّاك الذى يُصبى البعيد إليه نورٌ مشرقُ

وأرومُ شكوى موجعات الحب لا استحظا بها لكن لعلك تشفقُ

فأرى لسانى بالصبابة أخرساً ولسانُ حالى بالشكاية ينطقُ

وأفوه باسمك والمسافة بيننا قصوى فيضحى الجو طيباً يعبقُ

* * *

١١١ — صحا القلبُ عن سلمى وأقصر باطلُهْ وعرّى أفراس الصبا ورواحلُهْ

من شواهد الاستعارة بالكناية

البيت لزهير بن أبى سلمى ، وهو أول قصيدة (١) من الطويل ، وبعده :

وأقصرتُ عما تعلمين وسُدِّدتْ علىَّ سوى قصد السبيل معادِلُهْ

إلى أن يقول فيها :

فقلنا له أبصر وسدِّد طريقهُ وما هو فيه عن وَصاتىَ شاغلُه(٢)

وقلت تعلم أن فى الصيد غِرَّةً وإن لا تضيعه فانك قاتلُه(٣)

فأتبع آثار الشياه وليدُنا كشؤبوب غيث يحفش الأكم وابلُه(٤)

---

(١) انظرها فى ديوان زهير (١٢٤ طبع دار الكتب المصرية)

(٢) فى رواية الأعلم الشنتمرى « فقلت له » وفى الديوان « سدد وأبصر طريقه »

(٣) فى الديوان وشرح شواهد النحو « تعلم أن للصيد غرة » والغرة — بكسر الغين المعجمة — الغفلة ، ووقع فى الأصل « عزه » محرفا عما أثبتناه

(٤) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، ويحفش : يسيل ويخرج ، يقال : حفش فلان لك الود ، إذا أخرج كل ما عنده ، والمراد يكثر السيل حتى يخرج ما فى الأكم

نظرت إليــه نظرة فرأيته   على كل حال مرة وَهْوَ حاملُهْ

وهى طويلة .

يقال : أقصر عن الشىء ، بمعنى انتهى أو عجز عنه

والشــاهد فيه : ما فى البيت قبله أيضاً ، فانه أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه من المحبة زمن الجهل والغى ، وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته ، فشبه فى نفسه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلاتها .

ووجه الشبه : الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال بمهلكة ولا متحرز عن معركة .

وهذا التشبيه المضمر فى النفس استعارة بالكناية أثبت له بعض ما يختص بتلك الجهة ـ وهى الأفراس والرواحل التى بها قِوامُ السير والسفر ـ فاثبات الأفراس والرواحل استعارة تخييلية ، والصبا على هــذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة ، ويحتمل أنه أراد بالأفراس والرواحــل دواعى النفس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات ، أو أراد بها الأسباب التى قلما تتخذ فى اتباع الغى إلا أوانَ الصبا وعنفوان الشباب فتــكون استعارة الأفراس والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلا إذا أريد بها الدواعى وحساً إذا أريد بها اتباع أسباب الغى

* * *

١١٢ ـــ * والطاعنينَ مَجامعَ الأضغانِ *

من شواهد الكناية

هو من الــكامل ، ولا أعرف[١] قائله ، وصدره :

---

(١) نسبه فى الموازنة (٢٨٢ بتحقيقنا) إلى عمرو بن معديكرب الزبيدى ، ولم أجده فى ديوان عمرو ولا فى زياداته

* الضاربينَ بكل أبيض مخذمٍ *

والمخذم ـ بالذال المعجمة ـ السيف ، والأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد

والشاهد فيه : القسم الأول من أقسام الكناية، وهو: أن يكون المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، وتكون لمعنى واحد كما هنا ، وتكون لمجموع معان ، فقوله : « بمجامع الأضغان » معنى واحد كناية عن القلوب

ونحوه قول البحترى [من الطويل] :

فأتبعتُهَا أخرى فأضْلَلْتُ نَصْلها بحيثُ يكون اللبُّ والرُّعْبُ والحقدُ

* * *

١١٣ — إن السماحةَ والمروءةَ والندى في قبةٍ ضُرِبت على ابن الحشرج

من شواهد الكناية

البيت لزياد الأعجم ، من أبيات (١) من الكامل، قالها فى عبد الله بن الحشرج ، وكان قد وفد عليه ، وهو أمير على نيسابور فأمر بانزاله وألطَفَه وبعث إليه بما يحتاجه ، فغدا إليه فأنشده البيت ، و بعده :

ملك أغر متوجٌ ذو نائلٍ للمعتفينَ يمينُهُ لم تشنج
ياخَيْرَ من صعد المنابر بالتُّقَى بعد النبى المصطفى المتحرِّج
لما أتيتك راجياً لنوالكم ألفيْتُ باب نوالكم لم يُرْتَجِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم

والمروءة : كمالُ الرجولية .

والشاهد فيه : القسم الثالث من أقسام الكناية ، وهو أن يكون المطلوب بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص ممدوحه بهذه الصفات ، وترك التصريح باختصاصه بها إلى الكناية بأن جعلها فى قبة ضربت

(١) انظرها فى الأغاني (١٤ ـ ١٠٥ بولاق)

عليه ، تنبيها على أن محلها ذو قبة ، وهى تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء ، قال أبو تمام [من الكامل] :

لولا بنو جُشَمَ بْن بكر فيكمُ كانت خيامكم بغير قِباب

و إنما احتاج فى هذا البيت إلى هذا لوجود ذوى قباب فى الدنيا كثيرين، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له ، لأنه إذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحَيِّزه فقد أثبته له

وفى معنى البيت قول زياد أيضاً فى مرثية المغيرة بن المهلب [من الكامل]:

إن السماحة والمروءة ضُمِّنَا قبراً بمَرْوَ على الطريق الواضح

وقريب منه قول ابن خلاد يمدح ابن العميد [من الوافر]

لقد شهدَتْ عقولُ الخلق طراً وحسبُك بالبصائر من شهود

بأن محاسنَ الدنيا جميعاً بأفْنِيَةِ الرئيس ابن العميد

وقول الآخر يمدحه [من الكامل] :

والمجدُ يدعو أن يدوم بجيدِهِ عقدٌ مساعِى ابن العميد نظامُهُ

وابن الحشرج الممدوح : اسمه عبد الله ، وكان سيداً من سادات قيس ، وأميراً من أمرائها ، ولى كثيرا من أعمال خراسان ، ومن أعمال فارس وكرمان[1] وكان جوادا ممدوحا ، وفيه يقول زياد أيضا [من الطويل] :

ترجمة عبد الله بن الحشرج

إذا كنت مرتاد السماحة والندى فسائل تُخَبَّرْ عن ديار الأشاهب

وكان عبدالله كثير العطاء ، أعطى بخراسان حتى أعطى فراشه ولحافه ، فقالت له امرأته : لشد ما تلاعبَ بك الشيطان وصرت من إخوانه مبذِّرا كما قال الله

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة ما نصه « قوله وكرمان ، فى نسخة همذان بدل كرمان » اهـ

تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة ابن درى النهدى وكان أخا له وصديقا : ألا تسمع ما تقول هذه النَّوكى وما تتكلم به ؟ فقال له رفاعة : صدقتْ والله و برُتْ و إنك لمبذر ، و إن المبذرين لإخوان الشياطين ، فقال ابن الحشرج فى ذلك [من الطويل] :

متى يأتنا الغيث المغيث تجدْ لنا مكارم ما تعيى بأموالنا التُّلْدِ

مكارم قد جُدْ نَاها إذ نمنعت رجالٌ وضنت فى الرخاء وفى الجهد(١)

أردنا بما جُدْنَا به من تِلادنا خلافَ الَّذى يأبى خيار بنى نَهد

تلوم على إتلافىَ المـال خُلَّتى و يُسْعدها نهد بن زيد على الزهد

أنَهْدَ بن زيد لست منكم فتشْفقوا علىَّ ولا منكم غوانى ولا رشدى

أتيتُ صغيرا ناشئاً ما أردتم وكهلا وحتى تُبصرونىَ فى اللحد(٢)

سأبذل مالى ، إنَّ مالى ذخيرة لِعقْبى وما أجنى به ثمر الخلد

ولست بمبكاء على الزاد باسل يهر على الأزواد كالأسَدِ الوَرْدِ

ولـكنَّنى سَمْحٌ بما حزت باذلٌ لما كلفت كفاى فى الزمن الجَعْدِ

بذلك أوصانى الرقاد وقبله أبوه بأن أعطى وأوفىَ بالعهد

والرقاد : كان أحد عمومته ، وكان سيدا جوادا .

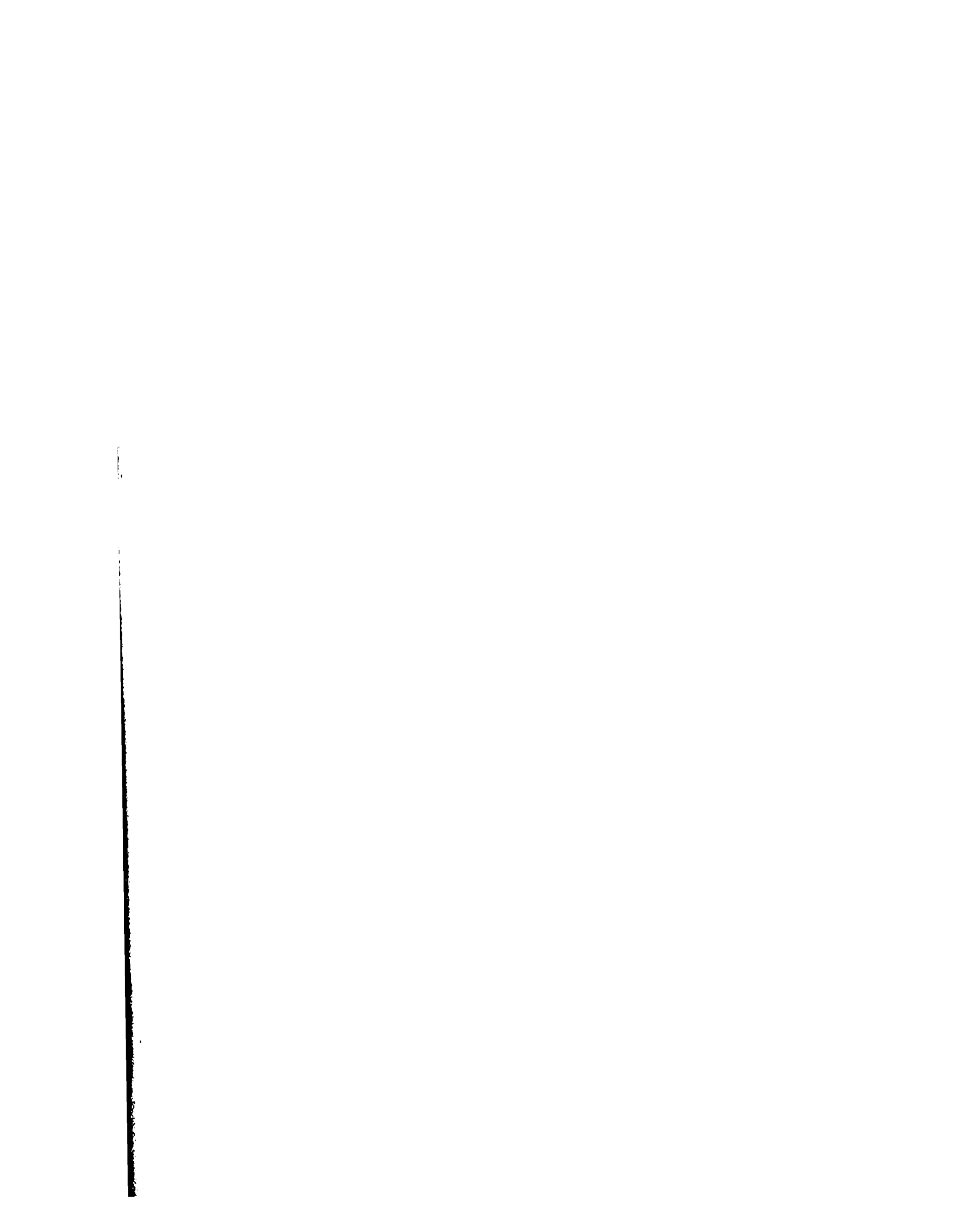
---

(١) فى الأصل « مكارم ماجدنا بها » وظاهر أنه محرف عما أثبتناه

(٢) كذا ، ولعله

* أتيت صغيرا ناشئا ما كرهتم *

أو نحو ذلك



شواهد الفن الثالث ، وهو علم البديع

شاهد طباق التدبيج

١١٤ — تردّى ثيابَ الموتِ حُمراً فما أتى لها الليلُ إلا وهى من سندسٍ خُضْرُ

البيت لأبى تمام الطائى ، من قصيدة من الطويل[1] ، يرثى بها أبا نهشل محمد بن حُميد حين استشهد ، وأولها :

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ وليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذرُ[2]

تُوفيتِ الآمالُ بعد محمدٍ فأصبح فى شغل عن السفرِ السفْرُ[3]

وما كان إلا مالَ من قلَّ مالهُ وذُخراً لمن أمسى وليسَ له ذُخرُ

وما كانَ يدرى مَنْ بلاَ يُسْرَ كفهِ إذا ما استهلَّتْ أنهُ خُلق العسرُ[4]

يقول فيها :

غدَا غدوةً والحمدُ نسجُ ردائهِ فلم ينصرفْ إلا وأكفانهُ الأجرُ

وبعده البيت ، وبعده :

كأنَّ بنى نبهانَ يومَ وفاتهِ نجومُ سماء خرَّ من بينها البدرُ

يُعَزَّوْنَ عن ثاوٍ تُعزَّى بهِ العلاَ ويبكى عليه البأسُ والجودُ والنصرُ[5]

وأنَّى لهم صبرٌ عليه وقد مضى إلى الموتِ حتى استشهدَا هو والصبرُ

ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب الملطخة بالدمِ ، فلم ينقض يومُ قتله ، ولم

---

(١) اقرأها فى الديوان (٣٦٨) وهى فى رثاء بنى حميد الطوسى محمد وقحطبة وأبى نصر

(٢) فى الديوان « فليس لعين »

(٣) فى الديوان « وأصبح فى شغل »

(٤) فى الديوان

* وما كان يدرى مجتد جود كفه *

(٥) فى الديوان « والشعر » مكان « والنصر »

يدخل فى ليلته إلا وقد صارت الثياب خضراً من سندس الجنة .

أقول : ولو قال أبو تمام :

تردى ثياب الموت حمراً فما اختفى … عن العين إلا وهى من سندس خضر

لكان أبلغ فى القصد وأبدع ، فانه جعل غاية تبديلها بالسندس دخوله فى الليل ، وهذا ليس بمعلوم ، فان الميت إذا غُيِّب بالدفن عن الأعين تبدلت أحواله إلى خير أو شر ، والعياذ بالله تعالى . ويشهد لذلك ما ورد أن الميت بمجرد ستره عن الأعين يأتيه مَلَكا السؤال .

وفى معنى بيت أبى تمام قولُ القاضى الفاضل عبد الرحيم ، رحمه الله ، [من مجزوء الكامل] :

لهفى لمقتولٍ تُلاَ … حظه عيونُ البيض شزْرَا

متضرِّجاً بدمٍ رأتـ … ـهُ الحورُ فى الجنات عطْرا

متكفنٌ بملابسٍ … حمراء وهى تعودُ خضرا

يروى أنه لما ورد نعى هذا المرثىّ غمس أبو تمام طرف ردائه فى مداد ، ثم ضرب به كفيه وصدره ، وأنشد هذه القصيدة .

وإلى ذلك أشار ابن زنجى الكاتب المغربى فى قوله يرثى الشيخ أبا على ابن خلدون [من الكامل] :

لو لا الحياء وأن أجىء بخصلة … تقضى علىَّ بها سيوفُ ملامِ

وأكون متبعاً لأشنع سنةٍ … قد سنها قبلى أبو تمامِ

للبست لبس الثاكلات وكنت فى … سود الوجوه كأننى من حامِ

والشاهد فى البيت : الطباق المسمى بالتدبيج ، وهو : أن يذكر الشاعر أو الناثر فى معنى من المدح أو غيره ألوانا لقصد الكناية أو التورية ، ويسمى

تدبيج الكناية أيضاً ، فانه هنا ذكر لون الحمرة والخضرة ، والمراد من الأول الكناية عن القتل ، ومن الثانى الكناية عن دخول الجنة .

ومن طباق التدبيج قول عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

بأنَّا نوردُ الراياتِ بيضاً ونُصْدِرهُنَّ حمراً قد رَوِينَا

ولو اتفق له أن يقول :

من الأسل الظِّماء يردن بيضاً ونُصدرهنَّ حمرا قد روينَا

لكان أبدع بيت للعرب فى الطباق ، لأنه يكون قد طابق بين الايراد والاصدار ، والبياض والحمرة ، والظمأ والرى ، وقد تمَّ لأبى الشيص ، فقال [من الطويل] :

فأوردَها بِيضاً ظماءً صدورُها وأصدرَها بالرىِّ ألوانُها حمْرَا

فصار أخذه مغفورا بكمال معناه ، وما أحسن قول ابن حيوس [من الكامل] :

وتملكِ العلياءَ بالسعى الذى أغناكَ عن متعالم الأنسابِ
ببياض عِرْضٍ واحمرار صوارمٍ وسواد نقْعٍ واخضرار رِحابِ
وافخر بعمٍّ عمَّ جودُ نوالهِ وأبٍ لأفعال الدنيةِ آبي

وقوله أيضا [من الخفيف] :

إنْ تردْ عِلمَ حالهم عن يقينٍ فالقَهُمْ فى مكارمٍ أو نزالِ
تلقَ بيضَ الأعراض سمرَ مثار النقع خضرَ الأكناف حمر النصالِ

وقد أخذه ابن النبيه فقصر عنه فى قوله [من السريع] :

لهمْ بنانٌ طافحٌ بالنَّدَى فهنَّ إما دِيَمٌ أوْ بِحارْ
بيضُ الأيادى خضرُ رَوضِ الرُّبا حُمْرُ المواضى فى العَجاج المُثَارْ

وقول بعضهم [من الكامل] :

الغصنُ فوقَ الماء تحت شقائقٍ مثلُ الأسنة خُضِّبَتْ بدماءِ
كالصَّعْدةِ السمراءِ تحتَ الرايةِ الـ حمراءِ فوقَ اللأمةِ الخضراءِ

وقريب من لفظه قول الصلاح الصفدى رحمه الله تعالى [من الكامل] :

ماأبصرَتْ عيناكَ أحسنَ منظراً فيما يُرَى من سائرِ الأشياءِ
كالشامةِ الخضراءِ فوقَ الوجنةِ الـ حمراءِ تحتَ المقلةِ السوداءِ

ولابن النبيه [من المتقارب] :

دَعِ النوحَ خلفَ حُدُوجِ الركائبْ وَسَلِّ فؤادكَ عن كل ذاهبْ
ببيضِ السوالف حمرِ المراشـ ـفِ صفرِ الترائبِ سودِ الذوائبْ
فما العيشُ إلاَّ إذا ما نظمتَ بثغرِ الحَبَابِ ثنايا الحبائبْ

ولابن الساعاتى [من الكامل] :

من معشرٍ ويجلُّ قدرُ علائهِ عن أن يقالَ لمثلهِ من معشرِ
بيضِ الوجوه كأنَّ زُرْقَ رماحِهم سمرٌ يحلُّ سوادَ قلبِ العسكرِ

ولابن دبوقاء العماد من أبيات [من المتقارب] :

أرَى العقدَ فى ثغرهِ محكماً يرينا الصِّحاحَ منَ الجوهرِ
وتكملةُ الحسن إيضاحُها رويناه عن وجهكَ الأزهرِ
ومنثورُ دَمْعى غدَا أحمرًا على آسِ عارضكَ الأخضرِ
وبعتُ رشادى بغىِّ الهوى لأجلكَ يا طلعةَ المشترِى

ولأبى الحسن محمد بن القنوع من أبيات [من الطويل] :

ويخترمُ الأرواحَ والموتُ أحمرُ بأبيضَ يتلوه لدى الطعن أزرقُ

وما أحسن ماقال بعده :

ويُجْرِى عتاقَ الخيل قُبًّا شوازبًا تبارى هبوبَ الريح بل هى أسبقُ

إذا حضرت منها الجوافرُ فى الصفا عقاربَ ظلت بالنجيع تخلّقُ

ولأبى الفرج الببغاء فى قريب من معناه [من الكامل] :

وكأنما نقشت حوافرُ خيله للناظرين أهلّةً فى الجلمد

وما أحسن قوله بعده :

وكأن طرف الشمس مطروفٌ وقد جعل الغبارُ له مكان الإثمد

ولأبى سعيد الرستمى [من الطويل] :

منَ النفر العالينَ فى السلم والوغى وأهلِ المعالى والعوالى والنُّهى

إذا نزلوا اخضرَّ الثرى من نزولها وإن نازلوا احمرَّ القنا من نزالها

ولابن جابر الأندلسى [من الخفيف] :

تشتكى الصفرُ من يديه وترضى السمرُ من راحتيه عندَ الحروبِ

أحمرُ السيف أخضرُ السيب حيث الأرضِ غبراء من سواد الخطوبِ

ولأبى القاسم عبد الصمد بن على الطبرى من قصيدة [من السريع] :

حمرٌ يدى بالكأس فالروضُ مخضرٌّ الرُّبا قبل اصفرار البنانْ

ولأبى بكر الخالدى [من الكامل] :

ومدامة صفراءَ فى قارورةٍ زرقاء تحملها يدٌ بيضاء

فالراحُ شمسٌ والحَبَاب كواكب والكفّ قُطْبٌ والاناء سماء

ولنجم الدين البارزى فى وصف قلم [من الكامل] :

ومثقف للخطّ يحكى فعلَ سمـرِ الخط إلا أن هذا أصغرُ

فى رأسه المسودّ إن أجروه فى المبيض للأعداء موتٌ أحمر

ومن المضحك فيه قول ابن لنكك البصرى يهجو أبا رياش ، وكان نهما شرها على الطعام [من الوافر] :

يَطيرُ إلى الطعام أبو رياشٍ مُبادرةً ولو واراهُ قـبرُ
أصابعهُ من الحلواء صفرٌ ولكنَّ الأخادِعَ منه حُمْرُ

وكان أبو رياش هذا باقعة فى حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها ، غاية بل آية فى هذه دواوينها وسَرْد أخبارها ، مع فصاحة وبيان ، و إعراب و إتقان ، ولكنه كان عديم المروءة ، وسخ اللبسة ، كثير التقشف ، قليل التنظف ، وفيه يقول أبو عثمان الخالدى [من الرجز] :

كأنما قَمْلُ أبي رياشِ ما بينَ صِئْبَانٍ قَفَاهُ الفاشى
وذا وذا قد لج فى انتِفاشِ شهدانج يُنْثرُ فى خَشْخَاشِ

وفيه يقول ابن لنكك وقد ولى عملا بالبصرة [من الكامل] :

قل للوَضيع أبي رياش لا تُبَلْ تِهْ كلَّ تِيهِكَ بالولايةِ والعمَلْ
ما ازْدَدتَ حين وليتَ إلا خِسةً كالكلب أنجسُ ما يكون إذا اغتَسل

وله فيه أيضاً [من الكامل] :

نُبِّئْتُ أن أبا رياش قد حَوَى علم اللغات وفاقَ فيما يَدَّعي
مَنْ مُخبرى عنهُ فانى سائلٌ من كان حَنَّكهُ بأيرِ الأصمعى

وله فيه أو فى غيره من الأدباء [من الكامل] :

يا مَنْ تَطَيَّبَ وهو من خَرَقِ استهِ قَلِقٌ يـكابِد كل داء مُعْضِلِ
فشل الصيال وما عهدنا دبره مذ كان يفشل عن صيال الفيشل
وأراهُ فى الكُتُبِ الجليلةِ زاهدا لا يَسْتَجيد سوى كتابِ المُدْخَلِ
قَبَّلتهُ ولثمتُ فاهُ مُسلماً لثم الصَّديقِ فم الصديق المجملِ (١)

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق بهامش النسخة « فى نسخة : الصديق المقبل »

فدَنا إلىَّ على المكانِ وقالَ لى أُفديكَ من متمشّقٍ متغزِّلِ
إن كنتَ تلثمنى بودٍّ فاشفِنى بليسانِ بطنكَ فى فمى من أسفلى

وقد زاغ القلم وطاش ، بجريرة أبى رياش ، وأنا أستغفر الله من ذلك .

* *

شاهد إيهام التضاد

١١٥ — لا تَعجَبِي يا سلْمَ من رَجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبَكى

البيت لدِعْبِل من قصيدة (١) من الكامل أولها :

أينَ الشبابُ وأيةً سلَكا لا، أين يطلَبُ؟ ضلّ، بل هلَكا

وبعده البيت ، وبعده :

يا سَلْمَ ما بالشيبِ مَنْقَصةٌ لا سوقةً يُبْقِى ولا ملِكا
قَصَرَ الغَوايةَ عن هوَى قمرٍ أجِدُ السَّبيلَ إليهِ مُشتركا
يا ليْتَ شعرى كيْفَ نومكما يا صاحِبَىَّ إذا دمى سُفِكا
لا تأخذا بِظُلامتى أحداً قلبي وطرْفى فى دمى اشْتركا

حدث أبو هفان قال : قال مسلم بن الوليد [من السريع] :

مُستعبِر يبكى على دِمْنَةٍ ورأسهُ يضحكُ فيهِ المشيبُ

فسرقه دعبل فقال ، وأنشد البيت ، فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحق به منه .

وحدث أبو المثنى قال : كنا فى مجلس الأصمعى فأنشده رجل لدعبل « لا تعجبى يا سلم ... البيت » فاستحسناه ، فقال الأصمعى : إنما سرقه من قول الحسين

(١) اقرأ أكثر هذه الأبيات فى الأغانى (١٨ — ٣٢ وما بعدها)

ابن مطير الأسدى [من الخفيف] :

أين أهلُ القِبابِ بالدَّهناء أينَ جيرانُنا على الأحْسَاء

فارقونا والأرضُ مُلْبَسَةٌ نَوْ رَ الأقاحى تُجَادُ بالأنْوَاء

كلَّ يوم بأقحُوَانٍ جديدٍ تضحكُ الأرضُ من بكاء السماء

وروى عن أبى العباس المبرد أنه قال : أخذ ابن مطير قوله « تضحك الأرض من بكاء السماء » من قول دكين الراجز [من الرجز] :

جُنَّ النباتُ فى ذُراها وزَكا وضَحِكَ المزنُ به حتى بكى

وقال أبو هفان : أنشدت يوما بعض البصريين الحمقاء قول دعبل « ضحك المشيب برأسه فبكى » فجاءنى بعد أيام فقال : قد قلت أحسن من البيت الذى قاله دعبل ، فقلت : يا هذا وأى شىء قلت؟ فتمنع ساعة ثم قال [من الرجز] :

* قَهْقَهَ فى رأسِهِ القَتِيرُ *

وقد تداول الشعراء معنى بيت دعبل ، فمنه قول الراضى القرطبى [من مجزوء الكامل] :

ضحك المشيب برأسِهِ فبَكى بأعينِ كأسِهِ

رجلٌ تخوَّنه الزما نُ ببُوسِهِ وببأسِهِ

فجرَى على غُلَوَائِهِ طَلْقَ الجموحِ بفأسِهِ

أخذاً بأوفرِ حظِّه لرجائه من يأسِهِ

ومنه أيضاً قول ابن نباتة المصرى رحمه الله تعالى [من السريع] :

تبَسُّمُ الشيب بذقْنِ الفتى يوجِبُ سَحَّ الدمعِ من جفْنِهِ

حسبُ الفتى بعد الصباذلَّةً أن يضحك الشيب على ذقنه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى أيضاً فى هذا المعنى [من مجزوء الرمل] :

ضحك الشيب برأسى فبكت عينى الشبابا

أبيات فى البكاء على الشباب

ومن البكاء على الشباب ، وهو أبكى بيت قيل فى فقده ، وينسب لأبى الفصن الأسدى [من الوافر] :

أتأمل رجعة الدنيا سفاهاً وقد سار الشباب إلى الذهاب
فليت الباكيات بكل أرض جمعن لنا فنحن على الشباب

وما أحسن قول أبى العلاء المعرى فيه أيضاً [من البسيط] :

وقد تعوضت عن كل بمشبهه فما وجدت لأيام الصبا عوضا

وقول الآخر [من الكامل] :

شيآن لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الأحباب

ولأبى بكر بن بجير [من الكامل] :

رحل الشباب وما سمعت بعبرة تجرى لمثل فراق ذاك الراحل
قد كنت أزهى بالشباب ولم أخل أن الشبيبة كالخضاب الناصل
ظل صفا لى ثم زال بسرعة يا ويح مغتر بظل زائل

ولابن حمديس فى قريب من معناه [من الطويل] :

ولم أر كالدنيا خؤوناً لصاحب ولا كمصابى بالشباب مصابا
فقدت الصبا فابيض مسود لمتى كأن الصبا للشيب كان خضابا

ولأبى الفتح البستى فيه [من الخفيف] :

دع دموعى تسيل سيلاً بدارا وضلوعى يصطلين بالوجد نارا
قد أعاد الأسى نهارى ليلاً مذ أعاد المشيب ليلى نهارا

ولعلى بن محمد الكوفى فى البكاء من المشيب والبكاء عليه [من الوافر] :

بكى للشيب ثم بكى عليه فكان أعز من فقد الشباب
فقل للشيب لا تبرح حميداً إذا نادى شبابى بالذهاب

ومثله قول مسلم بن الوليد [من البسيط] :

الشيب كُرْهٌ وكُرْهٌ أن يفارقنى فاعجبْ لشىء على البغضاء مودود
يمضى الشباب وقد يأتى له خلَفٌ والشيب يذهبُ مفقوداً بمفقود

وقد أعاد مسلم بن الوليد هذا المعنى فقال [من البسيط] :

لا يرحل الشيبُ عن دار أقام بها حتى يُرَحِّلُ عنها صاحبُ الدار

و يقال : إن مسلماً أخذ هذا المعنى من قول بعض الأعراب [من الرجز] :

أستغفر الله وأستقيله ما أنا ممن شيبُهُ يهولُه

* أعظم من حلوله رحيلُهُ *

ومثل قول مسلم قول البحترى [من الوافر] :

يعيبُ الغانياتُ علىَّ شيبى ومَنْ لى أن أُمتَّع بالمشيبِ
ووجْدِى بالشباب وإن تقَضَّى حميداً دونَ وجدى بالمشيب

ومن أحسن قول كشاجم الكاتب [من الطويل] :

تفكَّرْتُ فى شَيبِ الفتى وشبابه فأيقنتُ أن الحق للشيب واجبُ
يصاحبنى شرخُ الشباب فينقضى وشيبى إلى حين الممات مُصاحب

و بديع قول الغزى [من الكامل] :

ذهبَ الشباب ذهابَ سهمٍ مارقٍ لا يُستطاعُ مع التأسفِ ردُّهُ
وأتى المشيب بقضِّهِ وقضيضهِ وأشدُّ من وجدانِ ذلك فقدُه
أنا فى السُّرى والسَّيرِ كالطفل الذى يجدُ السكونَ إذا تحرَّكَ مهدُه
من يقتدحْ زنداً بكفٍّ ما لها زندٌ فكيف تراه يقدح زنده

ويعجبني أيضاً قول حسن بن النقيب رحمه الله تعالى [من الكامل]:

لا تأسفنّ على الشباب وفقده ... فعلى المشيب وفقده يُتأسَّف

هذاك يخلفه سواه إذا انقضى ... ومضى، وهذا إن مضى لا يُخلَف

وقوله أيضا [من المنسرح]:

عجبت للشيب كنت أكرهه ... فأصبح القلب وهو عاشقه[1]

وكنت لا أشتهي أراه وقد ... أصبحتُ لا أشتهي أفارقه

وما أحسن قول الصفي الحلي [من الخفيف]:

لو تيقّنتُ أن شيبَ بياض الشيب يبقى لما كرهت البياضا

غيرَ أني علمت من ذلك الزّأ ... ئرِ ما يقتضي وما يتقاضى

ولأبي الفتح البستي رحمه الله تعالى فيه [من الكامل]:

يا شَيبتي دومي ولا تترحّلي ... وتيقّني أني بوصلك مولَع

قد كنت أجزع من حلولك مرة ... والآن من خوف ارتحالك أجزع

ولأبي اليمن الكندي فيه أيضاً [من الطويل]:

عفا الله عما جرّه اللهو والصبا ... وما مرّ من قال الشباب وقيله

وملنّ صحبناه بأرغد عيشة ... إلى أن مضى مستكرهاً لسبيله

وأعقبنا من بعده غير مشتهى ... مشيباً نفى عنا الكرى بحلوله

لئن عظمت أحزاننا بقدومه ... فأعظم منها خوفنا من رحيله

وقد خالف ابن الرومي حيث يقول [من المنسرح]:

---

(١) في الأصول كلها
* عجبت للشيب كيف أكرهه *
كسر الظن أنه محرف عما أثبتناه

من كان يبكى الشباب من أسفٍ ... فلست أبكى عليه من أسفِ
كيف وشرخُ الشباب عرّضنى ... يوم حسابى لموقف التلفِ
لا صُوحِبتْ شِرّةُ الشباب ولا ... عدمتُ ما فى المشيب من خلفِ

ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

لم أقُلْ للشباب فى دعة الله ولا حفظه غداةَ استقلّا
زائر زارنا أقامَ قليلا ... سوّدَ الصُّحفَ بالذنوب وولى

ومن الجيد أيضا قول العلوى [من الوافر] :

لعمْرُكَ للمشيبُ علىَّ مما ... فقدْتُ من الشباب أجلُّ فوتا
تملّيتُ الشباب فصارَ شيباً ... وملّيتُ المشيبَ فصار موْتا

وما أحسن أيضا قول الآخر [من البسيط] :

والمرء إن حلّ شَيْبٌ فى مفارقه ... فما يفارقُهُ أو يرحلانِ معا

وما أحسن قول المعرى فى مدح الشيب [من الخفيف] :

خبّرينى ماذا كرِهتِ من الشيـ ... ـب فلا علم لى بذنب المشيبِ
أضياءُ النهارِ أم وضَحُ اللؤ ... لؤ أم كونُهُ كثغر الحبيبِ
أخبرينى فضلَ الشباب وماذا ... فيه من مَنْظر يسُرُّ وطيبِ
غَدْره بالخليل أم حبهُ للـ ... ـغى أم كونُهُ كعيش الأديبِ

وبالجملة فما أحسن قول الحافظ بن سهل بن غانم الأصفهانى وأصدقه [من مخلع البسيط] :

من شابَ قد ماتَ وهوَ حىٌّ ... يمشى على الأرض مشْىَ هالكْ
لو كانَ عمرُ الفتى حساباً ... لكانَ فى شيبه فذلكْ

والشاهد فى البيت : الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معنيَاهما الحقيقيان ، فإنه هنا لا تقابل بين البكاء وظهور الشيب ، لكنه عبر

عن ظهوره بالضحك الذي يكون معناه الحقيقي مضاداً لمعنى البكاء ، و يسمى إيهام التضاد ، لأن المعنيين المذكورين و إن لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقيا ، لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد ، نظرا إلى الظاهر والحمل على الحقيقة .

ومن الشواهد على إيهام التضادّ قول أبي تمام الطائي [من الكامل] :

وتَنَظَّرِى خَبَبَ الركاب ينصُّها مُحْيي القريض إلى مميت المال

فليس بين محيي ومميت هنا تضاد بالمعنى ، إلا بما يتوهم من اللفظ ، لأن محيي القريض هنا كناية عن مُجيده ، و يعنى به نفسه ، ومميت المال كناية عن مفنيه في الكرم ، وليس بينهما تضاد .

ومنه قول الشاعر [من الكامل] :

يبدى وِشاحاً أبيضاً من سيفه والجوُّ قد لبس الرداء الأغبرَا

فإن الأبيض ليس بضد الأغبر ، و إنما يوهم بلفظه أنه ضده .

ترجمة دعبل الخزاعي

ودعبل [1] : هو ابن على بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي ، ويكنى أبا على . وهو شاعر مطبوع متقدم هَجَّاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ، ولا من وزرائهم ، ولا من أولادهم ، ولا ذو نباهة : أحْسَنَ إليه ، أو لم يحسن ، ولا أفلَتَ منه كبير أحد .

وحدَّث أبو هفان قال : قال لى دعبل : قال لى أبو زيد الأنصارى : مِمَّ اشتق دعبل ؟ قلت : لا أدرى ، قال : الدعبل الناقة التى معها أولادها .

وحدّث محمد بن أيوب ، قال : دعبل اسمه محمد ، وكنيته أبو جعفر ، ودعبل لقبٌ لقب به .

(١) تجد ترجمة دعبل فى الأغانى (١٨ : ٢٠ - ٦٠)

وعن أبى عمرو الشيبانى قال : الدعبل البعير المسنّ .

وحدّث دعبل قال : كنت جالسا مع بعض أصحابنا ذات يوم ، فلما قمت سأل رجل لم يعرفنى أصحابنا عنى ، فقالوا : هذا دعبل ، قال : قولوا فى جليسكم خيراً ، كأنه ظن اللقب شتماً

وقالَ دعبل : صُرِع مجنون مرّةً ، فصحت فى أذنه : « دعبل » ثلاث مرات ، فأفاق .

وكان سبب خروجه من الكوفة أنه كان يتشطّر ، ويصحب الشطار ، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، كان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله ، فلما طلع مقبلا عليهما وثبا عليه وجرحاه وأخذا مافى كيسه ، فاذا هى ثلاث رمانات فى خرقة ولم يكن كيسه معه ليلتئذ ، ومات الرجل فى مكانه ، واستتر دعبل وصاحبه ، وجدّ أولياء الرجل فى طلبهما ، وجدّ السلطان أيضا فى ذلك ، فطال على دعبل الاستتار ، فاضطر إلى أن يهرب من الكوفة ، فما دخلها حتى كتب إليه أهله أنه لم يبق من أولياء الرجل أحد .

وحدث أحمد بن أبى كامل قال : كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع ، وقد أفاد وأثرى ، وكانت الشراة [1] والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه ، وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه ، ودعا بغلاميه نفنف وشنغف [2] — وكانا مغنيين — فأقعدهما يغنيان ، وسقاهم وشرب معهم ، وأنشدهم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة

---

(١) فى الأصل « السراة » بالسين مهملة محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى والشراة فى الأصل جمع شار ، ثم أطلق على قوم من الخوارج

(٢) فى الأغانى « ودعا بغلاميه نفيف وشعف »

أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه . قال : وأنشدنى دعبل لنفسه فى بعد أسفاره [من الطويل] :

حللتُ محلاً يَقصُر البرقُ دونهُ ويعجز عنه الطيفُ أن يتجشَّما

وحدث محمد بن عمر الجرجانى قال: دخل دعبلٌ الرى فى أيام الربيع ، فجاءهم ثلج لم ير مثله فى الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم ، فقال شعراً ، وكتبه فى رقعة وهو [من الخفيف]

جاءنا دِعبلٌ بثلج من الشعـــــر فجادت سماؤنا بالثلوج

نزل الرى بعد ما سكن البر دُ وقد أينعت رياضُ المروجِ

فكسانا ببرده لا كساه الله ثوباً من كرسفٍ محلوجِ

وألقى الرقعة فى دهليز دعبل ، فلما قرأها ارتحل عن الرى .

وحدث أحمد بن خالد ، قال : كنا يوما عند دار رجل ، يقال له صالح [ابن على](١) ابن عبد القيس ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كنيسة فى سطحها ديك طار من بيت دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيد ، فأخذناه ، فقال صالح: ما نصنع به ؟ قلنا: نذبحه ، فذبحناه وشويناه يومنا ، وخرج دعبل فسأل عن الديك ، فعرف أنه سقط فى دار صالح ، فطلبه منا فجحدناه ، وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبل ، فصلى الغداة ، ثم جلس على باب المسجد ، وكان ذلك المسجد مجمع الناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، ونبهاء الناس ، فجلس دعبل على باب المسجد ، وقال [من الكامل] :

أسَرَ المؤذِّنَ صالحٌ وضيوفُهُ أسْرَ الكميِّ هفا خلالَ المأقط

---

(١) زيادة عن الأغانى (١٨ - ٣٣) وقال فى رواية أخرى لهذا الخبر : وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدى

بَعثُوا عليه بناتِهمْ وبنيهمُ ... مابينَ ناتفةٍ وآخرَ سامطِ
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا ... خاقانَ أوهزموا كتائبَ ناعطِ
نهشوه فانتزعتْ له أسنانهمْ ... وتهشمتْ أقفاؤهمْ بالحائطِ

قال : فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لى أبى ، وقد رجع إلى البيت : ويحكم ! ضاقت عليكم المآكل ، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل ثم أنشدنا الشعر ، وقال لى : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليها إلا اشتريت ذلك لدعبل و بعثت به إليه ، و إلا أوقعتنا فى لسانه ، ففعلتُ ذلك .

قال : وناعط : قبيلة من همدان ، وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه .

وقال دعبل : كنا يوما عند سهل بن هارون الكاتب البليغ ، وكان : شديد البخل ، فأطلنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بغَداء له ، فأتى بقصعة فيها ديك جاسٍ هَرِم ، لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس ، فأخذ كسرة خبز ، فخاض بها مرقته وقلب جميع مافى القصعة ففقد الرأس ، فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه ، وقال للطباخ : أين الرأس ؟ فقال : رميت به ، فقال : ولم ؟ قال : ظننتك لا تأكله ، قال : بئس ما ظننت ! والله إنى لأمقُتُ من يرمى برجليه ، فكيف من يرمى برأسه ، والرأس رئيس ، وفيه الحواسّ الأربع ، ومنه يصيح ولولا صوته لما فضل ، وفيه فرقه الذى يتبرك به ، وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل ، فيقال : شَرابُ كعين الديك ، ودماغه عجب لوجع الكليتين ، ولم ير عظم قط أهشّ من عظم رأسه ، أوماعلمت أنه خير من طرف الجناح ، ومن الساق ، ومن العنق ، فان كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله [فانا نأكله][1] ، فانظر أين هو ؟ قال : لا أدرى والله أين هو ، رميتُ به ، قال : لكنى أدرى أين هو ، رميت به فى بطنك فالله حسيبُكَ .

وحدّث إبراهيم بن المدبر ، قال : لقيت دعبل بن علىّ ، فقلت له : أنت

---

(١) زيادة لا بد منها .

أخبر الناس عندى وأقدمهم حيث تقول ، يعنى فى حق المأمون [من الكامل] :

إنى منَ القوم الذينَ سيوفهمْ قتلتْ أخاكَ وشرَّفتكَ بمقعدِ
رفعوا مَحَلَّكَ بعد طول خُمولهِ واستنقذوكَ من الحضيض الأوهدِ

فقال لى : يا أبا إسحاق ، أنا أحمل خشبتى منذ أربعين سنة ، فلا أجد من يصلبنى عليها بعد .

وبات دعبل ليلة عنـد صديق له من أهل الشأم ، و بات عندهم رجل من أهل بيت لهيان ، يقال له حوى بن عمرو السكسكى ، وكان جميل الوجه ، فدبّ إليه صاحب البيت ، وكان شـيخا كبيراً فانياً قد أتى عليه حين ، فقال فيه دعبل [من السريع] :

لولا حوىٌّ لبيت لهيان ما قامَ أيرُ العزب الفانى
لهُ دَواةٌ فى سراويلهِ يليقها النازحُ والدانى

وشاع هذان البيتان ، فهرب حوىّ من ذلك البلد ، وكان الشيخ إذا رأى دعبلا سبه ، وقال : فضحتنى أخزاك الله ! ! .

وحدَّث محمد بن الأشعث قال : سمعت دعبلا يقول : ما كانت لأحد عندى منة قط إلا تمنيت موته .

وكان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، فأنشده ماقاله فيه ، وهو جالس وفى يده طومار قد جعله على فيه كالمتكىء [عليه] (١) وهو جالس ، فلما فلما فرغ أمر له بشىء قليل لم يرضه ، فقال [من البسيط] :

يا منْ يقبلُ طوماراً ويلثمهُ ماذا بقلبكَ من حُبِّ الطواميرِ
فيه مَشَابهُ من شىء تُسَرُّ بهِ طولاً بطولٍ وتدويراً بتدويرِ

---

(١) زيادة عن الأغانى (١٨ ـ ٣٨)

لوكنتَ تجمعُ أموالاً كجمعكها إذاً جمعتَ بيوتاً من دنانيرِ

وقال دعبل فى الفضل بن مروان [من الطويل] :

نصحتُ فأخلصتُ النصيحة فى الفضلِ وقلتُ فسيرت المقالة فى الفضلِ
ألا إنّ فى الفضلِ بن سهلٍ لعبرةً إذا اعتبرَ الفضل بن مروانَ بالفضلِ
وللفضلِ فى الفضلِ بن يحيى مواعظٌ إذا فكرَ الفضلُ بن مروان فى الفضلِ
فأبقِ جميلاً من حديثٍ تَفزْ به ولا تدعِ الاحسانَ والأخذَ بالفضلِ
فإنكَ قد أضبحتَ للملكِ قيِّماً وصرتَ مكانَ الفضلِ والفضلِ والفضلِ
ولم أرَ أبياتاً منَ الشعرِ قبلها جميعُ قوافيها على الفضلِ والفضلِ
وليسَ لها عيبٌ إذا هىَ أنشدَتْ سوى أنّ نصحى الفضلَ كان من الفَضلِ

فبعث إليه الفضلُ بدنانير ، وقال له : قد قبلت نصحك ، فا كفنى خيرك وشرّك

وحدّث محمد بن حاتم المؤدب ، قال : قيل للمأمون : إن دعبلا قد هجاك ، فقال : وأىّ عجب فى هذا ؟ هو يهجو أبا عباد فلا يهجونى أنا ، ومَنْ أقدَمَ على جنون أبى عباد أقدم على حلمى ، ثم قال لجلسائه : من كان فيكم يحفظ شعره فى أبى عباد فلينشده ، فأنشده بعضهم [من الكامل] :

أولىَ الأمورِ بضيعةٍ وفسادِ أمرٌ يدبرُهُ أبو عبادِ
خرقٌ على جلسائه فكأنهمْ حضروا لملحمة و يوم جلادِ
يسطو على كتابه بدواته فمضمخ بدمٍ ونضح مدادِ
وكأنه من دير هرقلَ مفلتٌ حَرِدٌ يجرُّ سلاسلَ الأقيادِ
فاشددْ أميرَ المؤمنين وثاقهُ فأصحُّ منه بقيةُ الحدّادِ

قال : وكان بقية هذا مجنونا فى المارستان ، فضحك المأمون ، وكان إذا

نظر إلى أبي عباد يضحك ، ويقول لمن يقرب منه : والله ما كذب دعبلٌ في قوله .

وحدَّث أبو ناجية ، قال : كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه ، وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب إلى الجبل ، وقال يهجوه ، [من الطويل] :

بكى لشتات الدين مكتئبٌ صبٌّ وفاضَ بفرط الدمع من عينه غَرْبُ

وقامَ إمامٌ لم يكنْ ذا هدايةٍ فليسَ له دينٌ وليس لهُ لبُّ

وما كانت الأنباء تأتي بمثلهِ يُمَلَّكُ يوماً أوتدينُ لـه العُرْبُ

ولكن كما قال الذين تتابعُوا من السلف الماضي إذا عظمَ الخَطبُ

ملوكُ بني العباسِ في الكتب سبعةٌ ولم تأتنا عن ثامنٍ لهمُ كتبُ

كذلكَ أهلُ الكهف في العدّ سبعةٌ خيارٌ إذا عُدُّوا ، وثامنهم كلبُ

وإني لأُعلِي كلبهمْ عنكَ رفعةً لأنكَ ذو ذنبٍ وليسَ لهُ ذَنبُ

لقد ضاع ملكُ الناس إذ ساس ملكهمْ وصيفٌ وأشناسٌ وقد عظم الكربُ(١)

وفضلُ بنُ مَرْوان سيثلمُ ثلمةً يظلّ لها الاسلامُ ليسَ لهُ شَعْبُ(٢)

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه « قوله وأشناس ، كذا في النسخ ، وفي نسخة وأشناف ، ولعل الصواب وأصناف » اهـ . وما ظنه صوابا أبعد ما يكون عن الصواب . ووصيف وأشناس غلامان من غلمان الأتراك الذين جلبهم المعتصم ليستعين بهم على الفرس والعرب ، فكانوا علة العال في ضياع سلطان الخلافة ، وقد وصل كل واحد منهما إلى رتبة القائد في عهد المعتصم

(٢) في الأصل « يظل له الاسلام » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني (١٨ : ٤٠) .

ولما مات المعتصم قال ابن الزيات يرثيه [من المنسرح] :

قد قلتُ إذ غيبوهُ وانصرفوا في خير قبرٍ لخير مدفونِ
لنْ يجبر الله أمة فقدَتْ مثلك إلا بمثل هرونِ

فقال دعبل يعارضه [من المنسرح] :

قد قلتُ إذ غيبوه وانصرَفوا في شرّ قَبرٍ لشرّ مدفونِ
اذهبْ إلى النار والعذاب فمَا خلتكَ إلا من الشياطينِ
مازلتُ حتى عقَدْتَ بيعةَ منْ أضرّ بالمسلمين والدينِ

وحدَّث محمد بنُ جريرٍ ، قالَ : أنشدَني عبد الله بنُ يعقوب هذا البيت وحده لدعبل ، يهجو به المتوكل ؛ وما سمعت له غيره فيه ، [من الوافر] :

ولستُ بقائلٍ بدعا ولكنْ لأمرٍ ما تَعَبَّدَكَ العبيدُ

قال : يرميه في هذا البيت بالأبنة .

وحدَّث محمد بن جرير قال : كنت مع دعبل بالصيمرة ، وقد جاءنا نعي المعتصم ، وقيام الواثق ، فقال لي دعبل : أمعك ما تكتب فيه ؟ قلت : نعم ، فأخرجت قرطاسا ، فأملى على بديها [من البسيط] :

الحمد لله لا صبرٌ ولا جلدُ ولا عزاءٌ إذا أهلُ البلا رقدُوا
خليفةٌ ماتَ لم يحزن له أحدٌ وآخر قامَ لم يفرح به أحدُ

وكان المأمون قد تطلب دعبلا ، وجدَّ في ذلك وهو طائر على وجهه ، حتى دسَّ إليه قوله [من الكامل] :

علم وتحكيمٌ وشيب مفَارق تطميسُ ريعان الشباب الرائقِ
وإمارةٌ في دولةٍ ميمونةٍ كانت على اللذات أشغبَ عائقِ

نَمَوْا ابن شكلةَ بالعراقِ وأهلهِ   فَهَفَا إليـه كلُّ أخرَقَ مائقِ(١)
أنى يكونُ ولا يكونُ ولم يكنْ   يرثُ الخلافةَ فاسقٌ عن فاسقِ(٢)
إن كان إبراهيم مضطلعا بها   فلتصلُحَنْ من بعـده لمخـارقِ

ولما قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صفحت عن كل ما هجانا به إذ قرن إبراهيم بمخارق فى الخلافة وولاه عهده ، ثم إنه كتب إلى دعبل أمانا ، فلما دخل وسلم عليه تبسم فى وجهه ، وقال أنشدنى :

* مدارسُ آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ *

فجزع ، فقال له : لك الأمان ، فلا تخف ، وقد رويتها ، ولكنى أحب سماعها من فيك ، فأنشده إياها إلى آخرها والمأمون يبكى ، حتى اخضلت لحيته بدمعه ، ثم إنه أحسن إليه وانسرّ به ، حتى كان أول داخل إليه ، وآخر خارج من عنده ، ثم عاد إلى خباثته ، وشاعت له أبيات بعدها أيضا ، يهجو بها المأمون . .

وحدّث دعبل قال : دخلت على علىٍّ بن موسى الرضى ، فقال : أنشدنى مما أحدثت ، فأنشدته [من الطويل] :

مَدَارِسُ آياتٍ خَلَتْ مِنْ تِلاَوَةٍ   ومنْزِلُ وحْيٍ مُقْفِرُ العَرَصاتِ

---

(١) فى الأصل «ابن شكلة» محرفا عما أثبتناه ، والبيت ساقط من الأغانى وابن شكلة : إبراهيم بن المهدى عم المأمون ، وكان قد خرج عليه وطلب الخلافة لنفسه ، وكان يحسن الغناء ويجيده . ثم أخذه المأمون وعفا عنه ، ومخارق : مغن معروف

(٢) فى الأغانى

« أنى يكون وليس ذاك بكائن *

حتى انتهيت إلى قولي فيها:

إذا وُتِروا مَدُّوا إلى واتِريهِمُ   أكُفًّا عن الأوتارِ مُنقبِضاتِ

قال: فبكى عنده حتى أغمى عليه، فأومأ إليَّ خادم كان على رأسه أن أسكت فسكتُّ، فمكث ساعة ثم قال لى: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت فأصابه مثل الذى أصابه فى المرة الأولى، وأومأ الخادم أيضاً إلىَّ أن أسكت، فسكت، ثم مكث ساعة أخرى ثم قال لى: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها، فقال: أحسنت أحسنت، ثلاث مرات، ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه، ولم تكن دفعت إلى أحد بعدُ، وأمر لى مَنْ فى منزله بحلى كثير أخرجه إلىَّ الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة، اشتراها منى الشيعة، فحصل لى مائة ألف درهم، فكان أول مال اعتقدته.

ثم إن دعبلا استوهب من على بن موسى الرضى رضى الله عنهما ثوبا قد لبسه ليجعله فى أكفانه، فخلع جبة كانت عليه فأعطاه إياها وبلغ أهلَ قُمَّ خبرُها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم، فلم يفعل، فخرجوا عليه فى طريقه فأخذوها غصبا، وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل، وإلا فأنت أعلم، فقال لهم: إنى والله لا أعطيكم إياها طوعا، ولا تنفعكم غصباً، وأشكوكم إلى الرضى، فصالحوه على أن أعطوه ثلاثين ألف درهم وفردَ كُمٍّ من بطانتها، فرضى بذلك.

وحدث دعبل قال: لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدى، وعزمت على أن أعمل قصيدة فى عبدالله بن طاهر فى تلك الليلة، فانى لفى ذلك إذ سمعت والباب مردود على قائلا يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أألج يرحمك الله؟ فاقشعر بدنى من ذلك، ونالنى أمر عظيم، فقال لى: لا ترُعْ فإنى رجل من إخوانك من الجن من ساكنى اليمن طرأ علينا طارىء من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك * مدارس آيات .. إلى آخرها * فأحببت أن أسمعها منك،

قال: فأنشدته إياها، فبكى حتى خرّ، ثم قال: يرحمك الله، ألا أحدثك بحديث في نيتك ويعينك على التشيع ينفعك؟ قلت: بلى، قال: مكثت حيناً أسمع بجعفر بن محمد رحمه الله تعالى، فصرت إلى المدينة المنورة فسمعته يقول: حدثني أبي عن أبيه عن جده رضي الله عنهم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «علي وشيعته هم الفائزون» ثم ودعني لينصرف فقلت: يرحمك الله! إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل، قال: أنا ظبيان بن عمر.

وحدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: بويع إبراهيم بن المهدي ببغداد وقد قل المال عنده، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوباش الناس وأوغادهم، فاحتبس عليهم العطاء، فجعل إبراهيم يسوّفهم وهم لا يرون لوعده حقيقة، إلى أن خرج رسوله إليهم يوماً وقد اجتمعوا وضجوا فصرّح إليهم بأنه لا مال عنده، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد: أخرجوا إلينا خليفتنا ليغنّي أهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاءهم ولأهل هذا الجانب مثلها، قال إسحاق: فأنشدني دعبل بعد أيام [من السريع]:

يا معشرَ الأجنادِ لا تقنطوا وارضَوا بما كانَ ولا تسخطوا[1]

فسوفَ تُعطَونَ حُنَينيّةً يلتذُّها الأمردُ والأشمطُ

والمعبَديّاتُ لقُوّادِكُمْ لا تدخلُ الكيسَ ولا تُربَطُ

وهكذا يرزقُ قُوّادَه خليفةٌ مُصحَفُه البَربَطُ

ودخل عبدالله بن طاهر على المأمون فقال له: أي شيء تحفظ يا عبدالله لدعبل؟ قال: أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين، قال: هاتها، فأنشده عبدالله قوله [من البسيط]:

---

(١) في الأصل «ألا معشر الأجناد» ولا يستقيم به وزن البيت، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني (١٨ - ٤٣)

قفا ودَعا لأيامِ الصَّبابةِ ... أيامَ نرفُلُ في أثوابِ لذّاتي

أيام غصني رطيبٌ من ليانتِهِ ... أصبو إلى غيرِ جاراتٍ وكنّاتِ

دعْ عنكَ ذكرَ زمانٍ فاتَ مطلبُه ... واقذفْ برجلِكَ عن متنِ الجهالاتِ

واقصدْ بكلِّ مديحٍ أنتَ قائلُه ... نحوَ الهُداةِ بني بيتِ الكراماتِ

قال المأمون : إنه وجد والله مقالا فقال ، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم ، ثم قال المأمون : لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه [من الطويل] :

ألمْ يأنِ للسَّفْرِ الذينَ تحمّلوا ... إلى وطنٍ قبلَ المماتِ رجوعُ

فقلتُ ولمْ أملكْ سوابقَ عبرةٍ ... نطقنَ بمَا ضُمّتْ عليهِ ضلوعُ

تبيّنْ فكمْ دارٍ تفرّقَ شملُها ... وشملٍ شتيتٍ عادَ وهوَ جميعُ

كذاكَ الليالي صرفُهنّ كما ترى ... لكلِّ أناسٍ جدبةٌ وربيعُ (1)

ثم قال المأمون : ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نُصبَ عيني وهجّيراي ومسلّيتي حتى أعود .

ومن شعره يهجو [من مجزوء الخفيف] :

رفعَ الكلبُ فاتّضعْ ... ليسَ في الكلبِ مصطنَعْ

بلغَ الغايةَ التي ... دونَها كلُّ ما ارتفعْ

إنما قصرُ كلِّ شيْ ... ءٍ إذا طارَ أنْ يقعْ

لعنَ اللهُ نخوةً ... صارَ منْ بعدِها ضرَعْ

ومن شعره يهجو أيضاً [من البسيط] :

---

(1) في مطبوعة بولاق * طوال الليالي صرفهن كما ترى * وقد أثبتنا ما في الأغاني ، إذ كان كل ما هنا مأخوذا عنه

سُمْتُ المَدِيحَ رجالاً دون مالهمُ رَدٌّ قَبِيحٌ وقَوْلٌ لَيْسَ بالحَسَنِ

فلم أفُزْ مِنْهُم إلا بمَا حَمَلَتْ رِجْلُ البَعُوضَةِ مِنْ فَخَّارَةِ الّلبَنِ

ومنه قوله فيمن استشفع به فى حاجة فاحتاج إلى شفيع يشفع له [من السريع]:

يا عَجَباً لِلْمُرتَجِى فَضْلَهُ لَقَدْ رَجا ما لَيْسَ بالنّافع

جِئْنا به يَشْفَعُ فى حاجةٍ فاحْتاجَ فى الاذنِ إلى شافع

وحدث دعبل قال : خرجت إلى الجبل هارباً من المعتصم ، فكنت أسير فى بعض طريقى والمُكارى يسوق بى بغلا تحتى وقد أتعبنى تعبا شديداً ، فتغنى المكارى بقولى [من الكامل] :

لاتَعْجبِى يَاسلم مِنْ رَجلٍ ضحكَ المَشيبُ برأسِهِ فبكى

فقلت له وأنا أريد أن أتقرب إليه ليكف ما يستعمله من الحث للبغل لئلا يتعبنى : تعرف لمن هذا الشعر ياقتى ؟ قال : لمن ناك أمه وغرم درهمين ، فما أدرى من أى أموره أعجب : أمن هذا الجواب ، أم من قلة الغرم على عظم الجناية .

وحدث على بن عبدالله بن مسعدة قال : قال لى دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة فى عيسى بن البراء النصرانى [من الرجز] :

زُنَّارُه فى خَصْرِهِ معقُود كأنه مِنْ كَبِدِى مقْدُودُ

والله ما أعلم أنى حسدت أحداً كما حسدت بكراً على قوله * كأنه من كبدى مقدود * وكان بكر هذا وراقا ضيقا عيشه معاقرا للشراب فى منازل الخمارين وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحا مطبوعا حسنا ماجنا خليعاً ، وكانت الخمرة قد أفسدت عقله فى آخر عمره ، فصار يهجو ويمدح بالدرهم والدرهمين ونحو هذا ، فاطرح

وحدث بعض الكوفيين قال : حضرنا دعوة ليحيى بن أبى يوسف القاضى وبتنا عنده ونمت ، فما أنبهنى إلا صياح بكر يستغيث من العطش ، فقلت له : مالك؟ قم فاشرب فالدار ملأى ماء ، قال : أخاف ، قلت : من أى شىء؟ قال: فى الدار

كلب كبير فأخاف أن يظننى غزالا فيثب على و يقطعنى و يأ كلنى ، فقلت له : خرب الله بيتك ! أنت والله بالخنازير أشبه منك بالغزلان ، قم فاشرب إن كنت عطشانا وأنت آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشرب .

وحدث أحمد بن عثمان الطبرى قال : سمعت دعبل بن على يقول : لما هاجيت أباسعد المخزومى أخذت معى جوزاً ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه وقلت لهم : صيحوا به قائلين [من مجزوء الخفيف] :

يا أبا سعد قوصره زانى الأختِ والمَرَهْ

لو تراه مجيبـــا خِلْتَهُ عقدَ قَنْطرَهْ

أو ترَى الأير فى آستِهِ قلت ساق بقطره

فصاحوا به فغلبته

ولأبى سعد المخزومى يهجو دعبلا ، وكان قد دعاه إلى بيتــه ، وأضافه [من المنسرح] :

لدعبلٍ مِنَّةٌ يَمُنُّ بها فَلسْتُ حتى الممات أنساها

أدخلنا بَيْتَهُ فأكرمنا ودَسّ امرأتهُ فنكنـاها

وحدث أبو سعد المخزومى ، واسمه عيسى بن خالد الوليد ، قال : أنشدت المأمون قصيدتى الدالية التى ردَدْتُ فيها على دعبل قوله [من الكامل] .

ويَسُومنى المأمونُ خطّةَ عاجز أو ما رأى بالأمس رأسَ مُحمَّدِ

وأول قصيدتى [من الكامل] :

أخَذَ المَشيبُ من الشباب الأغيد والنّائِباتُ من الأنام بِمرْصَدِ

ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أجيئك برأسه ، فقال : لا ، هذا رجل قد فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا ، فأما قتله فلا حجة فيه

وكان الرشيد قد غنى بقول دعبل :

* لا تعجبي يا سلم من رجل ...... الأبيات *

فطرب لها وسأل عن قائلها ، فقيل : لدعبل غلام نشأ من خزاعة فأمر له بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه ومركب من مراكبه ، وجهز إليه ذلك مع خادم من خدمه إلى خزاعة ، فأعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير إليه ، فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس ، واستنشده الشعر ، فأنشده إياه ، فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقا سنيا ، فكان أول من حرضه على قول الشعر ثم إنه مابلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت رضى الله عنهم وهجا الرشيد [من البسيط] :

وليس حيٌّ من الأحياء نعلمه ... من ذى يمانٍ ولا بكرٍ ولا مضرِ
إلا وهم شركاء فى دمائهم ... كما تشارك أيسارٌ على جُزُر
قتلٌ وأسرٌ وتحريقٌ ومنهبة ... فعلُ الغزاة بأرض الروم والخزرِ
أرى أمية معذورين إن قتلوا ... ولا أرى لبنى العباس من عذُرِ
أربع بطوس على القبر الزكى إذا ... ما كنتَ تربع من دير إلى وطر (١)
قبران فى طوس خيرُ الناس كلهم ... وقبر شرِّهم ، هذا من العبَرِ
ماينفعُ الرِّجس من قرب الزكى ولا ... على الزكى بقرب الرِّجس من ضرر (٢)
هيهات كل امرىء رهنٌ بما كسبت ... له يداه ، فخذْ ما شئت أو فذَرِ

يعنى قبر الرشيد وقبر موسى الكاظم ، ولعمرى لقد هذَا هذْا ، ولنفسه ظلم وآذى

---

(١) فى مطبوعة بولاق * . . . من دين على وطر * وأثبتنا ما فى الأغانى

(٢) فى مطبوعة بولاق * ما ينفع الرجس من قبر الزكى . . * وقد أثبتنا ما فى الأغانى ، وهو أتم مقابلة مع عجز البيت

وحدث أبو حفص النحوى مؤدب آل طاهر ، قال : دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد [من المنسرح] :

جئتُ بلا حُرْمةٍ ولاَ سَبَبٍ إليك إلا بحُرْمة الأدب
فاقْضِ ذِمَامِى فاننى رَجُلٌ غيرُ مُلِحٍّ عليك فى الطلبِ

قال: فانتقل عبد الله ودخل إلى الحرم ووجَّه إليه بصُرّة فيها ألف درهم ، وكتب إليه معها [من الكامل] :

أعجلْتَنا فأتاك عاجلُ برنا ولوانتظرتَ كثيرَه لم يقلل
فخُذِ القليلَ وكن كأنك لم تسل ونكون نحنُ كأننا لم نفعل

وكان دعبل قد قصد مالك بن طوق ومدحه فلم يرض ثوابه فخرج عنه وقال فيه [من السريع] :

إنّ ابنَ طوْق و بنى تغلب لو قُتلوا أوجرُحُوا قصره
لم يأخذوا من دية درْهما يوما ولا من أرْشهمْ بعرَهْ
دماؤهم ليْسَ لها طالبٌ مطلولة مِثْلَ دم العذره
وجوهُهم بيضٌ وأحسابهُمْ سودٌ وفى آذانهمْ صفره

وقال فيه أيضا [من السريع] :

سألت عنكم يابنى مالك فى نازح الأرْضِينَ والدانيه
طرًّا فلم نعرف لكم نسبة حتى إذا قلتُ بنى الزّانيهْ
قالوا فَدَعْ داراً على يمنةٍ وتلكَ هادارُهُم ثانيهْ

فبلغت الأبيات مالكا، فطلبه، فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس ابن محمد بن على العباسى ، وكان قد بلغه هجاء دعبل وعبدالله بن عيينة نزارا فأما ابن عيينة فانه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه ، وأما دعبل فانه حين دخل البصرة بعث إليه فقبض عليه ، ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف

بالطلاق على جحدها وبكل يمين تُبرىء من الدم أنه لم يقلها ، وأن عدوًّا له قالها – إما أبو سعد المخزومى أو غيره – ونسبها إليه ليغرى بدمه ، وجعل يتضرّع إليه ، ويقبل الأرض ويبكى بين يديه فرقاً له ، فقال : أما إذا أعفيتك من القتل فلابد أن أشهرك ، ثم دعا له بالعصى فضرب به حتى سلح ، وأمر به فألقى على قفاه وفتح فمه ، فرد سلحه فيه ، والمقارع تأخذ رجليه ، وهو يحلف أن لا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله ، فما رفعت عنه حتى بلع سلحه كله ، ثم خلاه فهرب إلى الأهواز ، وبعث مالك بن طوق رجلا حصيفا مقداما وأعطاه سُمًّا وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يطلبه حتى وجده فى قرية من نواحى السوس ، فاغتاله فى وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة ، فضرب ظهر قدمه بعكاز لها زج مسموم ، فمات من الغد ، ودفن بتلك القرية ، وقيل : بل حمل إلى السوس فدفن فيها .

وكانت ولادته فى سنة ثمان وأربعين ومائة . ووفاته فى سنة ست وأربعين ومائتين .

ولما مات – وكان صديق البحترى ، وكان أبو تمام قد مات قبله – رثاهما البحترىّ بقوله [من الكامل] :

قدْ زادَ فى كلفى وأوقدَ لوعتى مثوَى حبيب يوم مات ودعبلِ
أخوىّ لا تزلِ السماء مخيلةً تغشا كما بسماء مزنٍ مُسْبلِ
جدثٌ على الأهواز يبعدُ دُونهُ مسرَى النعىّ ورِمَّةٌ بالموصلِ[1]

وَدعبل – بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة .

---

(١) فى الأصل « ورمسه بالموصل » محرفا عما أثبتناه ، وانظر هذه الأبيات فى هبة الأيام (٥٠) ، ثم انظرها فى خمسة أبيات ، فى أخبار أبى تمام (٢٧٤ – ٢٧٥) وفي الموازنة (٤٢) ولا توجد هذه الأبيات فى ديوان البحترى .

١١٦ — ما أحسنَ الدينَ والدُّنيا إذا اجتمعا   وأقبحَ الكفرَ والافلاسَ بالرَّجُلِ

شاهد للمقابلة

البيت من البسيط ، وَيُعْزَى لأبى دُلَامة .

يحكى أن أبا جعفر المنصور سأل أبا دُلامة عن أشعر بيت قالته العرب فى المقابلة ، فقال : بيت يلعب به الصبيان ، قال : وما هو على ذاك ؟ قال : قول الشاعر ، وأنشده البيت .

قال ابن أبى الأصبع : لا خلاف فى أنه لم يقلْ قبله مثله ، فانه قابل بين أحسن وأقبح ، والدين والكفر ، والدنيا والافلاس ، وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة وكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ .

وأحسن من بيت أبى دُلامة قول المتنبى [من الطويل] :

فلا الجودُ يفنى المالَ والجدُّ مقبلٌ   ولا البخلُ يبقى المالَ والجدُّ مدبرُ

أمثلة من حسن المقابلة

ومن المقابلة قول النابغة الجعدى [من الطويل] :

فتى تمّ فيه ما يَسُرُّ صديقَهُ   على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وقول الفرزدق [من الطويل] :

وإنا لنمضي بالأكف رماحنَا   إذا أُرعشتْ أيديكمُ بالمعالقِ

وقول عبد الله بن الزُّبير الأسدى [من الوافر] :

فردَّ شعورهنَّ السودَ بيضاً   وَرَدَّ وُجوههن البيضَ سودَا

وقول أبى تمّام [من البسيط] :

يا أمةً كان قبحُ الجور يسخطها   دَهراً فأصبح حسنُ العدل يُرْضِيها

وقول البحترى [من الخفيف] :

فإذا حاربوا أذلُّوا عزيزاً   وإذَا سالموا أعزُّوا ذَليلاً

وقول يزيد بن محمد المهلبى لسليمان بن وهب [من الطويل] :

فمنْ كانَ للآثامِ والذُّلِّ أرضهُ   فأرضكمُ للأجرِ والعزِّ مَعْقِلُ

وقول العباس بن الأحنف [من السريع] :

اليومُ مِثلُ الحولِ حتى أرَى وَجهكَ والساعةُ كالشهرِ

لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثنى عشر .

ولمؤلفه من أبيات [من السريع] :

لو كانَ ذا الكاشحُ فى بلدتى لم يستطعْ يُومِضُني وَمْضًا(١)

وكنتُ فى العزِّ سماء لهُ وكانَ لى مِنْ ذلهِ أرْضَا

وحسنٌ فى المقابلة قول الشريف الموسوى [من البسيط] :

ومنظرٍ كانَ بالسرَّاء يضحكُنِي ياقربَ ما عادَ بالضرَّاء يُبكِينِي

وقول أبى عبد الله الغوَّاص [من البسيط] :

جَهلُ الرئيسِ وحقّ الله يضحكُنا وفعلهُ وإلَهِ الناسِ يُبكينَا

وقول ابن شمس الخلافة [من الرمل] :

طالتِ الشقْوَةُ للمرْءِ إذَا قَصُرَ الرزقُ وطالَ العمرُ

وقول السرىّ الرفاء [من مجزوء الرجز] :

وصاحب يقدَحُ لِى نارَ السرُورِ بالقدَحِ

فى روضةٍ قد لبستْ منْ لؤلؤ الطلّ سبحْ

والجَوّ فى مُمسَّكٍ طرازُهُ قوسُ قزَحْ

يبكى بِلاَ حزنٍ كمَا يضحكُ من غيرِ فرحْ

وقوله وقد شرب ليلة فى زورق [من الطويل] :

ومعتدلٍ يسعى إلىَّ بكأسهِ وقد كادَ ضوء الصبح بالليل يفتكُ

---

(١) في مطبوعة بولاق « لوكان ذاك الكاشح » بزيادة الكاف التى يختل بها الوزن .

وقد حجبَ الغيمُ السماءَ كأنما ... يُزَرُّ عليها منه ثوبٌ مُمَسَّكُ

ظَلِلنا نبثُّ الوجدَ والكأسُ دائرٌ ... ونهتكُ أستارَ الهوى ونُهتِّكُ

ومجلسنا في الماء يهوى ويرتقي ... وإبريقنا والكأس يبكي ويضحك

وقول التِّمّام الحداد المصري [من المنسرح]:

أما ترى الغيثَ كلما ضحكتْ ... كمائمُ الزهرِ في الرياض بكَى

كالحِبِّ يبكي لديهِ عاشقُه ... وكلما فاضَ دمعُه ضحكَا

وما أحسن قول الأرَّجاني وأرشقه [من مخلع البسيط]:

شبتُ أنا والتحى حبيبي ... حتى برغمي سلوتُ عنهُ

وابيضَّ ذاكَ السوادُ مني ... واسودَّ ذاكَ البياضُ منهُ

وما أصفى قول الصفي الحلي [من الطويل]:

مليحٌ يغيرُ الغصنَ عند اهتزازهِ ... ويخجلُ بدرَ التمِّ عندَ شروقهِ

فما فيهِ معنى ناقصٌ غيرُ خصرهِ ... ولا فيهِ شيءٌ باردٌ غيرُ ريقهِ

وما أشرق قول الشمس التلمساني [من الطويل]:

فكم يتجافى خصرُه وهو ناحلٌ ... وكم يتحالى ريقُهُ وهو باردُ

وكم يدعي صوناً وهذي جفونهُ ... بفترتها للعاشقينَ تواعدُ

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي [من البسيط]:

أزورُهم وسوادُ الليل يشفعُ لي ... وأنثني وبياضُ الصبحِ يغري بي

وقد أخذه بعضهم أخذاً مليحاً ، فقال [من الكامل]:

أقلى النهارَ إذا أضاء صباحُهُ ... وأظلُّ أنتظر الظلامَ الدامسَا

فالصبحُ يَشْمتُ بي فيقبلُ ضاحكاً ... والليلُ يَرثي لي فيدبرُ عابسَا

والمتنبي أخذ معنى بيته من مصراع بيت لابن المعتز ، وهو قوله [من البسيط]:

لا تلقَ إلا بليلٍ مَنْ تواعدُهُ ... فالشمسُ نمّامةٌ والليلُ قوّادُ

إلا أن ابن المعتز هجن هذا المعنى بذكر نمامة وقواد ، وأبو الطيب سبكه أحسن سبك وأبدعه ، فصار أحق به منه .

وقال عبد الله بن خميس من شعراء المغاربة [من الكامل] :

باتتْ له الأهواء أدهم سابقاً ... وغدَتْ بهِ الأيامُ أشهبَ كابى

فأحسن ما شاء ، لمقابلته الأدهم بالأشهب ، والسابق بالكابى ، على أنه مأخوذ من قول ذى الوزارتين أبى عبد الله بن أبى الخصال ، رحمه الله تعالى [من الطويل] :

وقد كنتُ أسرى فى الظلام بأدهم ... فهاأنا أغدو فى الصبَاح بأشهَبِ

وفى بيت كل منهما زيادة على الآخر .

ومن مقابلة ستة بستة ما أورده الصاحب شرف الدين مستوفى إربل ، وهو [من الطويل] :

على رأس عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينهُ ... وفى رِجْلِ حرّ قيد ذُلٍّ يَشينهُ

حكى غرس الدين الأربلى ، أن الصاحب المذكور لما أنشد لغيره هذا البيت ، قال هو بديها [من الطويل] :

تسر لئيماً مكرماتٌ تزينهُ ... وتبكى كريماً حادثاتٌ تَهينهُ

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول القائل فى ذى أبنة [من الكامل] :

يأتى إلى الأحرار يجلسُ فوقهمْ ... وينامُ من تحت العبيد ويُؤتَى

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول النميرى الغرناطى [من الكامل] :

هنّ البدُورُ تغيرتْ لما رأتْ ... شعرَاتِ رأسى آذنَتْ بتغيرِ

رَاحتْ تحبُّ دُجى شباب مظلم ... وغدَتْ تعافُ ضحى مشيب نيرِ

ترجمة أبي دلامة

وأبو دلامة(١) اسمه زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه، ويقول: زيد بالياء التحتية، وهو خطأ، وإنما هو بالنون، وهو كوفى أسود، مولى لبنى أسد، وكان أبو دلامةَ عبداً لرجلٍ منهم، يقال له: قضاقض(٢)، فأعتقه وأدرك آخر أيام بنى أمية، ولم يكن له فيها نباهة، ونبغ فى أيام بنى العباس، فانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدى، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره، ولم يصل لأحد من الشعراء ما وصل لأبى دلامة من المنصور خاصة. وكان أبو دلامة فاسد الدين ردىء المذهب، مرتكبا للمحارم مجاهراً بذلك. وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله. وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت له الجائزة به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور، وذكر قتله أبا مسلم، وفيها يقول [من الطويل]:

أبا مسلمٍ خوّفتنى القتلَ فانتَحَى ... عليكَ بما خوفتنى الأسدُ الوَرد

أبا مسلمٍ ما غيرَ اللهُ نعمةً ... على عبده حتى يغيرها العبدُ

وأنشدها المنصورَ فى محفل من الناس، فقال له: احتكم؟ فقال له: عشرة آلاف درهم. فأمر له بها. فلما خلا به قال له: أما والله لو تعديتها لقتلتك.

وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها، وأن يلقوا السيوف فى المناطق، ويكتبوا على ظهورهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فدخل عليه أبو دلامة فى هذا الزى، فقال له أبو جعفر: ما حالك؟ قال: شرّ حال، وجهى فى وسطى، وسيفى فى استى، وقد صبغت بالسواد ثيابى، ونبذت كتاب الله وراء ظهرى، فضحك منه وأعفاه، وحذره من ذلك، وقال له: إياك أن يسمع منك هذا أحد، وفى ذلك يقول أبو دُلامة

---

(١) تجد ترجمة أبى دلامة فى الأغانى (٩ - ١٢٠)

(٢) فى الأغانى «فضافض» بفاءين

[من الطويل] :

وكنا نرجّى منحةً من إمامنا فجاءتْ بطُولٍ زادهُ فى القلانسِ
تراها على هام الرجال كأنها دنانُ يهود جُلِّلتْ بالبرانسِ

وحدث الجاحظ ، قال : كان أبو دلامة واقفاً بين يدى المنصور — أو السفاح — فقال له : سلنى حاجتك . قال أبو دلامة : كلب صيد . قال : أعطوه إياه . قال : ودابة أتصيد عليها . قال : أعطوه . قال : وغلام يقود الكلب . قال : أعطوه غلاما . قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلا بد من دار يسكنونها . قال : أعطوه داراً تجمعهم . قال : وإن لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أقطعتك مائة جريب عامرة ، ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : مالا نبات فيه من الأرض . قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيا فى بنى أسد ، فضحك وقال : اجعلوا المائتين كلها عامرة . قال : فأذَنْ لى أن أقبل يدك . قال : أما هذه فدعها فانى لا أفعل . قال : والله مامنعت عيالى شيئاً أقل ضررا عليهم منها ! .

قال الجاحظ : فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها ، حيث ابتدأ بكلب فسهَّل القضية ، وجعل يأتى بما يليه على ترتيب فكاهة ، حتى نال مالو سأله بديهة لما وصل إليه .

وحدث الهيثم بن عدى قال : دخل أبودلامة على المنصور ، فأنشده قصيدته التى أولها [من البسيط]

إنّ الخليط أجدّ البين فانتجعوا وزوّدوكَ خبالاً ، بئس ماصنعوا[1]

(١) فى الأصل «بان الخليط أجداليين» وماأثبتناه موافق لما فى الأغانى

إلى أن قال فيها يهجو زوجته :

لاَ والذى يا أميرَ المؤمنين قَضىَ لكَ الخلافةَ فى أسبابها الرُّفَعُ
مازلتُ أخلصها كسبي فتأكلهُ دونى ودون عيالى ثم تضطجعُ
شوهاء مَشْنِيَّة فى بطنها بجَرٌ وفى المفاصل من أوصالها فدعُ(١)
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله ترتدعُ(٢)
فاخرنطمت ثم قالتْ وهى مغضبةٌ أأنت تتلو كتاب الله يالُكَعُ(٣)
اخرجْ لتبغِ لنا مالاً ومزرعةً كما لجيراننا مالٌ ومُزْدَرَعُ
واخدعْ خليفتنا عَنَّا بمسألةٍ إنّ الخليفة للسؤَّالِ ينخدعُ

فضحك المنصور ، وقال : أرضوها عنه ، وا كتبوا لها ستمائة جريب عامرة وغامرة ، فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف ، وإن شئت زدتكَ ، فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة .

وشهد أبو دلامة لجارة له عند ابن أبى ليلى القاضى ، على أتان نازعها فيه رجلٌ ، فلما فرغ من الشهادة قال لابن أبى ليلى : اسمع ما قلت قبل أن آتيك ، ثم اقض بماشئت قال هات : فأنشده [من الطويل] :

إنِ الناسُ غطونى تغطَّيت عنهمُ وإن بَحَثُوا عنى ففيهم مَباحث
وإن حفَرَوا بئرى حفرت بئارهم ليعلم يوماً كيف تلك النبائث(٤)

---

(١) فى مطبوعة بولاق « فى بطنها بخل » وفى الأغانى « فى بطنها بحل » وكلاهما تحريف ما أثبتناه ، والبجر ـ بفتحتين ـ أن يعظم البطن ، وتخرج السرة ويغلظ أصلها .

(٢) فى الأغانى * ولم تكن بكتاب الله تنتفع *
ولكل منهما معنى صحيح

(٣) اخرنطمت : غضبت

(٤) النبائث : جمع نبيثة ، وهى تراب البئر أو النهر أو ما حول أحدهما من التراب .

فأقبل القاضى على المرأة ، وقال : أتبيعيننى الأتان ؟ قالت : نعم ، قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم ، قال : ادفعوها إليها ، ففعلوا ، وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتهالك . وقال لأبى دلامة : قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له و وهبت ملكى لمن رأيت ، أرضيت ؟ قال : نعم ، وانصرف .

ودخل أبو عطاء السندى يوما إلى أبى دلامة ، فاحتبسه ، ودعا بطعام وشراب فأ كلا وشربا ، وخرجت إلى أبى دلامة صبية له ، فحملها على كتفه ، فبالت عليه ، فنبذها عن كتفه ، ثم قال [من الوافر] :

بَلَلْتِ علىَّ لا حُيِّيتِ ثَوبى ... فَبالَ عليْكِ شيطانٌ رَجيمُ(١)
فمَا وَلَدَتكِ مَرْيَمُ أمُّ عيسىَ ... ولا رَبَّاكِ لُقمانُ الحكيمُ

ثم التفت إلى أبى عطاء فقال له : أجز يا أباعطاء ، فقال [من الوافر] :

صَدَقتَ أبادُلامةَ لَمْ تَلِدْها ... مُطهَّرَةٌ ولا فحلٌ كَريمُ
ولكِنْ قَدْ حَوَتْهَا أمُّ سوءٍ ... إلى لَبَّاتها ، وأبٌ لئيمُ

فقال له أبو دلامة: عليك لعنة الله ! ماحملك على أن بلغت بى هذا كله ؟ والله لاأنازعك بيت شعر أبدا ، فقال له أبوعطاء : يكون الذى من جهتك أحب إلىّ ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فأخبره بقصة ابنتــه ، وأنشده الأبيات ، ثم اندفع فأنشده بعدها [من البسيط] :

لوْ كانَ يَقعُدُ فوْقَ الشمسِ مِنْ كَرَمٍ ... قَوْمٌ لَقِيلَ اقْعُدُوا يا آلَ عَبَّاسِ
ثمّ ارْتَقُوا فى شُعاعِ الشَّمْسِ كلكُمُ ... إلى السماءِ فأنتُمْ أكرَمُ النّاسِ(٢)
وقَدِّمُوا القائِمَ المَنْصُورَ رأسَكُمُ ... فالعينُ والأنفُ والأذنانِ فى الرّاسِ

فاستحسنها ، وقال : بأى شىء تحب أن أعينك على قبح ابنتــك هذه ؟

---

(١) فى مطبوعة بولاق * بللت على ثوبى لاحييت *
(٢) فى الأغانى « فأنتم أطهر الناس »

فأخرج خريطة قد خاطها من الليل ، وقال : تملأ لى هذه دراهم ، فوسعت أربعة آلاف درهم

ولما توفى أبوالعباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس يعزّونه فأنشأ أبو دلامة يقول :

أمسيتَ بالأنبار يا ابنَ محمّدٍ ... لم تَستطعْ عن عُقرِها تحويلا(١)

وَيلى عليكَ وَوَيل أهلى كلّهم ... ويلاً وعَوْلا فى الحَياةِ طَويلاَ

فلتبكِيَنَّ لكَ السّماء بعَبْرَةٍ ... ولتبكِيَنَّ لكَ الرِّجالُ عويلا(٢)

ماتَ الندَى إذ مُتّ ياابنَ محمّدٍ ... فجعلْتَهُ لكَ فى التُّرابِ عَديلا

إنّى سألْتُ النّاسَ بَعْدَكَ كلَّهمْ ... فوَجَدْتُ أسمحَ مَنْ سألتُ بخيلاَ

ألِشقْوَتى أُخِّرْتُ بَعْدَكَ لّلتى ... تَدعُ العزيزَ مِنَ الرِّجال ذليلاَ

فلأحلِفَنَّ يَمينَ حَقٍّ بَرّةً ... بالله ما أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سولاَ

فأبكى الناسَ قولُه ، وغضب المنصور غضباً شديداً وقال : لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، فقال أبودلامة : ياأميرالمؤمنين ، إن أباالعباس كان لى مكرما ، وهو الذى جاءبى من البدو كما جاء الله عز وجل بإخوة يوسف عليه السلام إليه ، فقل أنت كما قال يوسف (لاتثريبَ عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)فسُرِّى عن المنصور ، وقال : قدأقلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك، فقال : ياأمير المؤمنين ، قدكان أبوالعباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا

---

(١) فى مطبوعة بولاق

* لم تستطع عن غيرها تحويلا *

وليس بشىء ، و أثبتنا ما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى * فلتبكين لك النساء بعبرة *

وهو أتم لمقابلته بالرجال فى عجز البيت

وهو مريض ولم أقبضها ، فقال المنصور: ومن يعلم ذلك ؟ قال: هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا : صدق ياأمير المؤمنين فنحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ : [يا سليمانُ](١) ادفع إليه وسيِّره إلى هذا الطاغية (٢) يعنى عبد الله بن علىّ ، وكان قد خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة فقال: ياأمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن أخرج معهم فإنى والله لمشؤم ، فقال له المنصور : امض فإن يُمْنِي يغلب شؤْمك فاخرج ، فقال: والله ياأمير المؤمنين ما أحِبُّ لك أن تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر فإنى لا أدرى أيهما يغلب يُمنك أو شؤمى إلا أنى بنفسى أدرى وأوثق وأعرف وأطول تجربة ، فقال: دعنى من هذا فمالك من الخروج بدّ ، قال: فإنى أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكنت سببها ، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل ، فاستفرغ(٣) المنصور ضحكا ، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة

وحدث أبو دلامة قال: أتى بى إلى المنصور أو إلى المهدى وأنا سكران ، فحلف ليخرجنى فى بَعْثِ حرب ، فأخرجنى مَع روح بن عدىّ بن حاتم(٤) المهلبى لقتال الشُّراة ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثراً ترتضيه منى ، فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك ، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلىّ ودعا له بغيرهما فاستبدل به ، فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عنى حلاوة الطمع(٥)

---

(١) زيادة عن الأغانى

(٢) فى مطبوعة بولاق « هذه الطاغية » وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) فى الأغانى « فاستغرب »

(٤) فى الأغانى « روح بن حاتم المهلبى » باسقاط عدى

(٥) فى مطبوعة بولاق « وزالت عنه حلاوة الطمع » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذبك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما ، فقال : هات ، فأنشدته [من الكامل] :

إِنِّى اسْتَجَرْتُكَ أَنْ أُقَدَّمَ فى الوَغَى   لِتَطَاعُنٍ وتَنَازُلٍ وَضِرَابِ
فَهَبِ السُّيُوفَ رَأَيْتُهَا مَشْهُورَةً   فتَرَكْتُهَا ومَضَيْتُ فى الهُرَّابِ
ماذَا تَقُولُ لِمَا يَجِىءُ ولا يُرَى   من وَارِدَاتِ المَوْتِ فى النشاب(١)

فقال : دع عنك هذا وستعلم ، فبرز رجل من الخوارج يطلب المبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دلامة ، فقلت : أنشدك الله أيها الأمير فى دمى ، فقال : والله لتخرجن ، قلت: أيها الأمير إنه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنا والله جائع ماتنبعث منى جارحة من الجوع فمرلى بشىء آكله ثم أخرج ، فأمرلى برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك و برزت من الصف ، فلما رآنى الشارى أقبل نحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فاقفعلّ وعيناه تقدان ، فأسرع إلى ، فقلت : على رسلك ياهذا كما أنت ، فوقف ، فقلت : أتقتل مَنْ لايقاتلك ؟ قال : لا ، قلت : أفتستحلّ أن تقتل رجلا على دينك ؟ قال : لا ، قلت : أفتستحل ذلك قبل أن تدعو مَنْ يقاتلك إلى دينك ؟ قال : لا فاذهب عنى إلى لعنة الله ، فقلت : لاأفعل أو تسمع منى ، قال : قل ، قلت : هل كان بيننا عداوة قط أوترة أو تعلم بين أهلى وأهلك وترا ؟ قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله لك إلا على جميل ، و إنى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين بدينك

---

(١) روى هذا البيت فى الأغانى

ماذا تقول لمــا يجىء وما يرى   من واردات الموت فى النشاب

ووقع فى مطبوعة بولاق

ماذا تقول لمن يجىء ولا يرى   لمــا درأت الموت فى النشاب

وأثبتناه كما ترى

وأريد الشر لمن أراده لك ، قال : ياهذا جزاك الله خيراً فانصرف ، قلت : إن معي زاداً وأريد أن آكله وأريد مواكلتك لتتأكد المودة بيننا ونُرِى أهل العسكرين هوَانهم علينا ، قال : فافعل ، فتقدمت إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل ، والناس قد غُلبوا ضحكا ، فلما استوفينا وَدَّعنى ، ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة ندَبنى لك فتتعب وتتعبنى ، فان رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل ، قال : قد فعلت ، ثم انصرف وانصرفت ، فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرنى فقل لغيرى يكفيك قرنه ، قال : ثم خرج آخر يريد البراز ، فقال : اخرج إليه ، فقلت [من البسيط] :

إنى أعوذ بِروح أن يُقدمنى ... إلى القتَال فتَخزَى بى بنو أسد
إنَّ البرَاز إلى الأقرَان أعلَمُهُ ... ممَّا يُفرِّق بيْنَ الرُّوح والجَسد
قَدْحالفَتْكَ المَنَايا إذ صمَدْتَ لها ... وأصبحَتْ لجميع الخلْق بالرّصد
إنَّ المُهلَّبَ حُبَّ الموْت أوْرثكم ... وماورِثْتُ اختيارَ الموت عن أحد
لوْ أن لى مُهجةً أخرى لجدتُ بِها ... لكنّها خُلقَتْ فَرْداً فلم أجد

فضحك وأعفانى

وعزم موسى بن داود على الحج فقال لأبى دلامة : احجج معي ولك عشرة آلاف درهم ، فقال : هاتها ، فدفعت إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد ، فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر ، وطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشى فوات الحج ، فخرج فلما شارف القادسية إذا هو بأبى دلامة[1] خارجا من قرية إلى قرية أخرى وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه فى المحمل بين يديه ، ففُعِل به ذلك ، فلما سار غير بعيد أقبل أبو دلامة على موسى وناداه بقوله [من البسيط] :

---

(١) فى مطبوعة بولاق « فاذا هو بأبى دلامة » وحذفنا الفاء وفاقا لما فى الأغانى .

يا أيها الناس قولوا أجمعين معاً صلّى الإله على موسى بن داود
كأن ديباجتى خدّيه من ذهب إذا بدالكَ فى أثوابه السود
إنى أعوذ بداود وأعظمه من أن أكاف حجاً يا ابن داود[1]
أنبئت أن طريق الحج معطشة من الشراب وما شربى بتصريد[2]
والله مافىّ من أجر فتطلبه ولا الثناء على دينى بمحمود

فقال موسى : ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه[3] ينصرف ، فألقى وعاد إلى قصفه بالسواد حتى نفدت العشرة آلاف[4] .

ودخل أبو دلامة يوما على المنصور فأنشده [من الوافر] :

رأيتك فى المنام كسوت جلدى ثيابا جمة وقضيت دينى
وكان بنفسجىّ الخز فيها وساج ناعم فأتم زينى
فصدّق يا فدتك النفس رؤيا رأتها فى المنام كذاك عينى

فأمر بذلك ، وقال : لا تعدْت تتحلم على ثانية فأجعل حلمك أضغاثا ولا أحققه ثم خرج من عنده ومضى فشرب فى بعض الحانات فسكر وانصرف وهو ثمل فلقيه العسس فأخذ فقيل له : من أنت ؟ وما دينك ؟ فقال [من الرجز] :

دينى على دين بنى العباس ماختم الطين على القرطاس[5]
إذا اصطبحت أربعاً بالكاس فقد أدار شربها براسى
فهل بما قلت لكم من باس ؟

(١) فى مطبوعة بولاق «عن أن أكاف» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى « خبرت أن طريق الحج »

(٣) فى مطبوعة بولاق «ودعوه فينصرف» وحذفنا الفاء وفاقا لما فى الأغانى

(٤) الصواب عربية أن يقول « عشرة الآلاف » والكوفيون يجيزون «العشرة الآلاف » فأما ما فى الأصل فخطأ

(٥) فى مطبوعة بولاق « فاختم الطين » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وأراد بقوله « ماختم الطين - الخ » معنى الدوام

فأخذوه ومضوا به فخرقوا أثوابه وساجه ، وأتوا به إلى المنصور ، وكان يؤتى بكل من أخذه العسس ، فحبسه مع الدجاج فى بيت ، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته مرة فلا يجيبه أحد ، وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزُقاء الديكة ، فلما أكثر قال له السجان : ما شأنك ؟ قال : ويلك ! من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : فى الحبس ، وأنا فلان السجان ، قال : ومَنْ حبسنى ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : : ومن خرَّقَ طيلسانى ؟ قال : الحرس ، فطلب منه أن يأتيه بدَواة وقرطاس ، ففعل ، فكتب إلى المنصور [من الوافر] :

أميرَ المؤمنينَ فدَتكَ نفسى ... عَلامَ حبستنى وخرَقْتَ ساجى
أمِنْ صَهْباءَ صافيةِ المزَاجِ ... كأنَّ شُعاعها لهبُ السِّرَاجِ
وقد طبختْ بنارِ الله حتى ... لقد صارَتْ من النطفِ النضاجِ
تَهشُّ لها القلوب وتشتهيها ... إذا برَزت ترقرَقُ فى الزجاجِ
أقاد إلى السجون بغير جُرْمٍ ... كأنى بعضُ عمالِ الخراجِ
ولو معهم حُبستُ لكانَ سهلاً ... ولكنى حُبستُ معَ الدجاجِ
وقد كانت تخبرنى ذنوبى ... بأنى من عقابكَ غيرُ نَاجى
عَلىَ أنى وإن لاَقيتُ شرًّا ... لخيركَ بعْدَ ذاكَ الشر رَاجِى

فدعا به ، وقال له : أين حُبست يا أبا دلامة ؟ فقالَ: مع الدجاج ، قال: فما كنت تصنع؟ قال : أقوقىء معهم حتى أصبحت ، فضحك وخلى سبيله ، وأمر له بجائزة . فلما خرج قال له الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله : * وقد طبخت بنار الله * يعنى الشمس ، فأمر برده . ثم قال له : يا خبيث ، شربتَ الخمر ؟ قال : لا . قال : أفلم تقل : * طبخت بنار الله * تعنى الشمس . قال : لا ، والله ما عنيت إلا نار الله المؤصدَة التى تطلع على فؤاد الربيع ، فضحك وقال : خذها يا ربيع ، ولا تعاود التعرض له .

ولما قدمَ المهديّ منَ الرّيّ ، دَخل عليه أبو دلامة ، فأنشأ يقول [من الكامل] :

إني نذَرتُ لئن لقيتُكَ سالماً ۞ بقُرَى العرَاق وأنتَ ذو وفرِ

لتصلينَّ عَلى النـبيّ محمدٍ ۞ ولتملأنُ دَرَاهِماً حِجرِي

فقال : صلى الله على النبي محمد وسلم ، وأما الدرَاهم فلا ، فقال له : أنت أكرم من أن تفرق بينها ، ثم تختار أسهلهما ، فضحك ، وأمر بأن يملأ حجره دراهم .

ودخل أبو دُلامة على أم سلمة زوج السفاح بعد موته ، فعزاها به و بكى ، فبكت معه ، فقالت أم سلمة : لم أجد أحداً أصيب به غيرى وغيرك ياأبا دلامة قال : ولا سواء(١) يرحمك الله! لك منه ولد ، وما ولدت أنا منه قط ، فضحكت ، ولم تكن ضحكت منذ مات السفاح إلا ذاك الوقت ، وقالت له : لو حَدَّثتَ الشيطان لأضحكته .

ودخل يوما على المهدى ، وهو يبكى ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ، وأنشد لنفسه فيها [من الطويل] :

وكنا كزوج من قَطًا فى مفازةٍ ۞ لدَى خَفْض عيشٍ مونِقٍ ناضِرٍ رغدِ

فأفرَدَنى رَيب الزمان بصرفـهِ ۞ وَلم أرَ شـيئاً قطُّ أوحشَ من فردِ

فأمر له بطيب وثياب ودنانير ، وخرج ، فدخلت أم دلامة على الخيزران وأعلمتها أن أبا دلامة قدمات ، فأعطتها مثل ذلك ، وخرجت . فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما ، فجعلا يضحكان لذلك و يعجبان منه .

---

(١) فى مطبوعة بولاق «ولاسواى يرحمك الله» محرفا وما أثبتناه موافق لما في الأغانى

وحدث المدينى قال : دخل أبو دلامة على المهدى وعنده جماعة من بنى هاشم فقال المهدى له : أنا أعطى الله تعالى عهداً ، لئن لم تهجُ واحداً ممن فى البيت لأضربنَّ عنقك ، فنظر إليه القوم ، وغمزوه بأن عليهم رضاه . قال أبو دلامة : [فعلمت [1]] أنى وقعت ، وأنها عزمة من عزماته ، ولا بد منها ، فلم أر أحداً أحقَّ بالهجاء منى ، ولا أدعى إلى السلامة من هجائى نفسى ، فقلت : [من الوافر] :

إلا أبلغْ لديكَ أبا دُلامهْ فليس من الكرام ولا كرامهْ
إذا لبس العمامة قلت قردٌ وخنزيرٌ إذا وضع العمامهْ(٢)
جمعت دمامةً وجمعت لؤماً كذاك اللؤم تتبعهُ الدمامهْ
فإن تكُ قد أصبتَ نَعيم دُنيا فلا تفرحْ فقد دنت القيامهْ

فضحك القوم ، ولم يبق منهم أحد إلا أجازه .

وخرج المهدى وعلى بن سليمان إلى الصيد . فسنح لهما قطيع من ظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدى سهماً فصرع ظبياً ، ورمى على بن سليمان فأصاب كلباً فقتله ، فقال فى ذلك أبو دلامة [من مجزوء الرمل] :

قد رمى المهدىُّ ظبياً شكَّ بالسهم فؤادهْ
وعلىُّ بن سليما ن رمى كلباً فصادهْ
فهنيئاً لهما كلُّ امرىء يأكلُ زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة . ولقب على بن سليمان بصائد الكلب ، فعلق به .

---

(١) زيادة عن الأغانى
(٢) فى الأغانى « كان قرداً وخنزيراً إذا »

وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف على حفرتها قال لأبى دلامة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال: بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى ، يُجاء بها الساعة فتدفن فيها ، فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه .

وحدث الهيثم بن عدى قال : حجت الخيزران ، فلما خرجت صاح أبو دلامة: جعلنى الله فداك ! الله الله فى أمرى ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قالوا : أبو دلامة ، قالت : اسألوه ما أمره . قال : أدنونى من محملها ، فأدنى ، فقال : أيها السيدة ، إنى شيخ كبير وأجرك فىّ عظيم . قالت : فمه ؟ قال: تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى وترفق بى وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى ، وأطالت كدى ، فقد عاف جلدى جلدها ، وتمنيت بُعْدها ، وتشوقت فَقْدها . فضحكت ، وقالت: سوف آمر لك بما سألت ، فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها إلى بغداد وأقام حتى سئم ، ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها [من مجزوء الرمل] .

أبلغى سيدتى بالله يا أم عبيدَهْ
أنها أرشدَها الله وإن كانت رَشيدهْ
وَعدتنى قبلَ أن تخرج للحج وليدهْ
فتأتيت وأرسلت بعشرين قصيدهْ
كلما أخلقنَ أخلفت لها أخرى جديده
ليس فى بيتى لتمهيد فراشى من قعيدهْ
غيرُ عجفاء عجوز ساقُها مثل القديده
وجهها أقبحُ من حوت طرىّ فى عصيده
ما حياتى مع أنثى مثل عِرْسِى بسعيده

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت ، واستعادت قوله : * وجهه أقبح من حوت إلى آخره * وجعلت تضحك ، ودعت بجارية من جواريها فائقة . فقالت لها : خذي كل مالك في قصري ، ففعلت ، ثم دعت بخادم وقالت له : سلمها إلى أبي دلامة . فانطلق الخادم بها فلم يصبه في منزله . فقال لامرأته : إذا رجع فادفعيها إليه وقولي له : تقول لك السيدة أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها . فقالت له : نعم . فلما خرج دخل إليها ابنها دلامة فوجد أمه تبكي ، فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبر بي يوما من الدهر فاليوم ، قال قولي : ماشئت فإني أفعله ، قالت : تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها فتطؤها وتحرمها عليه ، وإلا ذهبت بعقله وجفاني وجفاك ، ففعل ودخل على الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه وخرج ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ فقالت : في ذلك البيت فدخل إليها شيخ محطم ذاهب فمد يده إليها وذهب ليقبلها ، فقالت له : مالك ويلك تنح عني وإلا لطمتك لطمة دققت بها أنفك . فقال : أبهذا أوصتك السيدة ؟ فقالت : إنها بعثت بي إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت ، وقد كان عندي آنفاً ونال مني حاجته ، فعلم أنه قد دهي من أم دلامة وابنها ، فخرج إلى دلامة فلطمه وتلبب به وحلف أنه لا يفارقه إلى المهدي ، فمضى به متلبباً حتى وقف على باب المهدي . فعرف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة ، فأمر بإدخاله فلما دخل قال له : مالك ويلك؟ قال : عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة ما لم يعمله ولد بأبيه ولا يرضيني إلا أن تقتله . فقال : ويلك ! فما فعل بك؟ فأخبره الخبر . فضحك حتى استلقى على قفاه ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ فقال علي بالسيف والنطع . فقال له دلامة : قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي ، قال : هات . قال : هذا الشيخ أصفق الناس وجهاً ، وهو ينيك أمي منذ أربعين ما غضبت نكت أنا جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بي ما ترى ، فضحك المهدي أشد من ضحكه الأول . ثم قال : دعها له وأنا أعطيك خيرا منها . قال : على أن

تخبأها لى بين السماء والأرض وإلا ناكها والله كما ناك هذه ، فتعهد المهدى إلى أبى دلامة أن لا يعاود دلامة مثل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ، وأمر له بجارية أخرى كما وعده .

ودخل أبودلامة على المهدى وسلمة الوصيف واقف ، فقال : إنى قد أهديت لك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله ، فان رأيت أن تشرفنى بقبوله ، فأمر بادخاله إليه ، فخرج أبو دلامة وأدخل فرسه التى كان تحته ، فاذا هو برذون محطم أعجف هرم ، فقال له المهدى : أى شىء ويلك هذا ، ألم تزعم أنه مهر فقال له : أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائماً ، تسميه الوصيف ، وله ثمانون سنة ، وهو بعد عندك وصيفاً ، فان كان سلمة وصيفا فهذا مهر ، فجعل سلمة يشتمه والمهدى يضحك . ثم قال لسلمة : ويحك ! إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بمثلها فى محفل يفضحك ، فقال أبودلامة : إى والله يا أمير المؤمنين لأفضحنّه فليس فى مواليك أحد إلا وقد وصلنى غيره ، فانى ما شربت له الماء قط ، قال : قد حكمت عليه أن يشترى نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك ، قال : قد فعلت على أن لا يعاود ، قال : أفعل ، ولولا أنى ما أخذت منه شيئا قط ما استعملت معه مثل هذا ، فمضى سلمة فحملها إليه وسلمه إياها .

وجاء دلامة يوما إلى أبيه وهو فى محفل من جيرانه وعشيرته جالسا فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة ، فقال لهم : إن شيخى كما ترون قد كبر سنه ، ودق عظمه ، وبنا إلى حياته حاجة شديدة ، ولا أزال أشير عليه بالشىء يمسك رمقه ويبقى قوته فيخالفنى ، وإنى أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته ، فأسعفونى بمسألته معى ، فقالوا : نفعل وحبا وكرامة ، ثم أقبلوا على أبى دلامة بألسنتهم ، فتناولوه بالعتب حتى رضى ابنه وهو ساكت ، فقال : قولوا لهذا الخبيث فليقل ما يريد ، فستعلمون أنه لم يأتِ إلاَّ ببليّة ، فقالوا : قل ، فقال : إن أبى ما يقتله إلا كثرة الجماع ،

فتعاونونى(١) عليه حتى أخصيه فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره، فعجبوا مما أتى به، وعلموا أنه أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه ويرتفع له به ذكر ، فضحكوا منه، ثم قالوا لأبى دلامة : قد سمعت فأجب. قال : قد سمعتم أنتم وعرفتم أنه لم يأت بخير ،قالوا : فما عندك فى هذا ؟ قال: قد جعلت أمه حكما بينى وبينه . فقوموا بنا إليها ، فقاموا بأجمعهم ودخلوا إليها ، وقص أبو دلامة القصة عليها وقال: قد حكمتك فأقبلت على الجماعة فقالت : إن ابنى هذا أبقاه الله قد نصح أباه وبرّه ولم يأل جهدا وما أنا إلى بقاء أبيه بأحوج منى إلى بقائه، وهذا أمر لم تقع به تجربة ولا جرت بمثله عادة ولا أشك فى معرفته بذلك فليبدأ بنفسه أولا فليخصها ، فاذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثراً محموداً استعمله أيضا أبوه، فجعل أبوه يضحك منه ، وخجل ابنه دلامة ، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبثهم جميعا واتفاقهم فى ذلك المذهب .

وكان عند المهدى رجل من بنى مروان قد جاءه مسلما ، فأتى المهدى بعلج ، فأمر المروانى أن يضرب عنقه ، فأخذ السيف وقام فضرب به فنبا عنه ، فرمى به المروانى وقال : لو كان من سيوفنا ما نبا ، فسمعها المهدى فغاظه حتى تغير وجهه وبان فيه، فقام يقطين فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ثم قال : يا أمير المؤمنين، إن هذه السيوف سيوف الطاعة ولا تعمل إلا فى أيدى الأولياء ، ولا تعمل فى أيدى أهل المعصية ،ثم قام أبودلامة فقال : ياأمير المؤمنين، قد حضرنى بيتان أفأقول ؟ قال : قل ، فأنشده [من الخفيف] :

أيهَذَا الامامُ سيْفُكَ ماضٍ ... وَبِكَفِّ الوَلِىِّ غيرُ كهَامِ

فإذا ما نبَا بِكَفٍّ عَلِمْنَا ... أنه كَفُّ مُبْغِضٍ للإمَامِ

فقام المهدى من مجلسه ، وسُرى عنه ، وأمر حجابه بقتل المروانى، فقتل

وقال ابن النطاح: دخل أبودلامة على المهدى ، فأنشده قصيدته فى بغلته

(١) هكذا بحذف نون الرفع من غير تقدم ناصب أو جازم

المشهورة يهجوها و يذكرمعايبها، فلما أنشده قوله [من الوافر] :

أَتَانِى خَائِبٌ يَسْتَامُ مِنِّى عريقاً فى الخسارة والضَّلالِ

فقالَ تبيعُها قُلْتُ ارتبطها بِحُكْمِكَ إن يَبِعْى غيرُ غالى

فأقبلَ ضاحكاً نَحْوِى سروراً وقالَ أراكَ سَهلاً ذا جَمَال

هلم إلىَّ يخلو بى خداعاً وما يدرى الشقى لمَنْ يُخالى

فقلتُ بأربعينَ فقالَ أحسِنْ إلىَّ فانَّ مِثلكَ ذُو سجال

فأنْزِلُ خمسةً مِنْهَا لعلمى بما فيهِ يَصيرُ مِنَ الخبالِ

فقال له المهدى : لقد أفلت من بلاء عظيم ، قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها على ، قال : ثم أنشده [من الوافر] :

فأبدِلْنى بِهَا يا ربِّ طِرْفاً يكُونُ جَمالُ مَرْكِبِهِ جَمَالى

فقال المهدى لصاحب دوابه : خيره بين مركبين من الاصطبل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن كان الاختيار إلى وقعت فى شرمن البغلة ، ولكن مُرْه أن يختار لى ، فقال : اختر له

وأخبار أبى دلامة كثيرة ، وقد أثبتنا منها طرفا صالحا .

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى !

* * *

شاهد مراعاة النظير

١١٧ — كالقِسِىِّ الْمُعَطَّفَاتِ بَلِ الأسْهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الأوْتَارِ

البيت للبحترى ، من قصيدة من الخفيف[١] يمدح بها أباجعفر بن حُمَيد ويستوهبه غلاما ، ومنها قوله :

أبُكاءً فى الدَّار بَعْدَ الدَّار وَسُلُوًّا بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَار

(١) اقرأها في الديوان (٢ ـ ٢٤ مصر)

لاهناكَ الشغلُ الجديدُ بحزْوَى عـن رُسُوم برامتين قفار
ما ظننتُ الأهواءَ قبلكَ تُمحى في صُدُور العُشّاق مَحْوَ الدّيار(١)

إلى أن قال منها في وصف النوق :

يترقرقن كالسّراب وقد خُضْـنَ غماراً من السّراب الجاري

و بعده البيت ، والقصيدة طويلة ، يقول منها في تشكيه من الغلام الأجير ويسأل مخدومه في هبته غلاما و يصفه :

قدْ مللنَاكَ ياغلامُ فغادِ بسلام أوْ رائحٌ أوْ سارى
سَرقات منّى خصوصاً ، فهلا منْ عدُو أوْ صاحبٍ أوْ جار(٢)
أنا منْ ياسرٍ وَسعْدٍ وَفتح لسْتُ من عامرٍ وَلاَ عمّار
لا أحبُّ النّظيرَ يُخرجهُ الشتْمُ إلى الاحتجـاج والافتخار
فاذَا رُعتهُ بناحيَةِ السّوْ ط على الذّنبِ رَاعني بالفرار
ما بأرْض العرَاق يا قوْم حرٌّ يشترِيني منْ خدمةِ الأحرار(٣)
هلْ جوَاد بأبيض من بني الأصفر محْض الجُدُود محْض النّجار
لم يرُمْ قومهُ السّرَايا وَلم يغزُهُم غيْرُ جحفَلٍ جرّار(٤)
فحوته الرّماح أغيَدَ مجدُو لا قصيرَ الزّنار وافي الأزَار(٥)
فوْقَ ضعفِ الصغار إن وكلَ الأمْر إليه ودون كبر الـكبار(٦)

---

(١) في الأصل « فيك تمحى » وما أثبتناه موافق لما في الديوان

(٢) في الأصل «سروا نأى عنى» و لم تتجه لها عندنا ضبط ، وما أثبتناه موافق لمـا في الديوان

(٣) في الديوان « يفتديني » في مكان يشتريني

(٤) في الديوان « لم يرع قومه السرايا » ولمـا هنا وجه

(٥) في الأصل « توجته الرياح » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في الديوان

(٦) في الديوان « وذون كيد الـكبار » وهو خير ممـا هنا

لك من ثغره وخدّيه ما شئتَ من الأقحوان والجلّنار
وكأنّ الذكاء يبعثُ منهُ في سوادِ الأمور شعلةَ نار
يا أبا جعفر وما أنتَ بالمدْ عوّ إلا لكلّ أمرٍ كُبّار
ولعمْري للجُودُ بالناس للنا سِ سِواهُ بالثّوْبِ والدّينار
وقليلٌ إلاّ لَديكَ بهذا الفج أخْذُ الغلمان بالأشعار(١)

ومعنى البيت أنه يصف إبلا أنحلها السرى بحيث صارت من الهزال كالقسى بل السهام بل الأوتار

أبيات في وصف الإبل بالنحول

وقد تداول الشعراء هذا المعنى ، وتجاذبوا أطرافه ، فمن ذلك قولُ الشريف الموسوى [من الكامل] :

هُنّ القسيُّ مِنَ النُّحُول فانْ سمَا خَطْبٌ فهُنّ منَ النّجاءِ الأسهُم

وقد أخذه ابن قلاقس فقال أيضاً [من الكامل] :

خُوصٌ كأمثال القسيِّ نَوَاحلا وإذا سَمَا خطبٌ فَهُنّ سِهامُ

وقال أيضاً [من الوافر] :

طَرحنَا العجز عَنْ أعجاز عيس نُوشّحُها على الحزم الحزَامَا
ونَدْفعُ بالسُّرَى مِنْها قِسيًا فتَقْذِفُ بالنّوَى مِنْها سِهَامَا

وقال ابن خفاجة أيضاً [من الطويل] :

وقدْمابرَتْ مِنْهاقِسيّا يدُ السُّرَى وفوّق منها فوْقهَا المَجْدُ أسهُما

وقال ابن النبيه [من الخفيف] :

إنّ خَوْضَ الظّلماءِ أطْيَبُ عندِي مِنْ مَطايا أمسَتْ تَشكى كَلاَلَهْ
فَهْيَ مِثْلُ القِسيّ شكْلاً ولكِنْ هيَ في السّبْق أسهُمٌ لا مَحالَهْ

---

(١) في الديوان « وعزيز إلا لديك »

والشاهد فى البيت : مراعاة النظير، ويسمى : التناسب ، والتوافق ، والائتلاف ، والمؤاخاة ، وهو : جمع أمر وما يناسبه مع إلغاء التضاد لتخرج المطابقة فهو هنا قصد المناسبة بالأسهم والأوتار لما تقدم من ذكر القسى ، وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية كما فى قول مهيار [من الخفيف] :

ومُدِير سِيّانِ عيناهُ والابريقُ فَتكاً ولحظُهُ والمُدامُ

والابريق هنا السيف سمى بذلك لبريقه ، وكان يصح أن يقال سيان عيناه والصمصام أو المندى ، فاختار الابريق لمناسبته لفظاً للمدام ، إذ الابريق يطلق على إناء الخمر ، وليس هذا من المعنى فى شىء ، وإنما هو مراعاة مجرد اللفظ

أبيات فى مراعاة النظير

ومن أحسن ما ورد فى مراعاة النظير قول ابن خفاجة يصف فرسا وهو [من السريع] :

وأشقَرَ تضرم منهُ الوَغى بشُعْلةٍ مِنْ شُعلِ البأس
مِنْ جلّنار ناضرٍ خدُّهُ وأذنُهُ مِنْ وَرَق الآسِ
تَطلُعُ للغرّةِ فى وَجهِهِ حبَابة تَضحكُ فى الكاس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة ·

وقول ابن الساعاتى من أبيات فى وصف الثلج [من الكامل] :

السُحْبُ راياتٌ ولمعُ بُرُوقها بيضُ الظُبى والأرضُ طِرفُ أشهَبُ
والنَدُّ قَسطَلُهُ وَزَهرُ شمُوعنا صُمُّ القَنا والفحمُ نبلٌ مُذْهَبُ

وما أبدع قول بعضهم فى آل النبى صلى الله عليه وسلم [من الكامل] :

أنتُمْ بنُو طهَ ونَ والضُّحى وبنُو تبارَكَ والكِتابِ المُحكَم
وبنو الأباطح والمَشاعِرِ والصّفا والرُكْن والبَيتِ العتيقِ وزمزَم

فانه أحسن فى المناسبة فى البيت الأول بين أسماء السور ، وفى الثانى بين الجهات الحجازية ، وما أعجب قول السلامى [من الكامل] :

أو ما ترى طرر البروق توسطت — أفقاً كأن المزن فيه شنوف

واليوم من خجل الشقيق مضرج — خجل ومن مرض النسيم ضعيف

والأرض طرس والرياض سطوره — والزهر شكل بينها وحروف

وقوله فى وصف النارنج والسماريات فى نهر طلعت عليه الشمس [من الوافر]

تنشط للصبوح أبا على — على حكم المنى ورضا الصديق

بنهر للرياح عليه درع — يذهب بالغروب وبالشروق

إذا اصفرت عليه الشمس صبت — على أمواجه ماء الخلوق

وقفت به فكم خد رقيق — يغازلنى على قد رشيق

وجمر شب فى الأغصان حتى — أضاع الماء فى وهج الحريق

ونهم الخيل فى ميدان تبر — يصاغ لها كرات من عقيق

وقوله أيضاً فى وصف الحب [من البسيط]:

الحب كالدهر يعطينا ويرتجع — لا اليأس يصرفنا عنه ولا الطمع

صحبته والصبا تغرى الصبابة بى — والوصل طفل غرير والهوى يفع

أيام لا النوم فى أجفاننا خلس — ولا الزيارة من أحبابنا لمع

إذ الشبيبة سيفى والهوى فرسى — وراتى اللهو واللذات لى شيع

وما أحسن قول السرى الرفاء [من الوافر]:

وغيم مرهفات البرق فيه — عوار والرياض بها كواسى

وقد سلت جيوش الفطر فيه — على شهر الصيام سيوف باس

ولاح لنا الهلال كشطر طوق — على لبات زرقاء اللباس

وبديع قول أبى طالب البغدادى النحوى من أبيات [من البسيط]:

ومهمه سرت فيه والبساط دم — والجو نقع وهامات الرجال ربا

وقول أبى حنيفة الاسترابادى غية هنا ، وهو [من السريع] :

هل عفرت أقلامه خط العذار في مشقه فخال نضح القار
أو استدار الخط لما غفت نقطته مركز ذاك المدار
ورقه الخمر فهل ثغره در حبيب نظمته العقار

وقوله وهو بديع [من البسيط] :

أما الرمى بسهم اللحظ إذ رشقا فلم تدرع من أصداغه الحلقا

وقول أبى على الحسن الباخرزى والد صاحب دمية القصر [من الطويل] :

وذى زجل والى سهله رهامه وولى فألقى قوسه فى انهزامه
ألم تر خد الورد مدمى لوقعها وأنصلها مخضوبة فى كمامه

وما أحسن قول الحسين بن على النميرى من قصيدة [من الكامل] :

روض إذا جرت الرياح مريضة فى زهره استشفت به مرضاها
وإذا تقابلت الندامى وسطه سكر الصحاة كما صحا سكراها

وما أزهر قول بعضهم يرثى صبياً حنفياً [من الخفيف] :

روضة العلم قطّبى بعد بشر والبسى من بنفسج جلبابا
وهى النائحات منثور دمع فشقيق النعمان بان وغابا

ولأبى العصب الملحى [من مجزوء الرمل] :

ذرفت عين الغمام فاستهلت بسجام
وبكى الابريق فى الكأ س بدمع من مدام
فاسقنى دمعاً بدمع من مدام وغمام
واعص من لامك فيه ليس ذا وقت الملام

ولأبى العلاء المعرى [من البسيط] :

دَعِ اليراعَ لقومٍ يفخرون بها ... وبالطوالِ الرُّدَينيّاتِ فافتخرِ

فهنّ أقلامك اللاتي إذا كتبت ... مجداً أتت بمدادٍ من دمٍ هدرِ

وما أحسن قول الوأواء الدمشقي [من البسيط] :

سقياً ليومٍ غدا قوسُ الغمامِ به ... والشمسُ مشرقةٌ والبرقُ خلّاسُ

كأنّهُ قوسُ رامٍ والبروقُ لهُ ... رشقُ السهامِ وعينُ الشمسِ برجاسُ

وما أبدعَ قول السلامى [من الطويل] :

وقد خالطَ الفجرَ الظلامُ كما التقى ... على روضةٍ خضراءَ وردٌ ونمّمُ

وعهدى بها والليلُ ساقٍ ووصلنا ... عُقارٌ وفوهُ الكأسِ ثغرٌ وكأسها الفمُ

ولبعض شعراءِ الذخيرة [من الطويل] :

بدارٍ سقتها ديمةٌ إثرَ ديمةٍ ... فمالت بها الجدرانُ شطراً على شطرِ

فمن عارضٍ يسقى ومن سقفِ مجلسٍ ... ينوءُ ومن بيتٍ يميلُ من السكرِ

ومن المليحات فى هذا الباب قول البديع الهمذانى من قصيدة يصف فيها طول السرى [من الطويل] :

لكَ اللهُ من عزمٍ أجوبُ جيوبهُ ... كأنّى فى أجفانِ عينِ الردى كحلُ

كأنّ السرى ساقٍ كأنّ الكرى طلاً ... كأنّا لها شَربٌ كأنّ المنى نُقلُ

كأنّا جياعٌ والمطىُّ لنا فمٌ ... كأنّ الفلا زادٌ كأنّ السرى أكلُ

كأنّ ينابيعَ الثرى ثدىُ مرضعٍ ... وفى حجرها منّى ومن نُجُبى طفلُ

كأنّا على أرجوحةٍ فى مسيرنا ... لِغَورٍ بنا تهوى ونجدٍ بنا تعلو

ومنها فى المديح ولم يخرج عن حسن المتابعة [من الطويل] :

كأنّى قوسٌ لسانى لهُ يدٌ ... مديحى لهُ نزعٌ به أملى نبلُ

كأنّ دواتى مُطفِلٌ حبشيةٌ ... بنانى لها بعلٌ ونقشى لها نسلُ

كأن يدى فى الطرس غوّاص لجةٍ بها كلمى دُرٌّ به قيمتى تغلو

وله أيضاً فى قريب منه يمدح الممدوح فى القصيدة قبله ، وهو الملك خلف ابن أحمد صاحب سجستان [من الطويل] :

وليلٍ كذكراه كمعناه كاسمه كدين ابن عباد كادبار فائقِ

شققنا بأيدى العيس بُرْدَ ظلامه وبتنا على وعدٍ من السير صادقِ

تزجُّ بنا الأسفارُ فى كل شاهقٍ وترمى بنا الآمالُ فى كل حالقِ

كأن مطايانا شفار كأنما تمدُّ إليهن الفلاَ كفَّ سارقِ

كأن نجوم الليل نَظَّارةٌ لنا تعجب من آمالنا والعوائقِ

كأن نسيم الصبح فرصة آيسٍ كأن سراب القيظ خجلةُ وامقِ

ومن الغريب هنا قول ابن الرومى يصف أينقاً [من البسيط] :

تطوى الفلاَ وكأن الآلَ أرديةٌ وتارةً وكأنَّ الليل سيجانُ

كأنها فى ضَحَاضيح الضحى سفنٌ وفى الغمار من الظلماء حيتانُ

وما أرشق قول ابن رشيق [من الطويل] :

أصح وأقوى ما سمعناهُ فى الندى من الخبر المأثور منذ قديمِ

أحاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميمِ

ومن المستحسن فى هذا النوع قول ابن زيلاق فى غلام معه خادم يحرسه [من الطويل] :

ومن عجَبٍ أن يحرسوكَ بخادمٍ وخدّامُ هذا الحسن من ذاكَ أكثرُ

عذاركَ ريحانٌ وثغرك جوهرٌ وخدُّكَ ياقوت وخالكَ عنبرُ

وما أبدع قول ابن مطروح [من مجزوء المتقارب] :

وليلة وصلٍ خلَتْ فيا عاذلى لا تسَلْ

لبسنا ثياب العناقِ مُزَرَّرَة بالقبلْ

ومثله قول العماد السلامسى(١) [من مجزوء الكامل]:

شَقَّتْ عليكَ يد الأسَى ثوبَ الدموع إلى الذيولِ

وعجيب قول ابن الخشاب فى المستضىء وأجاد [من الكامل]:

وَرَدَ الورى سلسال جودك فارتَوَوْا ووَقفت دون الوِرْد وَقفة حائمِ

ظمآن أطلبُ خفة من زحمةٍ والوِرد لا يزدَاد غير تزاحمِ

وقول ابن شرف فى اجتماع البعوض والذباب والبراغيث فى مجلس، مخاطبا لصاحبه يستهزىء به [من الكامل]:

لكَ مجلسٌ كملتْ ستارتنا بهِ للهو، لكن تحتَ ذَاكَ حديثُ

غنَّى الذبابُ وظلّ يزمر حولهُ فيه البعوض ويرقص البرغوثُ

ومن النهايات هنا قول القاضى عبد الرحيم الفاضل [من الكامل]:

فى خدّه فخّ كمطفة صُدْغهِ والخالُ حَبَّتهُ وقلبى الطائرُ

وقول مجير الدين بن تميم [من الكامل]:

لو كنتَ تَشْهَدُنى وقد حمىَ الوغَى فى موقفٍ ما الموت عنه بمعزلِ

لترَى أنابيبَ القناة علىَ يدى تجرى دَماً من تحت ظلّ القسطلِ

وقد أغرب الأديب بدر الدين حسن الزغارى بقوله [من الطويل]:

كأنّ السحابَ الغرّ لمَّا تجمعتْ وقد فرقتْ عنا الهمومَ بجمعهَا

نياقٌ ووجهُ الأرض قعبٌ وثلجها حليبٌ وكف الريح حالب ضَرْعها

والباب واسعٌ، ولا بد من مراعاة الاختصار هنا.

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه «قوله السلامسى، كذا فى نسخة وفى أخرى السلمانى».

* * *

إرصاد تسهيم

١١٨ — إذا لم تستطعْ شيئاً فدعهُ وجاوِزهُ إلى ما تستطيعُ

البيت لعمرو بن معدِي كرب الزبيدى ، من قصيدة (١) من الوافر ، وأولها :

أمِنْ رَيحانةَ الدّاعى السميعُ يؤرّقنى وأصحابى هُجُوعُ
سباها الصمّةُ الجشمىُّ غصباً كأنّ بياضَ غرّتها صديعُ
وحالت دونها فرسانُ قيسٍ تكشّفُ عن سواعدها الدروعُ

و بعده البيت ، و بعده :

وصِلهُ بالزمان فكلُّ أمرٍ سمَا لكَ أو سموتَ لهُ ولوعُ

وهى طويلة .

قال المدائنى : حدثنى رجل من قريش قال : كنا عند فلان القرشى ، فجاءه رجلٌ بجارية ، فغنّته [من السريع] :

بالله يا ظبيَ بنى الحارثِ هَلْ مَنْ وفى بالعهد كالنّاكث

وغنّته أيضا بغناء ابن سريج [من المنسرح] :

---

(١) اقرأها فى الأصمعيات (٤٣ — ٤٥ أوربة) وليست الأبيات التى رواها المؤلف هنا متوالية فى رواية الأصمعيات ، وليس البيت الثانى فيها بهذه الألفاظ ، وقد روى ابن قتيبة فى الشعراء المطلع ، ثم روى أربعة أبيات فيها بيت الشاهد والذى بعده . وقد روى صاحب الأغانى (١٤ — ٣٣) أربعة أبيات من أول القصيدة بترتيب المؤلف هاهنا ، وآخرها بيت الشاهد ، ولكن الأغانى لا يروى الشعر على ترتيبه فى كلام قائليه ، وإنما يرويه على ترتيب الغناء

يا طولَ ليلى وبتُّ لم أنمِ وسادىَ الهمُّ مُبطنٌ سقمِى

فأعجبته ، واستامَ مولاها فاشتط عليه فأبى شراءها ، وأعجبت الجارية بالفتى ، فلما امتنع مولاها من البيع إلا بشطط قال القرشى : فلا حاجة لنا فى جاريتك ، فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها ، تقول :

* إذا لم تستطع شيئا فدعهُ * البيتَ .

قال : فقال الفتى القرشى : أفأنا لا أستطيع شراءك ؟ والله لأشترينك بما بلغت ، قالت الجارية : فذلك أردتُ . قال القرشى : إنى لا أخيبك، وابتاعها من ساعته .

والشاهد فيه : الارصاد ، ويسميه بعضهم التسهيم ، وهو : أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ، مايدل على العجز إذا عرف الروىّ — وهو الحرف الذى تبنى عليه أواخر الأبيات أو الفقر — ويجب تكراره فى كل منها فانه قد يكون منها مالا يعرف منه العجز لعدم معرفة حرف الروى كقول البحترى [من الطويل]:

أحلّت دمى من غير جرم وحرّمت بلا سبب يوم اللقاء كلامى

فليس الذى قد حللت بمحلل وليس الذى قد حرمت بحرام

فانه لو لم يعرف أن القافية مثل سلام وكلام لربما توهم أن العجز بمحرم ، وقول جنوب أخت عمرو ذى الكلب [من المتقارب] :

وخرق تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكّى الكلالا

فكنت النهار به شمسه وكنت دجى الليل فيه الهلالا

والقول فيه كالذى قبله

---

(١) روى ابن حجة فى البحث التسهيم من خزانة الأدب (١٥٧) كثيرا من الشواهد التى ذكرها المؤلف هنا

ومما اختير من شواهد هذا النوع قول الراعى [من الوافر] :

وإن وَزَنَ الحصى فوزَنْتُ قومى وجدتُ حصى ضريبتهم وزينا

وقد حكى أن عمر بن أبى ربيعة المخزومى جلس إلى ابن عباس رضي الله عنهما فابتدأ ينشده :

* تشطُّ غداً دارُ جيرانِنا *

فقال ابن عباس رضى الله عنه :

* وللدارُ بعدَ غدٍ أبعدُ *

وكان كذلك ولم يَسْمع غير الشطر الأول .

وكذلك يحكى عن عدى بن الرِّقاع أنه أنشدفى صفة الظبية وولدها [من الكامل] :

* تُزْجى أغَنَّ كأن إبرة رَوْقِهِ *

وغفل الممدوح عنه فسكت ، وكان جرير حاضراً فقيل له : ما تراه يقول ؟ فقال جرير :

* قلم أصابَ من الدواة مدادَها *

وأقبل عليه الممدوح فقال كما قال جرير لم يغادر حرفا

ومنه قول الخنساء [من المتقارب] :

ببيض الصفاح وسمر الرماح فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزا

وقول دعبل [من الرمل] :

وإذا عاندنا ذو قــوةٍ غضب الروح عليه فعرجْ

فعلى أيماننا يجرى النَّدَى وعلى أسيافنا تجرى الْمُهَجْ

ومن جيده قول بعضهم [من الطويل] :

ولو أننى أعطيتُ من دهرىَ المنى وما كل من يُعْطَى المنى بمسَدَّدِ

لقلت لأيامٍ مضينَ ألا ارجعى وَقلت لأيام أتينَ ألا ابْعَدى

وما أحسن قول البحترى [من الكامل] :

أبكيكما دمعاً ولو أنى على قَدْرِ الجوى أبكى بكيتكما دَمَا

وحدث إبراهيم بن أبى محمد اليزيدى قال : كنت عند المأمون يوما وبحضرته عريب فقالت له على سبيل الولع : يا سلموس ، وكانت جوارى المأمون يلقبننى بذاك عبثا ، فقلت [من الطويل] :

وقل لعريب لا تكونى مسلمسه وكونى كتعريف وكونى كمؤنسه

فقال المأمون :

فان كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شيء ، إن ذا منك وسوسه

فقلت : كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول ، وعجبت من ذهن المأمون وطبعه وفطنته

ولمؤلفه من أبيات [من الكامل] :

ليس التقدم بالزمان مقدِّماً أحداً ولا التأخير فيه يؤخِّرُ

فلكل عصر مستجد تُبَّعٌ ولكل وقت مقبل إسكندر

ومدح أبو الرجاء الأهوازى الصاحب ابن عباد لما ورد الأهواز بقصيدة منها [من السريع] :

إلى ابن عبادٍ أبى القاسم ال صاحب إسماعيل كافى الكفاة

فاستحسن جمعه بين اسمه وَلقبه وكنيته واسم أبيه فى بيت واحد ، ثم ذكر وصوله إلى بغداد وملكه إياها فقال :

* ويشربُ الجندُ هنيئاً بها *

فقال له ابن عباد : أمسك أمسك ، أتريد أن تقول :

* من بعد ماء الرى ماء الفراة *

فقال : هكذا والله أردت ، وضحك

وعمرو[١] بن معدى كرب هو: أبو عبد الله، وقيل: أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عاصم[٢] بن عمرو بن زبيد ، ينتهى نسبه لقحطان ، ويكنى أبا ثور ، وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرم[٣] فيما ذكر ، وهى معدودة من المنجبات ، وعن أبى عبيدة قال: عمرو بن معدى كرب فارس اليمن ، وهو مقدم على زيد الخيل فى الشدة والبأس

ترجمة عمرو بن معديكرب الزبيدى

وعن زيد بن قحيف الكلابى قال : سمعت أشياخنا يزعمون أن عمرو بن معدى كرب كان يقال له مائق بنى زبيد ، فبلغهم أن خثعم تريدهم ، فتأهبوا لهم وجمع معدى كرب بنى زبيد ، فدخل عمرو على أخته فقال لها : أشبعينى إنى غدا آتى الكتيبة ، فجاء معدى كرب فأخبرته ابنته فقال: هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت : نعم ، قال : فسليه ما يشبعه ، فسألته فقال : فرق من ذرة وعنز رباعية ، قال : وكان الفرق يومئذ ثلاثة آصع، فصنع له ذلك وذبح العنز وهيأ الطعام ، قال : فجلس عمرو عليه فسلته جميعا ، وأتتهم خثعم الصباح، فلقوهم، وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فاذا لواء أبيه قائم ، فوضع رأسه ثم رفعه فاذا هو قد زال ، فقام كأنه سرحة محرقه فتلقى أباه وقد انهزموا ، فقال له : انزل عنها ، فقال : إليك يا مائق ؟ فقال له بنو زبيد : خله أيها الرجل وما يريد فان قتل كفيت مؤنته وإن ظهر فهو لك ، فألقى إليه سلاحه ثم ركب فرمى خثعم بنفسه حتى خرج من

---

(١) تجد ترجمة عمرو بن معديكرب الزبيدى فى الشعراء لابن قتيبة (٢١٩) وفى الأغانى (١٤ : ٢٥ - ٤١) وفى خزانة الأدب للبغدادى (١ - ٤٢٢ و ٣ - ٤٦٠)

(٢) في الأغانى « ابن عصم »

(٣) فى الأغاني « من جرم » وهو الصواب .

بين أظهرهم ، ثم كرعليهم ، وفعل ذلك مرارا ، وحملت عليهم بنوزبيد ، فانهزمت خثعم وقهروا فقيل له يومئذ : فارس بنى زبيد

إسلام عمرو بن معدي كرب

وكان من خبر إسلام عمرو بن معدى كرب الزبيدى ما حكاه المدائنى عن أبى اليقظان عن جويرية بن أسماء، قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة تَبُوكَ يريد المدينة ، فأدرك عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى رجال من بنى زبيد ، فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك عنه حتى أوذن به ، فلما تقدم ورسول الله يسير قال : حياك إلهك أبيت اللعن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فآمن بالله يؤمنك الله يوم الفزع الأكبر» فقال عمرو ابن معدى كرب: وما الفزع الأكبر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنه فزع ليس كما تحسب وتظن ، إنه يُصاح بالناس صيحة لا يبقى حى إلا مات إلا ماشاء الله تعالى من ذلك ، ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت إلا نشر ، ثم تلج تلك الأرض بدوى تنهد منه الأرض وتخر منه الجبال وتنشق السماء انشقاق القبطية الجديدة ماشاء الله من ذلك ، ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان فى السماء ترمى بمثل رؤوس الجبال من شرر النار ، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه وَذكر ذنبه ، أين أنت ياعمرو» ؟ قال: إنى أسمع أمرا عظيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا عمرو أسلم تسلم» فأسلم وبايع لقومه على الاسلام وذلك مُنْصَرَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تَبُوكَ ، وكانت فى رجب سنة تسع

وعن أبى عبيدة قال : لما ارتد عمرو بن معدى كرب مع من ارتد عن الاسلام من مذحج استجاش فروة[1] النبيَّ صلى الله عليه وسلم فوجَّه إليهم خالد

(١) فروة : هو فروة بن مسيك المرادى ، وكان قد قدم معه عمرو بن معديكرب على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا وبعث رسول الله صلى=

ابن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما: إذا اجتمعتم فعلى بن أبي طالب أميركم وهو على الناس ، ووجه عليا رضى الله عنه ، فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن ، فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض ، فلم تزل جعفر وزبيد وأدد بنو (١) سعد العشيرة بعدها قليلة (٢) يروى أنه لما بلغ عمرو بن معدى كرب قرب مكانهم أقبل في جماعة من قومه ، فلما دنا منهم قال: دعونى حتى آتى هؤلاء القوم فانى لم أسم لأحد قط إلا هابنى،فلما دنا منهم نادى: أنا أبو ثور ، أنا عمرو بن معدى كرب فابتدره على وخالد وكلاهما يقول لصاحبه : خلني و إياه، و يفديه بأبيه وأمه ، فقال عمرو إذ سمع قولهما : العرب تفزع منى ، وأرانى لهؤلاء جزراً ، فانصرف عنهما ثم رجع إلى الإسلام ، وفى هذا الوجه وقعت الصمصامة(٣) إلى آل سعيد ، وكان سبب وقوعها إليهم أن ريحانة بنت معدى كرب ، وهى المعنية أول القصيدة ، سبيت يومئذ فأفداها (٤) خالد ، وأثابه عمرو الصمصامة ، فصار إلى أخيه سعيد فوجد سعيد جريحا يوم قتل عثمان رضى الله عنه حين حصر (أى فى الدار) وقد ذهب السيف والغمد ، ثم وجد الغمد ، فلما قام معاوية جاءه أعرابى بالسيف بغير غمد ، وسعيد حاضر، فقال سعيد: هذا سيفى ، فجحد الأعرابى مقالته ، فقال سعيد: الدليل على أنه سيفى أن تبعث إلى غمده فتغمده فيكون كفافه ، فبعث معاوية إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فاذا هو عليه ، فأقر الأعرابى أنه أصابه يوم الدار ، فأخذه سعيد منه وأثابه ، فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدى من البصرة

= الله عليه وسلم فروة على صدقات من أسلم منهم ، وأمره أن يدعو الناس ويتألفهم وأنه إذا وجد الفرصة ينتهزها ويغزو المشركين .

(١) فى مطبوعة بولاق « وأود بن سعد العشيرة » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى مطبوعة بولاق « قبيلة » وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) الصمصامة : سيف عمرو بن معد يكرب

(٤) فى الأغانى « ففداها خالد »

[فلما كان بواسط [1]] فأرسل إلى آل سعيد فيه ، فقالوا : إنه السبيل ، فقال : خمسون سيفا قاطعا أغنى من سيف واحد ، فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه

وعن الشعبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض لعمرو بن معدي كرب في الفيء ألفين فقال له : يا أمير المؤمنين ألف ههنا ، وأومأ إلى شق بطنه الأيمن ، وألف ههنا ، وأومأ إلى شق بطنه الأيسر ، فما يكون ههنا ؟ وأومأ إلى وسط بطنه ، فضحك عمر من كلام عمرو رضوان الله تعالى عليهما ، وزاده خمسمائة .

وقال أبو اليقظان : قال عمرو بن معدي كرب : لو سرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها مالم يلقني حراها وعبداها ، فأما الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان فأسود بني عبس ـ يعني عنترة ـ والسُّلَيك بن السُّلَكة ، وكلهم لقيت ، فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت ، وأما عتيبة بن الحرث فأول الخيل إذا غارت وآخرها إذا آبت ، وأما عنترة فقليل النبوة شديد الكَلَب ، وأما السليك فبعيد الغارة كالليث الضاري

وعن قيس أن عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص : إني قد أمددتك بألفي رجل عمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد وهو طليحة الأسدي ، فشاورهما في الحرب ولا تولّهما شيئا

وعنه قال : شهدت القادسية ، وكان سعد على الناس ، فجاء رستم فجعل يمر بنا وعمرو بن معدي كرب الزبيدي يمر على الصفوف ويحض الناس ويقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسداً ، أغنى عباسا [2] فإنما الفارسي تيس بعد أن

---

(١) زيادة عن الأغاني

(٢) في الأغاني « كونوا أسدا أغنى ثابتة »

يلقى يبرُك (١) ، قال : وكان مع رستم أسوار لا تسقط له نشابة ، فقيل له : يا أبا ثور اتق ذلك ، فانا لنقول له ذلك إذ رماه رمية فأصاب فرسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه وسلبه سوارَىْ ذهبٍ كانا عليه ، وقباء ديباج ، قال غير قيس: ورجع بسلبه وهو يقول [من الرجز] :

أنا أبو ثور وسيفى ذُو النونْ أضربهم ضربَ غلامٍ مجنونْ

* يالَ زَبيدٍ إنهم يموتونُ *

وفى رواية عن أبى زيد أن عمراً شهد القادسية ، وهو ابن مائة وست سنين وقيل : بل ابن مائة وعشر ، ولما قتل العلج عبر نهر القادسية (٢) هو وقيس ابن مكشوح المرادى، ومالك بن الحارث الأشتر ، وكان عمرو آخرهم ، وكانت فرسه ضعيفة ، فطلب غيرها ، فأتى بفرس فأخذ بعكوة (٣) ذنبه وأخلد به (٤) إلى الأرض، فأقعى الفرس، فرده وأتى بآخر، ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع، فقال هذا على كل حال أقوى من ذلك، وقال لأصحابه: إنى حاملٌ وعابرٌ الجسر، فان أسرعتم بمقدار جزْر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عقرنى القوم وأنا قائم بينهم ، وقد قتلت وجردت ، و إن أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم وقد قتلت وجردت ، ثم انغمس فحمل فى القوم ، فقال بعضهم : يابنى زبيد علىَ مَ تدَعُونَ صاحبكم؟ والله ما نرى أن تدركوه حياً ، فحملوا ، فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه ، وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها ، و إن الفارس

(١) فى مطبوعة بولاق « بعد أن يلقى نيزكه » و أثبتناما فى الأغاني

(٢) فى الأصل «عبر بنهر القادسية» وماأثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٣) فى الأصل « بعكدة ذنبه » وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني ، والعكوة - بضم العين ، وتفتح - أصل الذنب

(٤) فى الأغانى « وأجلد به »

ليضرب الفرس فلا تقدر أن تتحرك من يده ؛ فلما غشينا رمى الأعجمى بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور ، كدتم والله تفقدوننى ؛ قالوا : أين فرسك ؟ قال : رمى بنشابة فشب فصرعنى وعار [1]

وعن أبان بن صالح قال : قال عمرو بن معدى كرب يوم القادسية : ألزموا خراطيم الفيلة السيوف فانه ليس لها مقتل إلا خراطيمها ، ثم شد على رستم وهو على الفيل فضرب فيله فجذم [2] عرقوبيه فسقط وحمل رستم على فرس ، وسقط من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار فحازه المسلمون ، وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله وانهزم المشركون . وقيل : إن الخرج سقط عليه فقتله

وعن الشعبى قال : جاءت زيادة من عند عمر يوم القادسية فقال عمرو بن معدى كرب لطليحة : أما ترى أن هذه الزعانف [3] تزاد ولا نزاد ، انطلق بنا إلى هذا الرجل حتى نكلمه ، فقال : هيهات ، والله لا ألقاه فى هذا أبداً ، فلقد لقينى فى بعض فجاج مكة فقال : يا طليحة ، أقتلت عكاشة ؟ فتوعدنى وعيداً ظننت أنه قاتلى ، ولا آمنه ، قال عمرو : ولكننى ألقاه ، قال : أنت وذاك ، فخرج إلى المدينة ، فقدم على عمر رضى الله عنه وهو يُغَدِّى الناس ، وقد جَزَّن لعشرة

---

(١) فى الأصل « وغار » بالغين معجمة ـ وهو تحريف ما أثبتناه ، ويقال عار الفرس والكلب ـ بالعين مهملة ـ إذا ذهب وانفلت

(٢) فى الأصل « فجزم » بالزاى محرفا

(٣) فى الأصل « أما ترى هذه الزعانق تزاد ولا تزاد » وفيه تحريف فى موضعين ، وما أثبتناه موافق لما في الأغانى ، والزعانف : جمع زعنفة ـ بكسر الزاى والنون بينهما عين ساكنة ـ وأصلها القطعة من الثوب ، ثم تطلق على الرذل من الناس ، وأراد بهذه العبارة أن الخليفة قد منح أراذل الناس من المقاتلة ولم يمنحهما .

عشرة ، فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو، فأقعد معه تكملة عشرة(١) حتى أكل مع ثلاثين ، ثم قام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لي مآكل في الجاهلية منعني منه الاسلام ، وقد صررت في بطني صرتين وتركت بينهما هواء فسده ، فقال : عليك حجارة من حجارة الحرة فسده بها يا عمرو ، إنه بلغني أنك تقول : إن لي سيفاً يقال له : الصمصامة ، وعندي سيف اسمه المصمم(٢) وإني إن وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك .

وحدث يونس وأبو الخطاب ، قالا : لما كان يوم فتح القادسية ، أصاب المسلمون أسلحة ، وتيجاناً ، ومناطق ، ورقاباً، فبلغت مالا عظيما ، فعزل سعد الخمس ، ثم فض البقية . فأصاب الفارس ستة آلاف ، والراجل ألفان . وبقي مال دثر(٣) ، فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فضل ، فكتب إليه [أن رد على المسلمين الخمس ، وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ، ففعل ، فأجراهم مجرى من شهد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه](٤) أن فض ما بقي على حملة القرآن ، فأتاه عمرو بن معدكرب ، فقال له سعد : ما معك من كتاب الله؟ فقال عمرو : إني أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن، قال: مالك في هذا المال نصيب ، وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمي ، وصاحب جباية بشر(٥)

---

(١) في الأصل « ولم يقم عمرو فأقعد مع عشرة » وهي محرفة عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني

(٢) في الأغاني « أسميه المصمم »

(٣) دثر – بفتح الدال وسكون الثاء المثلثة – كثير

(٤) هذه الزيادة ساقطة من الأصل ، وهي في الأغاني عن يونس وأبي الخطاب اللذين أسند المؤلف الرواية إليهما

(٥) في الأصل «بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جبانة بشر» محرفا وساقط الواو ، وأثبتنا ما في الأغاني

فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك القوم، ولم يعطه شيئاً ، فقال عمرو فى ذلك [من البسيط] :

إذا قُتلنا ولا يبكي لنا أحدٌ   قالتْ قريشٌ ألا تلكَ المقاديرُ
نُعْطَى السوية منْ طعن له نَفَذٌ   ولا سويةَ إذ تعطى الدنانيرُ

وقال بشر بن ربيعة [من الطويل] :

أنختُ بباب القادسية ناقتى   وسعدُ بن وقاص علىَّ أميرُ
وسعدٌ أميرٌ شرُّهُ دونَ خيرِهِ   وخيرُ أميرٍ بالعراق جَرِيرُ
وعندَ أمير المؤمنين نوافلٌ   وعندَ المثنَّى فضةٌ وحَرِيرُ
تذكَّرْ هداكَ اللهُ وقعَ سيوفنا   ببابِ قديسٍ والمكرُّ عسيرُ
عشيةَ ودَّ القومُ لوأن بعضهمْ   يُعَارُ جناحَىْ طائرٍ فيطيرُ
إذا ما فرغنا من قراع كتيبةٍ   دَلفنا لأخرى كالجبال تسيرُ
ترَى القوم فيها واجمين كأنهمْ   جمالٌ بأحمالٍ لهنَّ زفيرُ

فكتب سعدٌ إلى عمر رضى الله عنه بما قال لهما وما رَدَّا عليه ، وبالقصيدتين ، فكتب أن أعطهما على بلائهما ، فأعطى لكل واحد منهما ألفى درهم .

وعن ابن قتيبة أن سعداً كتب إلى عمر رضى الله عنه يُثنى على عمرو ابن معدى كرب ، فسأل عمر عمراً عن سعد ، فقال : هو لنا كالأب ، أعرابىٌّ فى نمرته ، أسد فى تامُورته ، يقسم بالسوية ، ويعدل فى القضية ، وينفر(١) فى السرية ، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة ، فقال عمر رضى الله عنه : لشدَّ ما تقارضتما الثناء .

---

(١) فى الأصل «وينعر» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الشعراء لابن قتيبة الذى نقل عنه المؤلف

وجاء رجل وعمرو بن معدى كرب واقف بالكناسة على فرس له ، فقال : لأنظرن ما بقى من قوة أبى ثور ، فأدخل يده بين ساقه و بين السرج ، ففطن عمرو ، فضمها عليه وحرك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس ، لا يقدر أن ينزع يده ؛ حتى إذا بلغ منه قال : يا ابن أخى ، مالك ؟ قال : يدى تحت ساقك ، فخلى عنه ، وقال : يا ابن أخى إن فى عمك لبقية بعد .

وكان عمرو ـ مع شجاعته ومواقفه ـ مشهوراً بالكذب ، فحدث المبرد قال : كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظهرها يتناشدون الأشعار و يتحدثون ، و يتذاكرون أيام الناس . فوقف عمرو إلى جانب خالد بن الصقعب النهدى ، فأقبل عليه يحدثه ، و يقول : أغرت على بنى نهد ، فخرجوا إلى مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنته طعنة فوقع ، وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه، فقال له الرجل : يا أبا ثور إن مقتولك الذى تذكره هوالذى تحدثه ، فقال : اللهم غفراً ! إنما أنت محدَّث فاستمع ، إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنرهب هذه المَعَدِّية (١)

وقال محمد بن سلام : أبت العرب إلا أن عمرا كان يكذب ، قال : وقلت لخلف الأحمر ، وكان مولى للأشعريين ، وكان يتعصب لليمانية : أكان عمر و يكذب؟ قال : كان يكذب باللسان و يصدق بالفعال

وعن زياد مولى سعد قال : سمعت سعداً يقول ــ و بلغه أن عمرو بن معدى كرب وقع فى الخمر ، وأنه قد دله ــ : لقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم (٢) الغناء شديد النكاية للعدو ، فقيل له : فقيس بن مكشوح ؟ فقال : هذا أبذل لنفسه من قيس ، و إن قيساً لشجاع

---

(١) يريد بالمعدية العدنانيين من العرب أبناء معد بن عدنان

(٢) فى الأصل « عظيم العناء » بالعين مهملة ، وهو محرف عما أثبتنا

وعن أبى محمد المرهبى قال : كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعته يحدث قال : قدم عيينة بن حصن الكوفة ، فأقام بها أياما ، ثم قال : والله مالى بأبى ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط ، يعنى بأبى ثور عمرو بن معدى كرب ، أسرجْ لى يا غلام ، فأسرج له فرساً أنثى من خيله ، فلما قرَّبها إليه ليركبها ، قال له : ويحك ! أرأيتنى ركبت أنثى فى الجاهلية فأركبها فى الاسلام ، فأسرج لى حصاناً فأسرجه ، فركبه وأقبل إلى محلة بنى زبيد . فسأل عن محلة عمرو بن معدى كرب ، فأرشد إليها ، فوقف ببابه ، ونادى : أى أبا ثور اخرج إلينا ، فخرج إليه مؤتزراً كأنما كسر وجبر ، فقال : انعم صباحاً أبا مالك . قال : أو ليس قد أبدلنا الله بهذا السلام عليكم ! قال : دعنا مما لا نعرف ، انزل فان عندى كبشاً شَنَاحاً (١) فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه ، ثم كشط جلده عنه ، وعَضَّاهُ (٢) وألقاه فى قدر جماع وطبخه حتى إذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرّد فيها وألقى القدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أىُّ الشراب أحبُّ إليك: اللبن ، أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية ؟ قال : أو ليس قد حرمها الله عز وجل علينا فى الاسلام ؟ قال: أنت أكبر سناً أم أنا ؟ قال: أنت ، قال : أفأنت أقدمُ إسلاما أم أنا ؟ قال : أنت ، قال: فانى قد قرأت ما بين دفتى المصحف ، فو الله ما وجدت لها تحريما ، إلا أنه قال (فهل أنتم منتهون) فقلنا : لا ، فسكت وسكتنا ، فقال له : أنت أكبر سنا وأقدم إسلاما ، فجاء بها ، فجلسا يتنادمان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا ، فلما أراد عيينة

---

(١) فى الأصل « كبشا ساخا » وفى الأغانى « كبشا سياحا » وأحسبهما جميعاً محرفين عما أثبتناه ، فانه يقال : بكر شناح ــ بزنة ثمان ــ إذا كان فتيا ، والشناح والشناحى والشناحية ــ بتخفيف الياء ــ الجسيم الطويل من الابل .

(٢) عضاه ــ بتشديد الضاد ــ قطعه أجزاء

الانصراف قال عمرو بن معدى كرب : ولئن انصرف أبو مالك بغير حِباء إنها لَوَصمةٌ علىّ ، فأمر بناقة له أرْحَبِيّة كأنها جبيرة لجين ، فارتحلها وحمله عليها ، ثم قال : يا غلام ، هات المزوّد ، فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم ، فوضعها بين يديه ، فقال : أما المال فوالله لا قبلته ؛ قال : فوالله إنه لمن حباء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلم يقبله عيينة ، وانصرَف ، وهو يقول [من الطويل] :

جُزِيتَ أبا ثورٍ جزَاء كرَامةٍ فنعمَ الفتى المُزْدَارُ والمتضيِّفُ

قرَيتَ فأكرَمتَ القِرَى وأفدتنَا خَبيةَ عِلمٍ لم تـكنْ قطُّ تُعرَفُ[1]

وقلتَ حلالٌ أن نُديرَ مدامةً كلونِ انعقاقِ البرْقِ والليلُ مسدفُ

وقدّمتَ فيهـا حـجةً عربيـةً تردّ إلى الانصافِ من ليس ينصفُ

وأنتَ لنا والله ذى العرشِ قدوةٌ إذا صدّنا عن شربها المتكلفُ

نقـولُ أبو ثورٍ أحَلّ حَرامهَا وقولُ أبى ثور أسدُّ وأعرَفُ[2]

وغزا عمرو بن معدى كرب هو وأبىٌّ المرادى فأصابوا غنائم ، فادّعى أبى أنه قد كان مساندا ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئا ، وبلغ عمراً أنه يتوعدُه ، فقال عمرو فى ذلك قصيدة أولها [من الوافر] :

أعاذِل شكتى بدنى ورُمحى وكل مقلّص سَلسِ القيادِ[3]

أعاذل إنمـا أفنى شـبابى وأقرحَ عاتقى ثقلُ النجّادِ[4]

---

(١) فى الأغانى « تحية علم » وأراه محرفا عما هنا

(٢) في الأصل « تقول أبا ثور أحل حرامها » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٣) فى الأصل « أعاذل سكنى » محرفا وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٤ ـ ٣٣) والشعراء لابن قتيبة (٢٢٢)

(٤) روى ابن قتيبة عجز هذا البيت

* ركوبى فى الصريخ إلى المنادى *

تَمَنَّانى ليلقانى أُبَىٌّ ودِدت وأينما منى ودادى
ولو لاقيتنى ومعى سلاحى تكشَّفَ شحمُ قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد قتلى عذيرَكَ من خليلك من مراد[١]

وهذا البيت كان يتمثل به على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا أعطى الناس وَرأى ابن ملجم قاتله الله

وَكان سبب موت عمرو بن معدى كرب ما حكاه ابن قتيبة وغيره قالوا : كانت مغازى العرب إذ ذاك الرى ودستى فخرج عمرو مع شباب من مذحج حتى نزل الخان الذى دون روذة ، فتغدى القوم ثم ناموا وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته ، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترىء أحد أن يدعوه وإن أبطأ ، فقام الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان فى الخان الذى فيه عمرو ، فلما أبطأ صحنا به : ياأبا ثور ، فلم يجبنا ، وسمعنا علزا شديدا[٢] ومراساً فى الموضع الذى دخله ، فقصدناه وإذا به محمرة عيناه مائلا شدقه مفلوجا فحملناه على فرس ، وأمرنا غلاما شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله ، فمات بروذة ، ودفن على قارعة الطريق ، فقالت امرأته الجعفية ترثيه [من الطويل]

لقد غادر الركبُ الذين تحملوا بروذة شخصاً لا ضعيفاً ولا غمرَا
فقل لزبيد بل لمذحج كلها فقدتُمْ أبا ثور سنانكم عَمْرَا
فإن تجزعوا لا يُغْنِ ذلك عنكم ولكن سلوا الرحمن يُعقبكم صبرا

---

(١) فى الأغانى « أريد حباءه » وهو المعروف فى رواية هذا البيت

(٢) العلز ـ بفتح العين واللام جميعا ـ قلق وخفة وهلع المريض والأسير والحريص والمحتضر وفعله من باب فرح ، وهو علز كفرح أى قلق ، والمراس ـ بكسر الميم ـ الشدة ومعالجة الأمر

شاهد المشاكلة ١١٩ — قالوا اقْتَرِحْ شيئاً نُجِدْ لكَ طَبْخَهُ قلت اطْبُخُوا لى جُبَّةً وقميصا

البيت من الكامل ، وقائله أبو الرقعمق ، يروى أنه قال : كان لى إخوان أربعة ، وكنت أنادمهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدى ، فجاءنى رسولهم فى يوم بارد ، وليست لى كسوة تحصننى من البرد ، فقال : إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون لك : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشْتَهِ علينا ما نطبخ لك منها ، قال : فكتبت إليهم [من الكامل]:

إخواننا قصدوا الصبوحَ بسحرةٍ فأتى رسولُهُمُ إلىَّ خصوصا
قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لك طبخه قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

قال : فذهب الرسول بالرقعة ، فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر فى كل صرة عشرة دنانير ، فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم

والشاهد فيه : المشاكلة ، وهى : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا ، وهى هنا قوله اطبخوا فانه أراد خيطوا فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها فى صحبة طبخ الطعام

ومثل البيت قول ابن جابر الأندلسى [من الكامل] :

قالوا اتخذ دُهناً لقلبك يَشْفِهِ قلتُ ادهنوه بخدها المتوردِ

وذكرت باشتهاء أبى الرقعمق قول بعضهم [من الخفيف] :

قال لى عُوَّدى غَدَاةَ أتونى ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى
قلتُ مُغْلًى فيه لسانُ وشاةٍ قطّعوه فيه بصنع عجيب
وَأُضيفت إليه كَبْدُ حسودٍ فُقِئَتْ فوقها عيون الرقيبِ

وقول الآخر [من الكامل] :

عندى لكم يوم التواصُلِ فرحةٌ يا معشر الجلساء والندماء

من أمثلة المشاكلة

أشوى قلوبَ الحاسدينَ بها وَألـــسنةَ الوشاة وأعينَ الرُّقباءِ

ومن أمثلة المشاكلة قول عمرو بن كلثوم فى معلقته [من الوافر] :

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهل فَوقَ جهل الجاهلينَا

أرادَ : فنجازيه على جهله ؛ فجعل لفظة « فنجهل » موضع « فنجازيه » لأجل المشاكلة .

ومثل الأول ما حكى عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، أنه كان يشرب فى متنزه ، وعنده مانى الموسوس، فقال عبيد الله [من الوافر] :

أرى غيماً تؤلفهُ جنوبٌ وأحسب أن ستأتينا بهطلِ

فحزمُ الرأى أن تأتى برطلِ فتشربهُ وتأتينى برطلِ

فقال : ما هكذا قال الشاعر ، وإنما هو :

أرَى غيماً تؤلفهُ جنوبٌ أرَاهُ على مساءتنا حَريصاً

فحزمُ الرأى أن تأتى برطلٍ فتشربهُ وتكسونى قميصاً

ترجمة أبي الرقمعق

وأبو الرقمعق [1] هو أحمد بن محمد الأنطاكىّ الشاعر المشهور ، ذكره الثعالبى فى اليتيمة فقال : هو نادرة الزمان، وجملة الاحسان ، ممن تصرف بالشعر [الجزل[2]] فى أنواع الجد والهزل، وأحرَز قصبات الفضل ؛ وهو أحد المداح المجيدين ، والشعراء المحسنين، وهو بالشام كابن حجاج [3] بالعراق. ومدح ملوك مصر ووزراءها : فمن غرر شعره قوله يمدح الوزير يعقوب بن كلّس ؛ [من الخفيف] :

---

(١) تجد ترجمة أبى الرقمعق فى يتيمة الدهر (١ - ٢٦٩ مصر)

(٢) زيادة عن اليتيمة

(٣) فى الأصل « كابن الحجاج » وقد أثبتنا ما ورد فى اليتيمة

قد سمعنا مقالهُ واعتذارهُ وأقلناهُ ذنبهُ وعثارَهْ

والمعانى لمن عنيتُ ولكنْ بكَ عرَّضتُ فاسمعى ياجارَهْ

منها :

سَحرَتنى ألحاظهُ وكذا كلُّ مليحٍ عيونهُ سَحَّارَهْ

ما عَلىَ مؤثرِ التباعدِ والاعـراض لوآثرَالرضاوالزيارَهْ

وهى طويلة، وأكثر شعره جيد على هذا الأسلوب. مثل صريع الدلاء والقصار.

ومن شعره على طريق ابن حجاج قوله [من مجزوء الكامل] :

كتبَ الحصيرُ إلى السرير أن الفصيلَ ابنُ البعيرِ

فلأمنعن حمارتى سنتين من أكل الشعيرِ

لاهمَّ إلا أنْ تَطِيـ رَ من الهزَال مع الطيور

ولأخبرَنكَ قصتى فلقدْ سقطت على الخبيرِ[1]

إنّ الذين تصافعُوا بالقرعِ فى زَمن القشُورِ

أسِفوا عَلَىَّ لأنهمْ حضروا ولم أكُ فى الحضورِ

لَوْ كنتُ ثَمّ لقيلَ هَلْ منْ آخذٍ بيدِ الضريرِ

ولقد دخلت على الصديـق البيت فى اليوم المطير

متشمراً متبخترِاً للصفع بالدَّلوِ الكبير

فأدرت حين تبادروا دلوى فكان على المدير[2]

يا للرجالِ تَصَافعوا فالصفعُ مفتاحُ السرورِ

---

(١) فى اليتيمة «فلقد وقعت على الخبير» وما هنا أقرب إلى قولهم فى المثل « على الخبير بها سقطت »

(٢) فى الأصل « فأردت حين تبادروا » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة ويقتضيه عجز البيت

هو في المجالس كالبخو ر وكالقلائد في النحور[١]

وله قصيدة طويلة مشهورة أولها [من مجزوء الرجز] :

وقوقتي وقوقتي هدية في طبقِ[٢]
أما ترون بينكم تيساً طويل العنق

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وثلثمائة

* * *

شاهد المزاوجة

١٢٠ — إذا ما نهى النَّاهى فلَجَّ بى الهوى
أصاختْ إلى الواشى فلَجَّ بها الهجْرُ

البيت للبحترى ، من قصيدة[٣] من الطويل فى الفتح بن خاقان ، أولها

متى لاح برقٌ أو بدا طللٌ قفرُ جرى مُسْتَهِلٌّ لا بطىء ولا نَزْرُ
وما الشوق إلا لوعةٌ بعد لوعةٍ وغُزْرٌ من الآماقِ تتبعُها غزرُ
فلا تذكرا عهْدَ التصابى فانه تقضَّى ولم يشعرْ به ذلك العصر[٤]

إلى أن يقول فيها :

هل العيش إلا أن تساعفنا النوى بوَصْلِ سعُاد أو يساعدَنا الدهرُ

إلى أن يقول فيها :

---

(١) فى اليتيمة روى هذا البيت :
هو فى المجالس كالبخو ر فلا تملوا من بخورى

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله وقوقتى إلخ ، هو كالذى قبله من قبيل المجون الذى قد يؤتى فيه بألفاظ خالية من المعانى » اهـ

(٣) اقرأها فى الديوان (١ — ٢١٧)

(٤) فى الديوان * تقضى ولم نشعر به ذلك العصر * وهو أرق

على أنها ما عندها لمُوَاصِلٍ وِصالٌ ولا عنها لمصطبرٍ صبرُ

و بعده البيت ، وهى طويلة يقول منها فى المخلص :

لعمْرُكَ ما الدنيا بناقصة الجَدَا إذا بقىَ الفتحُ بن خاقان والقطرُ (١)

ومعنى أصاخت استمعت ، والواشى : النمام الذى يشى حديثه و يزينه

وَالشاهد فيه : المزاوجة ، وهى : أن يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء ، فهنا زاوج بين نهى الناهى و إصاختها إلى الواشى الواقعين فى الشرط والجزاء فى أن يترتب عليهما لجاج شىء .

من أمثلة للمزاوجة

ومثله قوله أيضا [من الطويل] :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤُها تذكرت القربى ففاضت دموعُها(٢)

فزاوج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين فى الشرط والجزاء فى ترتب فيضان شىء عليهما .

ومن المزاوجة قول أبى تمام [من المتقارب] :

وكنا جميعاً شريكى عنانٍ رضيعى لِبانٍ خليلى صفاء

وفى معنى صدرالبيت قول أبى نواس [من البسيط] :

دَعْ عَنْكَ لومى فان اللَّوْمَ إغراء وداوِنى بالتى كانت هى الداء

وقول ابن زريق البغدادى [من البسيط] :

لا تَعْذِليه فانَّ العذل يُولِعُهُ قد قلتِ حَقًّا ولكن ليس يسمعه

وقول ابن شرف القيروانى [من الكامل] :

قلْ للعذول لواطلعت على الذى عاينته لمنَاكَ ما يعنينى (٣)

---

(١) الجدا بزنة الفتى ـ الخير ، والقطر ـ بفتح فسكون ـ المطر

(٢) احتربت : أراد حاربت

(٣) فى الأصل « أعناك ما يعنينى » وعندنا أنه محرف عما أثبتناه

أتصدُّنى أم للغرَام ترُدُّنى وتلومنى فى الحبّ أمْ تُغْرِينى
دَعنى فلستَ مُعَاقباً بجنايتى إذ ليسَ دينكَ لى ولالك دينى

وقول الصابى [من الخفيف] :

أيهَا اللائمُ المضيِّقُ صدرى لاتلمني فكثرةُ اللوم تُغْرى
قَدْ أقامَ القوَامُ حجةَ عشقى وأبانَ العذارُ فى الحبّ عذرى

* * *

١٢١ — قِفْ بالديار التى لم يعفها القدمُ بلىَ وغيرَها الأرواحُ والدِّيَمُ **شاهد الرجوع**

البيت من البسيط، وهو أول قصيدة لزهير[١] بن أبى سلمى، يمدح بها هرم بن سنان، و بعده :

لاَ الدارُ غيرَها بعدُ الأنيسُ ولاَ بالدارِ لوكَلَّمَتْ ذا حاجة صممُ
دارٌ لأسماء بالغمرَين ماثلةٌ كالوحى ليس لها من أهلها أرِمُ[٢]

يقول منها فى مدحه :

إن البخيلَ ملومٌ حيثُ كان ولـكنّ الجوادَ على علاّته هَرِمُ

---

(١) اقرأها فى الديوان (ص ١٤٥ طبع دار الكتب)

(٢) الغمر ـ بفتح فسكون ـ اسم موضع ، وقد ثناه باعتبار ناحيتيه او أنه ضم إليه مكانا يجاوره فغلب اسم هذا على ذلك ، وكثيرا ما يفعل الشعراء ذلك لأحد هذين الوجهين. والماثل،هنا : الذاهب الذى لا يرى له شخص،وليس بها أرم : أى ليس بها أحد ، وتقول : ليس بهذه الدار أحد ، ولا أرم ، ولا عريب ، ولا دبيح — بزنة سكين — ولا كتيع ، ولا ديار ، ولا نافخ ضرمة ، وابن درستويه يقول : ليس بها آرم ، من الأرم ـ بزنة سبب ـ وهو العلم ، والمراد ليس بها ناصب علم .

هو الجوادُ الذى يعطيكَ نائلهُ عفواً ويُظلمُ أحياناً فيظَّلِمْ
فإن أتاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ

وهى طويلة.

والأرواح : جمع ريح ، ويجمع على أرياح أيضا ، ورِوح ، ورِيَح — بكسر الراء وفتح الياء — والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون.

والشاهد فى البيت : الرجوع ، وهو العَوْد إلى الكلام السابق ، بالنقض والابطال لنكتة ، فهنا دل صدر البيت على أن تطاول الزمان وتقادم العهد لم يعف الديار ، ثم عاد إليه ونقضه فى عجز البيت بأنه قد غيرتها الرياح والأمطار(١) لنكتة ، وهى هنا : إظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهش ، كأنه أخبر أولا بما لم يتحقق ، ثم رجع إليه عقله وأفاق بعض الافاقة فنقض كلامه السابق.

من أمثلة الرجوع

ومثله قول الشاعر(٢) [من الطويل] :

فأفّ لهذا الدهر لا بل لأهله

وقول ابن الطثرية [من الطويل] :

أليسَ قليلاً نظرةٌ إن نظرتها إليك؟ وكلاّ ليسَ منك قليلُ

وقول أبى البيداء [من الطويل] :

---

(١) هذا قول ذهب إليه أبو عبيدة ، وتبعه عليه جمهرة العلماء ، وكان أبو زياد يقول : معنى البيت أن بعض الديار قد عفا ولم يعف بعض آخر

(٢) مثل هذا من قول الشعراء قول الطهوى :

فلا تبعدن ياخير عمرو بن جندب بلى إن من زار القبور ليبعدا

وقول سلامة بن جندل السعدى :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق عفا عهده بين الصليب فمطرق
أكب عليه كاتب بدواته وحادثه العين جدة مهرق

ومالىَ انتصارٌ إن غدا الدهرُ جائراً   علىّ ، بلى إن كان من عندك النصرُ

وقول المتنبى [من الطويل] :

لِجنِّيَّةٍ أم غادةٍ رُفِعَ السجفُ   لِوَحشيةٍ ، لا، ما لِوَحشيةٍ شنْفُ

وما أحسن قول أبى بكر الخوارزمى فى شمس المعالى قابوس بن وشمكير[1] ، صاحب جرْجان [من البسيط] :

لم يبقَ فى الأرض من شىء أهابُ له   فلم أهابُ انكسار الجفن ذى السقمِ

أستغفرُ اللهَ من قولى ، غلطتُ ، بلى   أهابُ شمسُ المعالى أمةَ الأممِ

وله فيه أيضاً [من المتقارب] :

إذا ما ظمئتُ إلى ريقهِ   جعلتُ المدامةَ منهُ بديلاً

وأينَ المدامةُ من ريقهِ   ولكن أعللُ قلباً عليلا

وبديع قول السراوندى [من الكامل] :

كالبدر بلْ كالشمس بلْ ككليهما   كالليث بلْ كالغيث هطالٍ الديمْ

وما ألطف قول ابن سناء الملك [من الكامل] :

ومليةٍ بالحسن يسخرُ وجهها   بالبدر يهزأ ريقها بالقرْقَفِ[2]

لا أرتضى بالشمس تشبيهاً لها   والبدرِ بل لا أكتفى بالمكتفى

وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

واللهِ لا كلمتها لو أنها   كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

---

(١) فى المطبوعتين « بن وشكير » محرفا

(٢) القرقف ـ بفتح القافين وسكون الراء بينهما ـ الخمر

شاهد الاستخدام

١٢٢ — إذا نزل السماء بأرض قومٍ رَعيناهُ وإن كانوا غِضابَا

نسب غالب شارحي التلخيص هذا البيت لجرير، وهو من قصيدة [١] من الوافر، أولها:

أقلي اللومَ عاذِلَ والعتابَا وقولي إن أصبتُ لَقد أصابَا

أجدَّك ماتذكر عهدِ نجدٍ وحيًّا طالما انتظروا الايابَا

بلى فارفضَّ دمعُكَ غير نَزْرٍ كما عَيَّنْتَ بالسرَب الطبابَا [٢]

وهاجَ البرق ليلةَ أذرعاتٍ هوى ما تستطيع لهُ طلابا

وهي طويلة، والسماء: الغيث.

ونسبه المفضل فى اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء [٣] وساقه فى قصيدة طويلة أولها:

أجدّ القلبُ من سلمى اجتنابَا وأقصرَ بعد ما شابَتْ وشابَا

---

(١) اقرأ هذه القصيدة فى ديوان جرير (٦٤) والبيت الرابع ورد أيضا مطلع قصيدة له أخرى (ص ٢٢) وروى العينى أبياتا من هذه الكلمة من أولها وليس فيها البيت الرابع، وانظره بهامش الخزانة (١ – ٩٢)

(٢) فى الأصل «كما نميت بالشرب الظنابا» وأثبتنا ما فى الديوان والعينى «عينت» أصله أنهم كانوا يصنعون أوعية الماء من الجلد، فكانوا حين يتمون صنعها أو حين يشترون أحدها يضعون فيه الماء ينظرون هل ينصب منه الماء فهذا هو التعيين، ويقول أحدهم لصاحبه: عين إناءك. والسرْب: السيلان، والطباب جمع طبابة – بكسر الطاء فيهما – قال الأصمعي: هى الجلدة التى يغطي بها الخرز، وهي معترضة على موضع الخرز كالاصبع

(٣) فى الأصل «معوذ» بالذال معجمة وهو تحريف وإنما سمى معاويه معود الحكماء لقوله فى هذه القصيدة:

اعود مثلها الحكماء بعدى إذا ما الحق فى الأشياع نابا

وشابَ لِدَاتهُ وعدلنَ عنهُ   كما أنضيتُ من لُبْسٍ ثيابَا
فإن يكُ نبلها طاشتْ ونبلى   فقد نرمى بها حقبا صيابا[١]
فتصطادُ الرجالَ إذَا رمتهمْ   وأصطادُ المخبأةَ الكعابَا

منها :

وكنتُ إذَا العظيمةأفزعتهمْ   نهضتُ ولا أدبُّ لها دبابَا[٢]
بحمدِ الله ثمَّ عطاء قومٍ   يفكونَ الغنائمَ والرقابَا
إذَا نزلَ السماء بأرضِ قومٍ   رَعيناهُ وإن كانوا غضابا[٣]
بكلِّ مقَلِّصٍ عَبْلٍ شوَاهُ   إذَا وُضعتْ أعنتهنَّ ثابَا[٤]

ويدل على أن هذا البيت من هذه القصيدة أنه لم يوجد فى قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه

والشاهد فيه : الاستخدام، وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدُهما ثم يراد بضميره الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما، ثم يراد بالآخر الآخر، فالأول كما فى البيت هنا، فانه أراد بالسماء الغيث، وبالضمير الراجع إليه من « رعيناه » النبت .

---

(١) طاشت : عالت وعدلت عن الهدف فلم تصبه . والحقب: جمع حقبة وهى البرهةمن الدهر، وصيابا: جمع صائب،وهو الذى يصيب الهدف،وموقع « صيابا » حال من الضمير المجرور فى « بها » أى نرمى بنبالنا حال كونها صائبة أزمنة متطاولة من الدهر

(٢) فى المفضليات « إذا العظيمة أفظعتهم »

(٣) فى المفضليات « إذا نزل السحاب »

(٤) فى الأصل « إذا وضعت أعنتهن سابا » وما أثبتناه موافق لما فى المفضليات . وثاب : رجع إلى جرى جديدلعتقه وفضله

وجرير[١] هو ابن: عطية بن الْخَطَفَى ، وهو لقبه ، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة[٢] بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة ، ينتهى نسبه لنزار ، ويكنى أبا حَزْرَةَ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة ، وهى المرة الواحدة من الحزر

وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً ، ومختلَفٌ فى أيهم المقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط

وكان أبو عمرو يشبه جريرا بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة

وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله [من الكامل] :

ذهب الفرزدقُ بالفخار ، وإنما حُلْوُ الكلام ومرهُ لجرير

ولقد هجا فأمَضَّ أخطلُ تغلبٍ وحوَى اللُّهى بمديحه المشهورِ[٣]

كلُّ الثلاثةِ قد أبرَّ بمدحِهِ وهجاؤُه قد سارَ كلَّ مسيرِ

فهو كما تراه حكم للفرزدق بالفخار ، وللأخطل بالمدح والهجاء ، وبجميع فنون الشعر لجرير .

وقال أبو العلاء بن جرير العنبرى ، وكان شيخا قد جالس الناس : إذا لم يجىء الأخطل سابقا فهو سُكَيْتٌ ، والفرزدق لا يجىء سابقا ولا سكيتا ، وجرير يجىء سابقا ومصليا وسكيتا

وحدث مولى لبنى هاشم قال : امترى أهل المجلس فى جرير والفرزدق أيهما

---

(١) تجد ترجمة جرير فى الأغانى (٧ : ٣٨ – ٧٧) وفى الشعراء لابن قتيبه (٢٨٣)

(٢) فى الأصل «بن سلم» وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) اللهي : العطايا .

أشعر ، فدخلت على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى نادى : يا نوَار ، أدركت برنيتك يا نوار ؟ قالت : قد فعلت أو كادت ، قال : فابعثي بدرهم فاشترى لحما ، ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ، ثم قال : هات برنيتك ، فشرب قدحاً ثم ناولني ، وشرب آخر ثم ناولني ، ثم قال : هات حاجتك يا ابن أخي ، فأخبرته ، فقال : أعن ابن الخطفى تسألني ؟ ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ، ثم قال: قاتله الله فما أحسن ناجيته (١) ، وأشرد قافيته ، والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هرُّوه فوجدوه عند الهراش نابحا ، وعند الجد قادحا ، ولقد قال بيتا لأن أكون قلتُه أحبُّ إلى مما طلعت عليه الشمس ، وهو [من الوافر] :

إذا غضبَتْ عليك بنو تميم لقيت القومَ كلهمُ غضابا(٢)

وقال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدم علينا جرير المدينة ، فحشدنا له ، فبينا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، فجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا: قام آنفا ، ما تريد منه ؟ قال: أخزيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف، فأقبل جرير علينا، وقال : من الرجل؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ، قال : هذا الخبيث بن الطيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت [من الطويل] :

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العينُ قَرَّت

فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفيقر ذلك بعينك ؟ قال: وكان الأحوص يرمى بالأبنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة

---

(١) فى الأغانى « فما أخشن ناحيته » ولعله محرف عما هنا ، وناجيته : مناجاته يريد أن غزله عذب مستحسن

(٢) المحفوظ * رأيت القوم كلهم غضابا *

وكان راعى الإبل الشاعر يقضى للفرزدق على جرير ويفضله ، وكان راعى الإبل قد ضخم أمره ، وكان من أشعر الناس ، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال : هل تعجبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق علىَّ وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم ؟ قال جرير : فضربت رأيى فيه ، ثم خرج جرير ذات يوم يمشى ولم يركب دابة وقال : والله ما يسرنى أن يعلم أحد ، وكان لراعى الإبل والفرزدق وجلسائهما حلقة بالمربد بالبصرة يجلسون فيها ، قال: فخرجت أتعرض إليه لعلى ألقاه على حياله حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوَى محذوف الذنب ، وإنسان يمشى معه يسأله عن بعض النسيب فلما استقبلته قلت : مرحبا بك يا أبا جندل ، وضربت بشمالى على مَعْرفة بغلته ، ثم قلت له: يا أبا جندل ، إن قولك يستمع ، وإنك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحاً ، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم ، وهو ابن عمى دونك، ويكفيك عن ذلك إذ ذكرنا أن تقول: كلاهما شاعر كريم ، ولا تحتمل منى ولا منه لائمة ، قال: فبينا أنا معه وهو كذلك واقفاً على وما ردَّ علىّ بذلك شيئا حتى لحق ابنه جندل فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ، ثم قال: لا أراك واقفا على كلب من كُلَيب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً ، وضرب البغلة ضربة فرمحتنى رمحة وقعت منها قلنسوتى ، فوالله ما عرج على الراعى فيقول سفيه غوى[1] يعنى جندلا ابنه ، ولكن لا والله ما عاج على ، فأخذت قلنسوتى فمسحتها ثم أعدتها على رأسى ثم قلت [من الوافر] :

أجندلُ ما تقولُ بنو نميرٍ إذا ماالأيْرُ فى استِ أبيكِ غابَا

---

(١) فى الأغانى « فوالله لو يعرج على الراعي لقلت سفيه غـوى ، يعنى جندلا ابنه »

فسمعت الراعى قال لابنه : أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة ، قال جرير : ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمره لى، لو كان عاج على، فانصرف جرير غضبان ، حتى إذا صلى العشاء ومنزله فى علية له قال : ارفعوا لى باطية من نبيذ وأسرجوا لى ، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ ، قال : فجعل يهينم ، فسمعت صوته عجوز فى الدار ، فاطلعت فى الدرجة فنظرت إليه فاذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه ، فانحدرت فقالت : ضيفكم مجنون ، رأيت منه كذا وكذا ، فقالوا لها : اذهبى لطيتك فنحن أعلم به وبما يمارس ، فما زال كذلك حتى كان السحر ، ثم إذا هو يكبر ، قد قالها ثمانين بيتا يهجو بنى نمير ، فلما ختمها بقوله :

فغضَّ الطرف إنك من نُمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

كبر ، ثم قال : أخزيته ورب الكعبة ، ثم أصبح حتى علم أن الناس قد أخذوا مجالسهم بالمربد ، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق ، دعا بدهن فادهن وكف رأسه ، وكان حسن الشَّعْر ، ثم قال : يا غلام أسرج لى ، فأسرج له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى إذا كان موقع السلام قال : يا غلام ، ولم يسلم ، قل لعبيد[1] بعثتك نسوتك تكسبهن المال بالعراق ؟ أما والذى نفسى بيده لترجعن إليهن بميرة تسوءهن ولا تسرهن ، ثم اندفع فيها فأنشدها ، فنكس الفرزدق وراعى الإبل ، وأزم القوم ، حتى إذا فرغ منها وسار وثَبَ راعى الابل ساعتئذ فركب بغلته بشر وعر ، وخلا المجلس ، حتى أوفى إلى المنزل الذى ينزله ثم قال لأصحابه: ركابكم ركابكم فليس لكم هنا مُقام ، فضحكم والله جرير ، فقال له بعض القوم : ذاك شؤمك وشؤم ابنك ، قال : فما كان إلا ترحلهم فساروا إلى أهلهم سيراً ما ساره أحد ، وهم بالشريف — وهو أعلى دار بنى نمير — فيحلف بالله راعى الابل إنا وجدنا فى أهلنا :

---

(١) عبيد : هو الراعى ، اسمه عبيد بن حصين النميرى

* فغضّ الطرفَ إنك من نُميرٍ *

وأقسم بالله ما بلغه إنسى قط ، وإن لجرير لأشياعا من الجن ، فتشاءمت به بنو نمير وسَبُّوهوابنَه ، فهم يتشاءمون به إلى الآن

وحدث أبو عبيدة قال : التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير [من الطويل] :

فإنك لاقٍ بالمنازل من مِنىً فَخَاراً فخبرنى بمَنْ أنتَ فاخرُ

فقال له جرير : لبيك اللهم لبيك ، قال : فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويتعجبون منه

وعن العتبى، قال : قال جرير : ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسبت نسيبا فتسمعه العجوز فتبكى على ما فاتها من شبابها ، وإنى لأروى من الرجز أمثال آثار الخيل فى الثرى ، ولولا أنى أخاف أن يستفرغنى لأكثرت منه

وعن أبى عبيدة قال : رأت أم جرير وهى حامل به كأنها ولدت حبلا من شعْر أسود ، فلما خرج منها جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيقتله وفى عنق هذا فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثيرين ، فانتبهت فزعة فأوّلت الرؤيا فقيل لها: تلدين غلاما أسود شاعراً ذا شدة وشر وشكيمة وبلاء على الناس، فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها ، قال : والجرير الحبل

وحدث بلال بن جرير أن رجلا قال لجرير : مَنْ أشعر النــاس ؟ قال : قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيــه عطية وقد أخذ عنزاً له فاعتقلها وجعل يمص ضَرْعَها ، فصاح به : اخرج يا أبت ، فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته ، فقال : أترى هذا ؟ قال : نعم ، قال : أو تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبى ، أفتدرى لم كان يشرب لبن العنز ؟ قلت: لا ، قال : مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ، ثم قال : أشعر الناس

من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعا

وحدث المدائنى قال : كان جرير من أعق النــاس بأبيه ، وكان ابنه بلال أعق الناس به ، فراجع جرير بلالا الـكلام ، فقــال له بلال : الـكاذب منى ومنك ناك أمه ؟ فأقبلت أمه عليه فقالت له : يا عدو الله ، أتقول هذا لأبيك ؟ فقال جرير : دعيه فوالله لـكأنى أسمعها وأنا أقولها لأبى

ونظير ذلك ماحكى عن يونس بن عبد الله الخيــاط أنه مر به رجل وهو يعصر حلق أبيه ، وكان عاقا به ، فقال له : ويحك! أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه من يده ، ثم أقبل على الأب يعزيه ويسكنه ، فقــال له الأب : أخى لا تلمه ، واعلم أنه ابنى حقاً ، والله لقد خنقت أبى فى هــذا الموضع الذى خنقنى فيه ، فانصرف الرجل وهو يضحك ولأبيه يقول [من الرجز] :

ما زال بى ما زال بى طَعْنُ أبى فى النسبِ
حتى تربيتُ وحتى ســاء ظنى بأبِى

ونشأ ليونس ولد يقال له دحيم فـكان أعق النــاس به ، فقال يونس فيه [من المنسرح] :

جلادُ حيمٌ عماية الريبِ والشكُّ منى والظنُّ فى نسبى
ما زال بى الظنُّ والتشكك حتى عقنى مثل ما عققت أبى

وقال يونس بن عبد الله الخيــاط : جئت يوماً إلى أبى وهو جالس وعنده أصحاب له ، فوقفت عليهم لأغيظه وقلت : ألا أنشدكم شعرا قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى ، فأنشدتهم [من البسيط] :

يا سائلى مَن أنا أو مَن يناسبُنى أنا الذى لا له أصلٌ ولا نسبُ
الكلب يختال فَخْراً حين يُبْصرنى والكلب أكرمُ منى حين ينتسب
لوقال لى الناس طرًّا أنت ألأمنا ماوهمَ الناس فى ذاكم ولا كذبوا

قال : فوثب إلى أبى ليضربنى ، وعدوتُ من بين يديه ، فجعل يشتمنى وأصحابه يضحكون

رجع إلى بقية أخبار جرير

حدث أبو العراف قال : قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو فى قصره بجرين البصرة : ائتيانى بلباس أبيكما فى الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة، وشاور جرير دهاة بنى يربوع ، فقالوا له : ما لباس آبائنا إلا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا لعباد بن الحصين يقال له المنحاز ، وأقبل فى أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق فى هيئته ، فقال جرير [من الطويل] :

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليه وشاحا كُرَّجٍ وجلاجلُهْ (١)

أعِدُّ مع الحلى المَلَابَ فانما جرير لكم بعل وأنتم حلائله (٢)

ثم رجعا ، فوقف جرير فى مقبرة بنى حصن ، ووقف الفرزدق فى المربد ونُعِى الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده، فقال [من الكامل] :

مات الفرزدق بعدما جدعتُهُ ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: بئس لعمر الله ما قلت فى ابن عمك! أتهجو ميتا؟ أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب وأشعرها ، فقال : إن رأى الأمير أن يكتمها على فانها سوءة ، ثم قال من وقته البيتين السابقين فى ترجمة الفرزدق فى شواهد المقدمة ، ثم بكى ، وقال : أما والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ، ولقد كان نجمنا واحدا ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه ، فكان كذلك ، مات بعد سنة

---

(١) كرج — بزنة سكر — لعبة كهيئة المهر ، ووقع فى الأصل « كرجى وخلاخله » وأثبتنا ما فى النقائض واللسان (كرج)

(٢) فى النقائض « اعدوا مع الحلى »

قال ابن الجوزى : مات سنة إحدى عشرة ومائة ، وكانت وفاته باليمامة ، وعُمِّرَ نيفا وثمانين سنة ، وقال ابن قتيبة فى المعارف : إن أمه حملت به سبعة أشهر .

* * *

من شواهد الاستخدام

١٢٣ — فَسَقَى الغضَا والساكِنِيهِ وإن هُمُ
شَبُّوهُ بينَ جوانِحٍ وقلوبِ

البيت للبحترى ، وهكذا هو فى ديوانه — وإن كان فى كثير من نسخ التلخيص ، بل وفى كثير من كتب هذا الفن بلفظ (١) « بين جوانحى وضلوعى » — وهو من قصيدة من الكامل أولها (٢)

كم بالكثيب من اعتراض كثيبِ وقوام غصنٍ فى الثياب رطيبِ
تأبى المنازلُ أن تجيبَ ومن جوًى يوم الديارِ دعوتُ غيرَ مُجيب

وبعده البيت ، وهى طويلة

والغضا : شجر معروف ، واحدته غَضَاة ، وأرض غَضْيَانة : كثيرته

والشاهد فيه : الاستخدام أيضاً، فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الغضا وهو المجرور فى الساكنيه المكانَ وهو أرض لبنى كلاب وواد بنجد ، وبالآخر وهو المنصوب فى شبوه النارَ أى أوقدوا فى جوانحى نار الغضا، يعنى نار الهوى التى تشبه نار الغضا، وخص الغضا دون غيره لأن جمره بطىء الانطفاء

وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الغضا فقال ابن أبى حصينة [من الطويل]:

---

(١) وكذلك هو فى خزانة الأدب لابن حجة [٦٦]

(٢) اقرأها فى ديوان البحترى (١ — ٥٧) وبين البيتين اللذين أنشدهما المؤلف من أولها فى الديوان بيتان آخران ، وبعدهما قبل البيت المستشهد به بيتان أيضاً ، ورواية بيت الشاهد فى الديوان « فسقى الغضا والنازليه . . . »

أمثلة من استخدام الشعراء لفظ الغضا

أما والذى حجَّ الملبُّون بيتهُ فمِنْ ساجدٍ لله فيه وراكعِ
لقد جرَّعتنى كأسَ بينٍ مريرةً من البُعدِ سلمى بين تلك الأجارع
وحلَّتْ بأكنافِ الغضا فكأنما حشَتْ ناره بين الحشى والأضالع

وقالَ ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

إنْ الغضا لستُ أنسى أهلَهُ فهُمُ شبُّوهُ بين ضلوعى يومَ بينهمِ
جرَى العقيقُ بقلبى بعدَما رحَلوا ولو جرَى من دموعِ العين لم ألُمِ

وقال ابن قلاقس الاسكندرى [من الكامل] :

حلَتْ مطاياهم بمُلتَفِّ الغضا فكأنما شبُّوهُ فى الأكبادِ

و بديع قول البدر بن لؤلؤ الذهبى [من الكامل] :

أحمامةَ الوادى بشَرقىِّ الغضا إن كنتِ مسعِدةَ الكئيب فرجِّعِى
ولقد تقاسمنا الغضا فغصُونُهُ فى راحتَيكِ وجمرُهُ فى أضلعى

ولمؤلفه من قصيدة [من الطويل] :

وحقِّكِ إنى للرِّياح لحاسدٌ فنى كلِّ حين بالأحبةِ تخطُرُ
تمرُّ الصِّبا عفواً على ساكنى الغضا وفى أضلعى نيرانهُ تتسعَّرُ
فتذكِرُنى عهدَ العقيق وأدمُعى تُساقطهُ والشىء بالشىء يذكَرُ
ويورثُ عينى السفحَ حتى ترى به معالم بالأحباب تزهو وتزهرُ

أمثلة من بديع الاستخدام

ومن الاستخدام البديع قول المعرى يرثى فقيها حنفياً [من الخفيف]

وفقيهٌ ألفاظُهُ شِذْنَ للنُّعمان ما لم يَشِدْهُ شعرُ زيادِ

وقوله أيضاً يصف درعا [من الخفيف] :

نثرةٌ من ضمانها للقنا الخطى عند اللقاء نثر الكعوب
مثلُ وشىِ الوليدِ لانَتْ و إن كانت من الصُّنع مثلَ وشى حبيب

تلك ماذية وما لذبابِ السيفِ والصيفِ عندها من نَصيبِ

فاستخدم لفظ « الذباب » فى معنييه : الأول طرف السيف ، والثانى الطائر المعروف .

ولابن جابر الأندلسى فيه [من البسيط] :

فى القلب من حبكُمْ بَدْرٌ أقام به   فالطَّرْفُ يزدادُ نوراً حينَ يُبْصِرُهُ

تَشَابه العقد حُسْناً فوقَ لَبتهِ   والثَّغْرُ منه إذا ما لاحَ جوْهَرُهُ

ومن ظريف الاستخدام قول السراج الوراق [من السريع] :

دع الهوَينى وانتَصبْ واكتَسِبْ   واكدَحْ فنَفسُ المرء كدَّاحهْ

وكن عن الراحةِ فى مَعْزِلِ   فالصفْعُ موجود مع الراحهْ

استخدم الراحة فى معنييها : الأول من الاستراحة ، والثانى من اليد

وبديع قول الصفى الحلى [من الطويل] :

لئن لم أُبرقع بالحيا وجهَ عفتى   فلا أشْبَهَتْهُ راحتى فى التكرمِ

ولا كنت ممن يكسِر الجفن فى الوغى   إذا أنا لم أغضه عن رأى محرم

ومن الاستخداماتِ البديعة قول ابن نباتة المصرى [1] يمدح النبى صلى الله عليه وسلم [من الطويل]:

إذا لم تفض عَيْنى العقيقَ فلا رأت   مَنازله بالقُرْبِ تبْهى وتبهرُ

وإن لم توَاصلْ عادَةَ السفح مُقلتى   فلا عادها عيشٌ بمغناهُ أخضرُ

ومنها :

سَقى الله أكنافَ الغضا سائلَ الحيا   وإن كنتُ أُسْقى أدمعا تتَحَدَّرُ

---

(١) روى ثمانية الأبيات ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب (٦٨) . وروى معها عشرة أبيات أخرى

وعيشاً نضى عنهُ لزمان بيـاضهُ وخلّفهُ فى الرأس يزهُو ويزهَرُ
تغيرَ ذلك اللونُ مَعْ من أحبُّهُ ومن ذا الذى يا عزَّ لايتغـيرُ(١)
وكان الصبا ليلاً وكنتُ كحالم فيا أسفي والشيب كالصُّبحِ يُسفِرُ
يُطلنى تحتَ العمامةِ كتمهُ فيمتدُّ قلبى حسرةً حين أحسِرُ
وتنكرنى ليْلَى وماخلتُ أنه إذا وضع المرء العمامة ينكرُ(٢)

ومن الاستخدام أيضاً قول العلامة عمر بن الوردى رحمه الله تعالى [من مجزوء الوافر]:

وَرُبَّ غزالةٍ طلعتْ بِقلبى وَهْوَ مَرعاهَا
نَصبتُ لهَا شِباكاً مِنْ لُجَينٍ ثمَّ صِدْناها
وقالتْ لِى وقدْ صِرْنا إلى عينٍ قصَدْناها
بذلْتَ العينَ فاكْحلها بطلْعتِهـا ومجْراهـا

ومنه قول ابن مليك رحمه الله تعالى [من الطويل] :

فَـكمْ ردَّ مِنْ عَيْنٍ وجادَ بِمثلها ولولاهُ ماضاءتْ ولمْ تكُ تَعذُبُ

---

(١) فى الأصـل « تغير ذلك اللون » ولا يستقيم به وزن البيت ، وما أثبتناه موافق لمـا فى الديوان والخزانة ؛ وعجز هـذا البيت من كلام كثير عزة ، والبيت بتمامه فى كلام كثير :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها ومن ذا الذى يا عز لا يتغير

(٢) يشير بهذا البيت إلى قول سحيم بن وثيل الرياحى :

أنا ابن جلا وطلاعُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

وقد تمثل به الحجاج فى خطبته التى خطبها مقدمه الكوفة والياً عليها من قبل عبد الملك بن مروان .

وقوله من قصيدة أخرى نبوية [من الكامل] :

كَمْ رَدَّ مِنْ عَيْنٍ وجادَ بِمائِهِ كَمْ ضاءتْ به وسقى بها من صَدِي

ومنه قول الرشيد الفارقى [من مجزوء الرمل] :

إنَّ فى عينيكِ معْنًى حدَّثَ النَّرْجِسُ عنهُ

ليتَ لِى منْ غُصنهِ سَهماً فنى قلبىَ منهُ

وقد أخذه الشهاب محمود ولم يحسن الأخذ فقال [من الرمل] :

نازَعتْ عيناهُ قلبي حبَّهُ لم تكُنْ تقبلُ قَبْلَ الإنقِسَاما[1]

يالقوْمِى هلْ عَلمتُم قبلها أنَّ للأعينِ فى القلبِ سِهَاما

* * *

شاهد اللف والنشر

١٢٤ — كيْفَ أسلُو وَأنْتِ حِقْفٌ وَغُصْنٌ

وغَزَالٌ لَحْظاً وَقَدّاً وَرِدْفَا

البيت من الخفيف ، وهو منسوب [2] لابن حيوس ، ولم أره فى ديوانه ، ولعله ابن حيوس الإشبيلى .

والحِقْف — بكسر الحاء — الرمل العظيم المستدير .

والشاهد فيه : اللف والنشر ، وهو : ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر مالكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين ، ثقة بأن السامع يرد مالكل من آحاد المتعدد إلى ما هو له ، ثم الذى على سبيل التفصيل ضربان ؛ لأن النشر إما على ترتيب اللف ، و إما على غير ترتيبه كما فى البيت هنا ، وهو ظاهر .

ومما جاء على الترتيب قول ابن الرومى [من الكامل] :

---

(١) فى الأصل « لم تك تقبل قبل الانقساما » ولا يستقيم به الوزن ، وقد قطع همزة الوصل فى « الانقسام » للضرورة

(٢) رواه ابن حجة فى خزانة الأدب (٨٤) غير منسوب لأحد .

من أمثلة اللف والنشر

آراؤُكمْ وَوُجوهُكمْ وَسيُوفُكمْ ... فى الحادِثاتِ إذَا دَجوْنَ نُجومُ
فِيها مَعالِمُ لِلهدَى وَمصابحٌ ... تجلو الدُّجَى والأُخرَياتُ رجومُ

وقول بعضهم [من البسيط] :

ألستَ أنتَ الَّذِى مِنْ وِرْدِ نعمتهِ ... وَوِرْدِ رَاحتهِ أجنى وأغترِفُ

وَما أبدع قول ابن شرف القيروانى [من البسيط] :

جاوِرْ عَليًّا ولاَ تحفِلْ بحادثةٍ ... إذَا ادَّرعتَ فلاَ تَسأَلْ عنِ الأسَلِ
سلْ عنهُ وانْطقْ بهِ وانظرْ إليهِ تجدْ ... مِلءَ المَسَامِعِ والأفوَاهِ والمُقلِ

وقد أخذه تاج الدين الذهبى فقال [من الكامل] :

بدْرٌ سمَا للمُجتلى ، ثمرٌ نَمَا ... للمُجتنى ، بَحْرٌ طَما للمُجتدِى
سلْ عنهُ وادْنُ إليهِ واستمسِكْ تجدْ ... مِلءَ المسَامِعِ والنَّواظرِ واليدِ

وَما أزهر قول البهاء زهير [من الطويل] :

ولى فيهِ قلبٌ بالغرَامِ مقيدٌ ... لهُ خبَرٌ يرويه طرفىَ مطلقَا
ومنْ فرط وجدى فى لمَاهُ وثغرهِ ... أعلِّلُ قلبى بالعُذَيْبِ وبالنَّقَا

وما أحلى قول ابن نباتة المصرى مع زيادة التورية [من الخفيف] :

لا تخَفْ عَيْلَةً ولا تخشَ فقراً ... يا كثيرَ المحاسن المختالهْ
لكَ عينٌ وقامةٌ فى البرايا ... تلكَ غزَّالةٌ وذى عسَّالهْ

وقوله أيضا [من السريع] :

سألتهُ عن قومهِ فانْثنى ... يعجبُ من إسرافِ دَمعى السخي
وأبصرَ المسكَ وبدرَ الدُّجى ... فقالَ ذَا خالى وهذا أخى

وبديع قول ابن مكنسة [من الرجز] :

والسكرُ فى وجنتهِ وطرفهِ ... يفتحُ وَرْداً ويغضُّ نرجسَا

وقد جاء اللف والنشر بين ثلاثة ، فأكثر ، فمنه قول ابن حيوس [من الكامل] :

ومُقَرْطقٍ يغْنَى النديمُ بوجههِ عن كأسهِ الملأى وعن إبريقهِ
فعلُ المدام ولونها ومذاقها من مقلتيهِ وَوَجنتيهِ وريقهِ

وقول حمدة الأندلسية [من الطويل] :

ولمّا أبى الوَاشون إلاّ فرَاقنَا وما لهُمُ عندى وعندكَ من ثارِ
وشنّوا على أسماعنا كلّ غارَةٍ وقلّ حُماتى عند ذاكَ وأنصارى
غزَوْتهمُ من مقلتيكَ وأدمُعى ومن نَفَسى بالسيفِ والسيلِ والنارِ

وقول ابن نباتة ، وأجاد إلى الغاية [من البسيط] :

عرّجْ علَى حرم المحبوب منتصباً لقبلة الحسنِ واعذرنى على السهرِ
وانظرِ إلى الخال فوقَ الثغرِ دُونَ لمَى تجد بلالاً يُراعى الصبحَ فى السحر

وبَديعٌ قول بعضهم [من المجتث] :

وَرْدٌ وَمسكٌ وَدُرٌّ خدٌّ وخالٌ وثغرُ
لحظٌ وجفنٌ وغنجٌ سيفٌ ونبلٌ وسحرُ
غصنٌ وَبدرٌ وليلٌ قدٌّ وَوَجهٌ وشعْرُ

ومنه بين أربعة ، وأربعة قول الشاعر [من البسيط] :

ثغرٌ وخدٌّ ونهدٌ واحمرَارُ يدٍ كالطلع والوَرد والرّمان والبلَحِ[1]

ومثاله قول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من الطويل] :

رَأى جسدى والدّمعَ والقلبَ والحشى فأضنَى وأفنَى واستمالَ وَتيّما

---

(١) كتب مصحح نسخة خزانة الأدب (ص ٨٣) على هذا البيت ما نصه : « قوله : والبلح ، فى نسخ والوهج ، وحرر الروى » اهـ .

ولأبي جعفر الأندلسي الغرناطي بين خمسة وخمسة [من الكامل] :

مَلِكٌ يَجيءُ بخمسة من خمسةٍ لَقِيَ الحسودَ بها فمَاتَ لما بهِ
مِنْ وَجهِهِ وَوَقارِهِ وجوادِهِ وَحسامه بيديهِ يومَ ضِرابهِ
قمرٌ على رضوى تسيرُ بهِ الصبا وَالبرقُ يلمعُ من خلال سحابهِ

ولابن جابر الأندلسي بين ستةٍ وستةٍ [من الكامل] :

إن شئتَ ظبياً أو هلالاً أو دُجى أو زهرَ غصن في الكثيب الأملدِ
فللحظِهَا ولِوَجهِهَا ولشَعْرِهَا وَلخدِّها والقدّ والرِّدفِ اقصدِ

ولنجم الدين البارزي بين سبعة وسبعة [من الطويل] :

يقطِّعُ بالسكين بطيخةً ضحًى على طبقٍ في مجلسٍ لأصاحبِهْ
كبدرٍ ببرقٍ قدَّ شمساً أهِلَّةً لدى هالةٍ في الأفقِ بينَ كواكبِهْ(١)

وسبقه إلى ذلك ابن قلاقس ، فقال [من المتقارب] :

أتانا الغلامُ ببطيخةٍ وسكينةٍ أحكموها صقالاَ
فقسّمَ بالبرقِ شمسَ الضحى وأعطى لكلّ هلالٍ هلالاَ

ومثله قول محاسن الشواء ، وأجاد [من الخفيف] :

وغلام يحزُّ بطيخةً في اللون مثلي وفي المذاقة مثلَهْ
لأناسٍ غُرٍّ على طبقٍ في مجلسٍ مشرقٍ يشابهُ أهلَهْ
قدّ بدرٌ شمساً بأفقٍ شهدتُ الليلَ في هالة ببرقٍ أهلَّهْ

وقول الآخر [من الطويل] :

---

(١) في مطبوعة بولاق : « كبدر ببرق قد شق شمساً أهلة »
وظاهر أن أحد اللفظين « قد » و « شق » زائد ، وهذا على أن كلا منهما فعل من مضعف الثلاثي ، وسببه : أن في أحد أصولها قد ، وفي آخر شق ، فجمعوا بينهما خطأ ، فإن كان « قد » حرفاً فهو الزائد بعينه ، ووقع في خزانة الأدب (٨٣) كما أثبتناه .

ولما بدا ما بيننا منية النفس يحزّ بالسكين صفراء كالوَرْسِ
توهّمتُ بدرالتّمّ قدّ أهلّةً على أنجم بالبرق من كرَةِ الشمس

وقول الآخر [من الكامل] :

خلناه لما حزّز البطيخ فى أطباقه بصقيلةِ الصفحاتِ(١)
بدراً يقدُّ من الشموس أهلّةً بالبرْقِ بين الشّهْبِ فى الهالاتِ

وقول البديع الدمشقى ، فى غلام يقطع بطيخا بسكين ، نصابها أسود [من الكامل] :

انظرْ بمينكَ جوهراً متلألئاً سحراً لفرط بيانه وجماله
قمرٌ يقدُّ من الشموس أهلّةً بظلام مجْزَته وفجرِ وصاله

والسابق إلى فتح هذا الباب العسكرى حيث يقول [من الوافر] :

وجامعةٍ لأصناف المعانى صلحنَ لوقت إكثارٍ وَقلّهْ
فمن أُدمٍ وريحانٍ ونُقْلٍ فلم يُرَ مثلُها سَدّاً لخلّهْ
فمنها ما تشبّههُ بدوراً فإن قَطّعتها رجعت أهلّهْ

ولابن مقاتل بين ثمانية وثمانية [من الطويل] :

خدودٌ وأصداغٌ وقدٌّ ومقلةٌ وثغرٌ وأرياقٌ ولحنٌ ومعربُ
ورُودٌ وسوسانٌ وبانٌ ونرجسٌ وكأسٌ وجرْيالٌ وجَنْكٌ ومُطرِبُ

وللصفى الحلى [من الطويل] :

وظبىٍ بقفرٍ فوقَ طِرْفٍ مُفوّقٌ بقوسٍ رَمى فى النقع وحشًا بأسهمِ
كبدرٍ بأفقٍ فوْقَ برْقٍ بكفه هلالٌ رمى فى الليل جنّاً بأنجم

ولبعضهم بين عشرة وعشرة [من البسيط] :

شَعْرٌ جَبِينٌ محيًا معطفٌ كَفَلٌ صدغٌ فمٌ وجناتٌ ناظرٌ ثغرُ

(١) الصقيلة : المصقولة ، وأراد بصقيلة الصفحات السكين

ليلٌ صباحٌ هلالٌ بانةٌ ونقًا آسٌ أقاحٍ شقيقٌ نرجسٌ دُرُّ

ولابن جابر بين اثنى عشر واثنى عشر [من الطويل] :

فروعٌ سنًا قدٌّ كلامٌ فمٌ لَمًى حُلًى عُنُقٌ ثغرٌ شَذًا مقلةٌ خَدُّ

دُجًى قمرٌ غصنٌ جَنًى خاتم طلاً نجومٌ رشًا دُرٌّ صبًا نرجسٌ وردُ(١)

وجُلُّ القصد هنا : أن يكون اللف والنشر فى بيت واحد ، خاليا من الحشو وعقادة التركيب ، جامعا بين سهولة اللفظ والمعانى المخترعة .

ترجمة حيوس

وابن حيُّوس (٢) بحاء مهملة وياء تحتية مشددة مضمومة وواو ساكنة بعدها سين مهملة — هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس ، الملقب بمصطفى الدولة ، الشاعر المشهور ، وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين وفحولهم المجيدين ، وله ديوان شعر كبير ، لقى جماعة من الملوك والأكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم ، وكان منقطعا إلى بنى مرداس أصحاب حلب ، وله فيهم القصائد الفائقة ، وقصته (٣) مع الأمير جلال الدولة وصمصامها نصر بن محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس مشهورة ؛ فانه كان قد مدح أباه محموداً ، فأجازه ألف دينار ، فلما مات وقام مقامه ولده نصرٌ المذكور قصده ابن حيوس المذكور بقصيدة رائية يمدحه بها و يعزيه عن أبيه ، أولها [من الطويل] :

كفَى الدينَ عِزًّا ما قضاهُ لكَ الدهرُ فمن كان ذا نذرٍ فقد وجب النذرُ

---

(١) روى كثيرا من هذه الشواهد ابن حجة ، فى خزانة الأدب (٨١ — ٨٤) .

(٢) لابن حيوس ترجمة فى ابن خلكان (٢ — ٣٧٧) هى التى أخذها المؤلف هنا .

(٣) فى الأصول « وقضيته » وما أثبتناه موافق لما فى ابن خلكان .

منها :

صبرنا على حكم الزمان الذى سطا ... على أنهُ لولاكَ لم يكنِ الصبرُ

غزَانا ببؤسى لا يماثلها الأسى ... تقارنُ نعمى لايقومُ بها الشكرُ(١)

تَباعدتُ عنكم حرفةً لازهادةً ... وسرتُ إليكم حين مَسَّنِيَ الضرُّ

فلاقيتُ ظلَّ الأمن ماعنهُ حاجزٌ ... يصدُّ ، و باب العز مادونهُ سترُ

وطَالَ مُقامى فى إسارِ جميلكم ... فَدامت معاليكم ودام لىَ الأسْرُ

وأنجزَ لى ربُّ السموات وعدهُ الـــكريمَ بأنَّ العسر يتبعهُ اليسرُ

فجاد أبو نصر بألفٍ تصرّمتْ ... و إنى عليمٌ أن سيُخْلِفها نصرُ

لقدْ كنتَ مأمولاً تُرجى لمثلها ... فكيف وطوعاً أمرك النهىُ وَالأمرُ(٢)

ومابى إلى الإلحاح والحرص حاجةٌ ... وقد عرف المبتاعُ وانفصل السعرُ

و إنى بآمالى لديكم مخيمٌ ... وكم فى الورى ثاو وآمالهُ سَفْرُ

وعهدكَ ما أبغى بقولى تصنعًا ... بأيسرِ ماتوليهِ يُسْتَعْبَدُ الحرُّ(٣)

فلما فرغ من إنشادها قال الأمــير نصر : والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها لأضعفتها له ، وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة .

وكان اجتمع على باب الأمير نصر جماعة من الشعراء وامتدحوه ، وتأخرت صلته عنهم ، ونزل بعــد ذلك الأمير نصر إلى دار بولص النصرانى ، وكانت له عادة بغشيان منزله ، وعقد مجلس الأنس عنده ، فأتت الشعراء الذين تأخرت

---

(١) فى الأصل : « تقارب نعمى » محرفا عما أثبتناه موافقاً لمــا فى ابن خلــكان .

(٢) فى الأصل : « لقــد كنت مأموراً ترجى لمثلها » وأثبتنا مافى ابن خلــكان ، وهو الذى يقتضيه المعنى .

(٣) فى ابن خلــكان « وعندك ما أبغى » ولما هنا وجه لابأس به ، وهو أن تنزل الواو فى قوله « وعهدك » على أنها واو القسم .

جوائزهم إلى باب بولص، وفيهم ابن الدويدة المعرى الشاعر المعروف، فكتبوا ثلاثة أبيات اتفقوا على نظمها — وقيل: بل نظمها ابن الدويدة المعرى المذكور — وصيروا الورقة إليه وفيها الأبيات، وهى [من الطويل] :

عَلى بابِكَ المَحْرُوسِ مِنّا عِصَابَةٌ ... مَفالِيسُ فانظُرْ فى أُمورِ المَفَالِيس

وَقدْ قَنعتْ مِنكَ الجَمَاعَةُ كُلُّها ... بِعُشْرِ الّذِى أعطَيْتَهُ لابنِ حَيُّوس

وما بَيْنَنَا هٰذَا التَفَاوُتُ كُلُّهُ ... وَلٰكِنْ سَعيدٌ لا يُقاسُ بِمنحوس

فلما وقف عليها الأمير نصر أطلق لهم مائة دينار، وقال : والله لو قالوا « بمثل الذى أعطينه لابن حيوس » لأعطيتهم مثله

وكان الأمير نصر سخياً واسع العطاء، تملك حلب بعد وفاة أبيه محمود سنة سبع وستين وأربعمائة، ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه ثانى شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة

وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بنى مرداس فبنى داراً بمدينة [حلب] وكتب على بابها من شعره [من السريع] :

دارٌ بَنيْنَاها وعِشْنا بِها ... فى نِعمةٍ مِنْ آلِ مِرْداس

قَومٌ نَفَوْا بُؤْسى ولم يتركوا ... عَلىّ للأيام مِنْ باسِ

قُلْ لِبنى الدُّنيا ألا هكَذَا ... فَليفْعلِ الناسُ مَعَ الناسِ[1]

وقيل : إن الأبيات لابن أبى حصينة[2] الحلبى، وهو الصحيح

وحكى الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق قال : أنشدنا أبو القاسم على بن

---

(١) فى ابن خلكان : * فليصنع الناس مع الناس *

(٢) ابن أبى حصينة : هو الأمير الجليل أبو الفتح، الحسن بن عبد الله ابن عبد الجبار الحلبى، قاله ابن خلكان .

إبراهيم العلوىّ من حفظه سنة سبع وخمسمائة ، قال : أخذ الأمير[(١)] أبو الفتيان ابن حيوس بيدى وقال : ارْوِ عنّى هذا البيت ، وهو فى شرف الدولة مسلم ابن قريش [من الكامل] :

أنتَ الذِى نفقَ الثناءُ بِسُوقِهِ ... وَجرَى النَّدَى بِعرُوقِهِ قَبْلَ الدم

وهذا البيت فى غاية المدح

ومن غرر قصائده السائرة قوله :

هُو ذاكَ رَبعُ العَامرية فارْبَعِ ... واسألْ مَصيفاً عافياً عَنْ مَرْبعِ[(٢)]

وَاستَسْقِ لِلدِّمَن الخَوالى بالحمى ... غُرَّ السَّحَائبِ واعتَذِرْ عن أدمعى

فلَقد غدوتُ أمامَ دانٍ هاجرٍ ... فى قُرْبه ووَرَاء نَاءٍ مُزْمعِ[(٣)]

لَوْ تَخبرُ الرُّكبانُ عنِّى حدَّثُوا ... عَنْ مُقلةٍ عَبْرَى وقَلبٍ مُوجَعِ

رُدِّى لنا زَمنَ الكَثيبِ فإنهُ ... زَمنٌ متى يَرْجع وصالُك يَرْجعِ

لوْ كُنتِ عَالِمةً بأدْنى لَوْعتى ... لرَدَدْتِ أقصَى نيلكِ المُسْتَرْجَعِ

بَل لوْ قَنِعتِ منَ الغرَام بمُظْهرٍ ... عَنْ مُضمرٍ بينَ الحَشى والأضلُعِ

أعتَبْتِ إثْرَ تعتُّبٍ وَوصلْتِ غِبَّ تجنُّبٍ وبذلْتِ بَعْدَ تمنُّعِ

ولو أننى أنْصفْتُ نفسى صُنتُها ... عَنْ أن أكُونَ كَطَالبٍ لم يَنْجَعِ

إنِّى دعَوْتُ نَدَى الغرامِ فلَمْ يُجبْ ... فلأشْكُرَنَّ نَدَى أجاب ومادُعى[(٤)]

---

(١) كان ابن حيوس يدعى بالأمير ، لأن أباه كان من أمراء المغرب ، قاله ابن خلكان

(٢) فى ابن خلكان « هو ذاك ربع المالكية » .

(٣) فى ابن خلكان « فلقد فنين أمام دان هاجر » وضمير الاناث فى قوله « فنين » على هذه الرواية يعود إلى المدامع .

(٤) فى ابن خلكان « إنى دعوت ندى الكرام » وهذا البيت ليس متصلا بما قبله فيه .

ومنَ العَجائبِ والعجائبُ جمّة   شكرُ بطيءٌ عنْ ندًى مُتسرّعِ

ومن شعره يمدح سابق بن محمود [من البسيط] :

يزدادُ إنْ قصُرَ الخَطِّيُّ عنْ غرَضٍ   طُولاً، ويمضي إذا حدُّ الحُسام نبا[1]

حلَّ السِّماكَ وما حُلّتْ تمائمُهُ   عنْ جيدِهِ وحَبا العافينَ مُنذُ حَبا

حوَى منَ الفَضْلِ مولوداً بلا طَلَبٍ   أضعافَ ما أعجزَ الطُّلَّابَ مُكتَسبا

طلْقُ المحيّا إذا ما زُرْتَ مجْلِسهُ   حُزْتَ الغنى والعُلا والبأسَ والأدبا

ومحاسنه كثيرة

وكان أحمد بن محمد الخياط الشاعر قد وصل إلى حلب سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وبها يومئذ ابن حيُّوس المذكور فكتب إليه ابن الخياط يقول [من الكامل] :

لم يبقَ عندِي ما يُباعُ بدرْهَمٍ   وكفَاكَ منِّي مَنظَرِي عنْ مَخبَرِي

إلاّ بَقيَّةُ ماءِ وَجهٍ صُنْتُها   عنْ أن تُباعَ وأينَ أينَ المُشتري

فقال : لو قال « ونعم أنت المشترى » لكان أحسن

وكان مولد ابن حيُّوس سنة أربع وتسعين وثلثمائة بدمشق ، وتوفى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

وابن حبوس[2] الاشبيلي ذكره ابن فضل الله فقال : لا يخف له ضرع خاطر

(١) المراد أنه إذا كان بينه وبين العدو مسافة لا يصلها الرمح فانه يخطو إلى العدو ليطعنه ؛ وقد أخذ هذا من قول الشاعر :

* نصل السيوف إذا قصرن بخطونا *

(٢) قال ابن خلكان فى نهاية ترجمته لابن حيوس الدمشقي الحلبي ، السابق ذكره مانصه : « وفى شعراء المغاربة ابن حبوس مثل الأول ، لكن بالباء الموحدة المخففة ، وإنما ذكرته ، لئلا يتصحف على كثير من الناس بابن حيوس ، ورأيت خلقا كثيراً يتوهمون أن المغربى يقال له ابن حيوس أيضا ؛ وهو غلط ، والصواب ما ذكرته ، والله تعالى أعلم » اه .

ولايجف له نزره سحاب ماطر، لو مسّ بقر يحته الصلد لتفجر، أو الجهام لانعنجر، وحسبك من مرمى غرضه البعيد، ماذكره له ابن سعيد، وأورد له فى المرقص قوله فى أشتر العين لاتفارقه الدمعة [من الكامل] :

شتِرت فقلنا زورقٌ فى لُجّةٍ ❊ مالت بإحدى دفّتيه الرِّيحُ

فكأنما إنسانُها ملاّحُها ❊ قد خافَ مِنْ غرقٍ فظلّ يصيح

* * *

١٢٥ — إنّ الشبابَ والفراغَ والجِدَهْ ❊ مَفْسَدَةٌ لِلمرْءِ أىُّ مَفْسَدَهْ

شاهد الجمع

البيت لأبى العتاهية، من أرجوزته المزدوجة التى سماها (ذات الأمثال) يقال: إن له فيها أربعة آلاف مثل، فمنها :

حسبُكَ مما تبتغيهِ القُوتُ ❊ ما أكثَرَ القُوتَ لِمنْ يموتُ

الفقرُ فيما جاوزَ الكَفافا ❊ مَنِ اتّقى اللهَ رَجا وَخافا

هىَ المَقاديرُ فلُمنى أو فذرْ ❊ إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَر

لِكلّ ما يؤذى وإن قلّ ألم ❊ ماأطوَل الليلَ على مَنْ لم ينم

ما انتفَعَ المرء بمثْل عقلهِ ❊ وخيرُ ذُخرِ المرءِ حُسنُ فعلهِ

إن الفَساد ضدُّهُ الصلاحُ ❊ وربّ جدٍّ جرّهُ المُزاحُ

مَنْ جعلَ النمّامَ عيناً هلكا ❊ مُبلغُكَ الشرّ كباغيهِ لَكا

وبعده البيت، وبعده :

يُغنيكَ عنْ كُلّ قبيحٍ ترْكُهُ ❊ يرتهن الرأىَ الأصيلَ شكّهُ

ما عيشُ مَنْ آفتهُ بقاؤُهُ ❊ نغّصَ عيشاً كلَّهُ فناؤُهُ

يارُبّ من أسخطنا بجهْدِهِ ❊ قد سرّنا الله بغيرِ حَمْدِهِ

ما تطلعُ الشمْسُ ولا تغيبُ إلا لأمرٍ شأنهُ عَجيبُ
لِكلٍّ شيء قدرٌ وجوهرُ وأوسط وأصغر وأكبرُ
فكلُّ شيء لاحقٌ بجوهرِهْ أصغرُهُ متّصلٌ بأكبرِهْ
من لكَ بالمحْضِ وكلٌّ مُمتزجْ وساوسٌ فى الصدْر منك تختلج
ما زالتِ الدُّنيا لنا دارَ أذى مَمزُوجةَ الصفوِ بأنواع القَذَى
الخيْرُ والشرُّ بها أزواجُ لذَا نتاجٌ ولِذَا نِتاجُ
مَنْ لكَ بالمحْضِ وليس مَحْضُ يخبُثُ بعضٌ وَيطيبُ بعضُ
لِكُلِّ إنسانٍ طبيعتَانِ خيْرٌ وشَرٌّ وهُما ضِدَّانِ
والخيرُ والشرُّ إذا ماعُدّا بَينهُما بَوْنٌ بعيدٌ جدًّا
إنّكَ لو تَستنشقُ الشحيحا وَجدتَهُ أنتنَ شَىء ريحا
عجِبْتُ حتى ضمَّنى السُّكوتُ صِرْتُ كأنّى حائرٌ مَبهُوتُ
كذَا قضى اللهُ فكَيْفَ أصنعُ والصمتُ إنْ ضاقَ الكلامُ أوسعُ

وهى طويلة جدا ، وهذا الأنموذج كاف منها

والجدة : الاستغناء ، والمفسدة : الخلة الداعية إلى الفساد

والشاهد فيه : الجمع ، وهو الجمع بين متعدد فى حكم ، وهو ظاهر فى البيت ،

من أمثلة الجمع

وما أحسن قول الصفى الحلى فيه [من البسيط] :

أرَاؤُهُ وَعَطاياهُ ونِعمتُهُ وعفوُهُ رحمَةٌ للنَّاس كلِّهم

ومنه قول ابن حجة مع تسمية النوع [من البسيط] :

آدابهُ وعَطاياه ورأفَتهُ سجيّةٌ ضمن جَمْعٍ فيه مُلتئم

وقول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

قد أحْرَز السَّبْقَ والاحسانَ فى نَسَقٍ والعِلم والحِلم قَبلَ الدَّرك لِلحُلم

ترجمة أبى العتاهية

وأبو العتاهية[١] هو : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان،[٢] مولى عَنَزَة وكنيته أبو إسحاق ، وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لأنه كان يحب الشهرة والمجون فكنى لعتوه[٣] بذلك ، وقيل : إن المهدى قال له يوما : أنت إنسان متعته متحذلق ، فاستوت له من ذلك كنية ، ويقال للرجل المتحذلق عتاهية ، وفيه يقول أبو قابوس النصرانى وقد بلغه أنه فضل عليه العتابى [من الكامل] :

قُلْ لِلْمُكَنِّى نَفْسَهُ ... مُتخيراً بِعتاهِيَهْ

والمُرْسِلِ الكلمِ القَبيح وعنهُ أذنٌ وَاعيهْ

إن كنتَ سِرًّا سؤتنى ... أو كانَ ذاكَ عَلاَنيهْ

فعليكَ لعنَةُ ذى الجلا ... ل وأُمُّ زيدٍ زانيهْ

وأم زيد هى أم أبى العتاهية[٤] ومنشأه بالكوفة ، وكان فى أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين ، ثم كان يبيع الفخار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم ، ويقال : أطبع الناس بالشعر بَشَّار والسيد الحميرى وأبو العتاهية ، وماقدر

---

(١) لأبى العتاهية ترجمة فى الأغانى (٣ : ١٢٦ — ١٨٣) وهو لم يذكر فيها أخباره مع عتبة — وهى من أعظم أخباره — لأنها كما قال طويلة وقد طالت أخباره ، فأحب أن يفرد أخباره معها . وقد ذكر بعض أخباره فى (١٤ : ٥٦ — ٥٩) ولم يذكر أخباره مع عتبة بعد إخباره أنه أفردها ؛ ولأبى العتاهية ترجمة فى ابن خلكان (١ : ١٢٥ — ١٣٠) .

(٢) عنزة بن أسد بن ربيعة ، قاله ابن خلكان ؛ وضبط عنزة بفتح العين المهملة والنون وبعدها زاى .

(٣) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذه العبارة ما نصه « لا يخفى أن العتو غير العته ، فليس ما قاله صحيحا » اه .

(٤) أمه هى : أم زيد بنت زياد المحاربي ، مولى بنى زهرة ، قاله صاحب الأغانى.

أحد قضى جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرته ، وكان غزير البحر ، كثير المعانى لطيفها ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك ، وأكثر شعره فى الزهد والأمثال ، وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث والنشور ، ويحتجون بأن شعره إنما هو فى ذكر الموت والفناء دون النشور والمعاد

وحدث الخليل بن أسد النوشجانى قال : أتانا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعم الناس أنى زنديق ، والله مادينى إلا التوحيد ، فقلنا له : قل شيئاً نتحدث به عنك ، فقال [من المتقارب] :

ألا إننَّا كلنا بائدُ وأىُّ بنى آدمٍ خالدُ

وبدؤهُمُ كان من ربِّهم وكلٌّ إلى ربِّهِ عائدُ

فيا عجبا كيف يُعصى الالهُ أم كيف يجحدُه الجاحد

وفى كلِّ شىء له آيةٌ تدُلُّ على أنهُ واحدُ

وكان من أبخل الناس مع يساره وكثرة ماجمعه من الأموال

وحدث محمد بن عيسى الخرقى قال : وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حواليه ، فسأله دونهم ، فقال له : صنع الله لك ، فأعاد السؤال، فرد عليه، فأعاد الثالثة، فغضب، وقال له: ألست الذى يقول [من المديد]:

كلُّ حىٍّ عند ميتتهِ حظُّهُ من مالهِ الكفنُ

قال: نعم، قال: فبالله عليك أتريد أن تعد مالك كله لثمن كفنك؟ قال: لا ، قال: فبالله كم قدرت لكفنك؟ قال: خمسة دنانير ، قال: فاعمل على أن ديناراً من الخمسة وضيعته قيراطا وادفع إلى قيراطا واحدا، وإلا فواحدة أخرى، قال: وماهى؟ قال : القبور تحفر بثلاث دراهم ، فأعطنى درهما وأقيم لك كفيلا بأن أحفر لك به

فبرك متى مت وتربح درهمين لم يكونا فى حسابك ، فإن لم أحضر رددته على ورثتك أو رده كفيلى عليهم ، فخجل أبو العتاهية وقال : اغرب لعنك الله وغضب عليك وضحك جميع من حضر ، ومر السائل يضحك ، فالتفت إلينا أبو العتاهية وقد اغتاظ فقال : من أجل هذا وأمثاله حرّمت الصدقة ، فقلنا له : ومن حرمها ومتى حرمت ؟ فما رأيت أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده

وقال : قلت لأبى العتاهية : أتزكى مالك ؟ فقال : والله ما أنفق على عيالى إلا من زكاة مالى ، فقلت له : سبحان الله ! إنما ينبغى لك أن تخرج زكاة مالك للفقراء والمساكين ، فقال لى : لو انقطعت عن عيالى زكاة مالى لم يكن فى الأرض أفقر منهم

وحدث أيضاً قال : كنت جاراً لأبى العتاهية ، وكان له جار يلتقط النوى ضعيف سيء الحال متجمل عليه ثياب ، فكان يمر بأبى العتاهية طرَفَى النهار فيقول أبو العتاهية : اللهم أعنه على ما هو بسبيله ، شيخ ضعيف سيء الحال عليه ثياب متجمل ، اللهم اصنع له ، اللهم بارك فيه ، فبقى على هذا إلى أن مات الشيخ نحوا من عشرين سنة ، لا والله إن تصدق عليه بدرهمين ولا دانق قط ، وما كان زاده على الدعاء شيئاً ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، إنى أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير معيل ، فلم لا تتصدق عليه بشيء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصدقة وهى آخر مكاسب العبد ، وإن فى الدعاء خيرا كثيرا

وقال الجاحظ : حدثنى ثمامة بن أشرس قال : دخلت يوما على أبى العتاهية فإذا هو يأكل خبزاً بلا شيء ، فقلت له كالمنكر : كأنك رأيته يأكل خبزاً وحده ، فقال : لا ولكنى رأيته يتأدّم بلا شيء ، فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال : رأيت قدامه خبزاً يابساً من دقاق فطير وقدحا فيه حليب ، فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها فى اللبن ويخرجها فلم تتعلق منه بقليل ولا كثير ، فقلت له : كأنك اشتهيت أن تتأدم بلا شيء ، وما رأيت أحداً قبله تأدم بلا شيء .

وقال ثمامة أنشدنى أبو العتاهية [من الطويل] :

إذا المَرْءُ لم يُعتِق من المَال نفسَهُ تملَّكَهُ المالُ الَّذى هُوَ مالكُهْ
ألا إنما مالى الذى أنا مُنفِقٌ ولَيسَ لىَ المَالُ الَّذى أنا تاركُهْ
إذا كُنتَ ذامال فبادر به الَّذى يحقُّ ولا استَهْلكته مَهالكُهْ

فقلت له : من أين قضيت بهذا ؟ قال : من قوله صلى الله عليه وسلم « إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت » فقلت : أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الحق ؟ قال : نعم ، قلت : فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة فى دارك لا تأكل منها ولا تشرب ، ولا تزكى ، ولا تقدمها ذخراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ قال : يا أبا معن ، والله إن ما قلت لحقّ ، ولكنى أخاف الفقر و الحاجة إلى الناس . قلت : وما يزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحزن لا تأكل ولا تشرب منها دائم الجمع شحيح على نفسك ، لا تشترى اللحم إلا من عيد إلى عيد ؟ فترك جواب كلامى كله ، ثم قال لى : والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسه دراهم ، فلما قال لى هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومعاتبته ، وأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام .

وقيل له : مالك تبخل بما رزقك الله تعالى ؟ فقال : والله ما بخلت بما رزقنى الله قط ، قيل له : فكيف ذاك وفى بيتك من المال مالا يحصى ؟ ! قال : ليس ذلك رزقى ، وَلو كان رزقى لأنفقته .

وحدّث أبو العتاهية قال : أخرجنى المهدى معه إلى الصيد ، فوقعنا منه على شىء كثير ، وتفرق أصحابه فى طلبه ، وأخذ هو فى طريق آخر غير طريقهم ، فلم يلتقوا ، وعَرَض لنا وادٍ جرّار عظيم ، وتغيمت السماء ، و بدأت بمطر ، فتحيرنا ، وأشرفنا على الوادى ، و إذا فيه ملاح يعبر الناس ، فلجأنا إليه وسألناه

عن الطريق ، فجعل يضعف رأينا و يعجزنا فى بذل أنفسنا فى ذلك الغيم والمطر للصيد حتى أبعـدنا ، ثم أدخلنا كوخاً له ، وكاد المهدى يموت برداً ، فقال له : أغطيك بجبتى هذه الصوف؟ فقال: نعم ، فغطاه بها، فتماسك قليلا ونام، وافتقده غلمانه، وتبعوا أثره حتى جاؤونا ، فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان ، فنَحَوْا الجبة عنه ، وألقوا عليه الخزّ والوشى ، فلما انتبه قال لى: ويحك ! ما فعل الملاح ؟ فو الله لقد وجب حـقه علينا ، فقلت: والله هرب خوفا مما خاطبنا به . قال : إنا لله و إنا إليـه راجعون ، والله لقـد أردت أن أغنيه ، و بأى شىء خاطبنا؟ نحن والله مستحقون لأضعاف ما خاطبنا به ، بحياتى عليك إلاما هجوتنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تطيب نفسى بأن أهجوك؟ قال : والله لتفعلن فاننى ضعيف الرأى مغرم بالصيد ، فقلت [من السريع] :

يالابِسَ الوَشْى على ثَوبِهِ ما أقبَحَ الأشيب بالراح

فقال: زدنى بحياتى عليك ، فقلت:

لو شئتَ أيضا جُلْتَ فى خامةٍ وفى وِشَاحَيْنِ وأوضـاحِ

فقال: ويلك ! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا أستأهل ، زدنى شيئا آخر ، فقلت: أخاف أن تغضب ، فقال: لا والله ، فقلت :

كم من عظيم القَدْرِ فى نَفْسِهِ قد نامَ فى جُبَّةِ مَلاَّحِ

فقال: معنى سوء عليك لعنة الله ، وقمنا فركبنا وانصرفنا .

وعن الحسن بن عابد قال : كان أبو العتاهية يحج فى كل سنة ، فاذا قدم أهدى للمأمون برداً قطريا ونعلا سوداء ومساويك أراكٍ ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم ، فأهـدى له مرة كما كان يهـدى كل سنة إذا قدم ، فلم يثبه ولا بعث إليه بالوظيفة ، فـكتب إليه أبو العتاهية يقول [من الرمل] :

خبرونى أنَّ مِنْ ضَرْبِ السنهْ جدداً بيضاً وصُفراً حسنهْ

أحدثتْ لكنّى لم أرها مثلَ ما كنتُ أرى كلّ سنه

قال: فأمر المأمون بحمل العشرين ألفا إليه ، وقال: أغفلناه حتى أذكرنا .

وحدث أبو عكرمة قال : كان الرشيد إذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة ، يتمثل بقول أبى العتاهية [من السريع] :

أختُ بنى شيبانَ مرّتْ بنا ممشوطة كوراً على بغلِ

وهذا البيت من أبيات لأبى العتاهية يهجو بها عبد الله المذكور ، و بعده :

تُكْنَى أباالفضلِ ومَنْ ذا رأى جاريةً تكنى أبا الفضلِ

قد نقطت فى وجهها نقطةً مخافةَ العين من الكحل

إن زرتموها قالَ حُجابها نحنُ عن الزُّوّار فى شُغُلِ

مولاتُنا مشغولة عندَها بعلٌ ولا إذنَ على البعلِ

يا بنتَ معنِ الخيرِ لا تجهلى وأينَ تقصيرٌ عن الجهلِ(١)

أتجلدُ الناسَ وأنتَ امرؤٌ تُجلَدُ فى دُبرِكَ والقبلِ

ما ينبغى للناسِ أن ينسبُوا من كانَ ذا جودٍ إلى البخلِ

يبذلُ ما يمنعُ أهلُ الندَى هذا لعمرى مُنْتَهى البذلِ

ما قلتُ هذا فيكَ إلا وقدْ جفَّتْ بهِ الأقلامُ من قبلى

قال : فبعث إليه عبد الله بن مَعْنٍ ، فأتى به ، فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة ، ففعلوا ذلك ، ثم أجلسه ، وقال له : قد جزيتك على قولك ، فهل لك بعد هذا فى الصلح ومعه مركب وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب وما ترى ؟ قال : بل الصلح ، قال : فأسمعنى ما تقوله فى معنى الصلح فقال [من الرمل] :

---

(١) فى الأغانى « وأين إقصار عن الجهل » وهو أظهر

ما لعذالى ومالى أمرونى بالضلال
عذلونى فى اغتفارى لابن معن واحتمالى
إن يكن ما كان منه فبجرمى وفعالى
أنا منه كنت أسوا عشرة فى كل حال(١)
قل لمن يعجب من حسن رجوعى ومقالى(٢)
رب ود بعد صد وهوى بعد تقال
قد رأينا ذا كثيراً جارياً بين الرجال
إنما كانت يمينى لطمت منى شمالى

وكان أبو العتاهية فى حداثته يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحة لها حسن ودماثة، [يقال لها سعدى](٣) وكان ممن يهواها أيضا عبد الله بن معن، وكانت مولاة لهم، وكانت صاحبة حبائب، وكان أبو العتاهية مولعاً بالنساء، فقال فيها [من الطويل]:

ألا ياذوات السحق فى الغرب والشرق أفقن فان النيك أشهى من السحق
أفقن فان الخبز بالأدم يشتهى وليس يسوغ الخبز بالخبز فى الحلق
أراكن ترقعن الخروق بمثلها وأى لبيب يرقع الخرق بالخرق
وهل يصلح المهراس إلا بعوده إذا احتيج منه ذات يوم إلى الدق

وقال فيها أيضا [من الخفيف]:

قلت للقلب إذ طوى وصل سعدى لهواه البعيدة الأسباب

---

(١) فى الأصل «كنت أسوا * عبرة»، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى
(٢) فى الأصل «ما لمن يعجب» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى
(٣) وقعت هذه الجملة فى الأصل بعد قوله «وكانت مولاة لهم»، وأثبتناها فى مكانها عن الأغانى

أنتَ مثلُ الذى يفرُّ من القَطرِ حِذَارَ الندى إلى الميزابِ

فغضب ابن معن لسعدى، فضرب أبا العتاهية مائة، فقال فيه [من مجزوء الخفيف]:

جَلَدَتْنِي بكفها بنتُ معن بنِ زائده
جلدتنى بكفها بأبى تلك جالده (١)
وتراها مع الخصيِّ على البـــاب قاعده
تتكنَّى كُنى الرجا ل لعمدٍ مُكايده
جَلَدَتْنِي وبالغتْ مائة غير واحـده
اجلدينى اجلدى اجلدى إنما أنتِ والده

وقال فى ضربه إياه أيضا [من الخفيف] :

ضربتنى بكفها بنتُ معنٍ أوجعت كفها وما أوجعتنى
ولعمرى لولا أذى كفها إذ ضربتنى بالسوط ما تركتْنى

وحدث أحمد بن أبى قتن قال : كنا عند ابن الأعرابى فذكر قول يحيى بن نوفل فى عبد الملك بن عمير القاضى، وهو [من الطويل] :

إذا كلمتهُ ذاتُ دَلٍّ لحاجةٍ فهمَّ بأن يقضى تنحنح أوسَعَلْ (٢)

وأن عبد الملك بن عمير قال : تركنى والله و إن السُّعْلة لتعرض لى فى الخلاء فأذكر قوله [فأهاب أن أسعل] (٣) قال : فقلت: هذا ابن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية (٤) [من الهزج] :

---

(١) فى الأغانى « جلدتنى فأوجعت » ولا يتناسب مع المعنى الذى يريده، ولا مع البيتين الذين بعد هذه الأبيات

(٢) وقع فى الأصول (إذا كلمته ذات دار لحاجة) محرفا عما أثبتناه ، وفى الأغانى « إذا ذات دل كلمته لحاجة »

(٣) زيادة يتم بها المعنى ، وهى ثابتة فى الأغانى

(٤) البيتان من أبيات يقولها أبو العتاهية فى عبد الله بن معن بن زائدة، وانظرها فى الأغانى (٤ ـ ٢٤ دار الكتب)

فصُغْ ما كنت حَلَّيْتَ ... به سيفكَ خلخالا
فما تصنعُ بالسيفِ ... إذا لم تك قتّالا

فقال عبد الله : ما لبست السيف قط فلحنى إنسان إلا قلت يحفظ شعر أبى العتاهية فىّ فينظر إلىّ بسببه ، فقال ابن الأعرابى : اعجبوا لهذا العبد يهجو مولاه ، وكان أبو العتاهية من موالى بنى شيبان

وحدث المداينى قال : اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق فى بيت ابن أُذَيْن ، وجاء أبو العتاهية ـ وكان بينه وبين أبى الشمقمق شر ـ فخبأه من أبى العتاهية فى بيت ، ودخل أبو العتاهية ، فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث ، فظنته جارية فقال لابن أُذَيْن : متى استظرفت هذه الجارية ؟ قال : قريبـا يا أبا إسحاق ، فقل فيها ما حضر ، فمد أبو العتاهية يده إليه وقال [من السريع] :

مددتُ كَفّى نحوكم سائلا ... ماذا تردُّون على السائلِ

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من داخل البيت بهذا البيت

نردُّ فى كفك ذا فَيْشَةٍ ... يشفى جَوَى فى استك من داخل

فقال أبو العتاهية : [أبو] الشمقمق والله ، وقام مغضبا

وقال أبو العتاهية: حبسنى الرشيد[1] لما تركت قول الشعر ، فأدخلت السجن وأغلق الباب علىّ ، فدهشت كما يدهش مثلى لتلك الحال ، فاذا أنا برجل جالس فى جانب الحبس مقيد ، فجعلت أنظر إليه ساعة ، ثم تمثل وقال [من الطويل] :

تعوَّدْتُ مَسَّ الضر حتى أَلِفْتُهُ ... وأسلمنى حسنُ العزاء إلى الصبر
وصيرنى يأسى من النّاسِ راجياً ... لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى[2]

فقلت له : أعد أعزك الله هذين البيتين ، فقال لى : ويلك يا أبا العتاهية ! ما أسوأ أدبك وأقل عقلك! دخلت علىّ الحبسَ فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ،

(١) فى ابن خلكان « أمر المهدى بحبسى » وفى بقية القصة ذكر الرشيد.
(٢) فى الأصل « يأسى من الله » وهو فاسد ، وأثبتنا ما فى الأغانى

ولا سألت مسألة الحر للحر ، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى ، حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذى لا فضل فيك غيره لم تصبر عن استعادتهما، ولم تقدم قبل مسألتهما عذرا لنفسك فى طلبهما ، قلت : يا أخى، إنى دهشت لهذا الحال فلا تعذلنى واعذرنى متفضلا بذلك ، قال : والله أنا أولى بالدهش والحيرة منك، لأنك حبست فى أن تقول الشعر الذى به ارتفعت و بلغت ما بلغت، فاذا قلت أمنت، وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ، ووالله لا أدل عليه أبداً والساعة يدعى بى فأقتل ، فأينــا أحق بالدهش ؟ قلت: أنت والله أولى سلمك الله وكفاك ، ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك، قال : لا نبخل عليك إذن ، ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما ، فسألته من هو(١) قال : أنا حاضر (٢) داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد ، ولم نلبث أن سمعت صوت الأقفال . فقام فسكب عليه ماء كان عنــده فى جرة ولبس ثوبا نظيفا ودخل الحرس والجند معهم الشمع . فأخرجنا جميعا ، وقدم قبلى إلى الرشيد، فسأله عن أحمد بن عيسى، قال: لا تسألنى عنه واصنع ما أنت صانع فلو أنه تحت ثوبى هذا ما كشفت عنه . فأمر بضرب عنقه فضربت ، ثم قال لى : أظنك ارتعت يا إسمعيل ؟ فقلت : دون مارأيته تسيل منه النفوس . فقال : رُدُّوه إلى محبسه . فرُددت . وانتحلت البيتين وزدت فيهما [من الطويل]

إذا أنا لم أقبلْ من الدهر كل ما   تَكَرَّهْتُ منه طال عَتْبى على الدهر

وكان أبو العتاهية مشتهراً بحب عُتْبَةَ جارية المهدى ، وأكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله وكتب به إلى المهدى يعرض بها [من البسيط] :

---

(١) فى ابن خلكان « من أنت » وفى الأغانى مثل ما هنا، وكلاهما صحيح

(٢) فى الأغانى « أنا خاص داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد » وفى ابن خلكان مثل ما هنا .

نفسى بشىء من الدنيا مُعلّقةٌ   والله والقائم المهدىُّ يكفيها
إنى لأيْأس منها ثم يُطْمعنى   فيها احتقارُك للدنيا وما فيها

فهم المهدى بدفع عتبة إليه ، فخرجت وقالت : يا أمير المؤمنين مع حرمتى وخدمتى أفتدفعنى إلى قبيح المنظر بائع جرارٍ ومكتسب بالعشق ؟ فأعفاها ، وكان قد كتب البيتين على حواشى ثوب مطيب ووضعه فى برنية ضخمة ، فقال المهدى: ملأوا له البرنية مالاً . فقال للكتاب : أمرلى بدنانير ، قالوا : ماندفع إليك ذلك ، ولكن إن شئت أعطيناك الدراهم إلى أن يفصح بما أراد ، فاختلف فى ذلك حولا ، فقالت عتبة : لو كان عاشقاً كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير ، وقد أضرب عن ذكرى صفحاً

وجلس أبو العتاهية يوماً يعذل أبا نواس ويلومه على استماع الغناء ومجالسته لأصحابه ، فقال أبو نواس [من مجزوء الرمل]

أترانى يا عتاهى   تاركاً تلك الملاهى
أترانى مفسداً بالنُّسْكِ عند القوم جاهى

فوثب أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك ! وجعل أبو نواس يضحك

وحدث مخارق قال : جاءنى أبو العتاهية يوما فقال لى : قد عزمت على أن أتزود منك يوما تهبه لى ، فمتى تنشط لذلك؟ فقلت : متى شئت ، قال : إنى أخاف أن تقطع بى ، فقلت : لا والله ولو طلبنى الخليفة ، فقال : يكون ذلك فى غد ، فقلت : أفعل ، فلما كان من الغد باكرنى رسوله ، فجئته فأدخلنى بيتا له نظيفا فيه فرش نظيف ، ثم دعا بمائدة وعليها خبز سميذ وخل وبقل وملح وجدى مشوى ، قال : فأكلنا منها حتى اكتفينا ، ثم دعا بسمك مشوى فأصبنا منه أيضا ، ثم دعا بفراخ ودجاج وفراريج مشوية فأكلنا منها حتى اكتفينا ، ثم أتونا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ، ثم جاءونا بفاكهة وريحان وألوان من الأنبذة فقال

لى : اختر ما يصلح لك ، فاخترت وشربت وصب قدحا ثم قال : غَنِّ لى قولى [من الخفيف]

أحدٌ قال لى ولم يَدْرِ مابى أتحبُّ الفتاة عُتْبَةَ حقّاً

فغنيته ، فشرب أقداحاً ، وهو يبكى أحر بكاء ، ثم قال : غننى فى قولى [من السريع] :

ليسَ لمن ليستْ لهُ حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصبرِ

فغنيته ، وهو ينتحب ويبكى ، ثم قال : غننى ، فديتكَ فى قولى [من الطويل] :

خليلىَّ مالى لا تزالُ مضرتى تكونُ معَ الأقدارِ حَتْماً من الحتمِ

فغنيته إياه ، وما زال يقترح على كل صوت غُنِّىَ به فى شعره ، ويقول: غننى به ، فأغنيه وَيشرب ويبكى ، ثم صارت العتمة ، فقال لى : أحب أن تصبر حتى ترى ما أصنع، فجلست ، فأمر ابنه وغلامه، فكسرا كل ما كان بين أيدينا من النبيذ وآلات الملاهى ، ثم أمر بإخراج كل ما كان فى بيته من النبيذ وآلاته فما زال يكسره ويصب النبيذ ، وهو يبكى ، حتى لم يبق من ذلك شىء ، ثم نزع ثيابه واغتسل ولبس ثياب بياض من الصوف ، ثم عانقنى وبكىَ ، وقال : عليك السلام يا حبيبي وفرحى من الناس كلهم ، سلام الفراق الذى لا لقاء بعده، وجعل يبكى ويقول : هذا آخر عهدك بى فى حال تعاشر أهل الدنيا ، فظننت أنها بعض حماقاته ، فانصرفت فما لقيته زماناً ، ثم تشوقته ، فأتيته فاستأذنت عليه ، فأذن لى فدخلت ، فاذا هو قد أخذ قوصرتين وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص ، وثقب أخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل ، فلما رأيته نسيت ما كان عندى من الغم عليه والوحشة لعشرته وضحكت والله ضحكا ما ضحكت مثله قط ، فقال لى : من أى شىء تضحك ؟

لا ضحكت ! فقلت : أسخن الله عينيك ! أى شىء هو ؟ مَنْ بلغك عنه أنه فعل مثل هذا من الأنبياء ، أو الزُّهاد ، أو الصحابة ، أو التابعين ، أو المجانين ؟ انزع عنك هذا يا سخين العين ، فكأنه استحيا منى ، ثم بلغنى عنه أنه جلس حجاماً ، فجهدت أن أراه بتلك الحالة ، فلم أره ، ثم مرض فبلغنى أنه اشتهى أن أغنيه ، فأتيته عائداً ، فخرج إلى رسوله يقول : إن دخلت جَدَّدْتَ لى حزناً وتاقت نفسى إلى سماعك وإلى ما قد غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدى به .

وقيل لأبى العتاهية عند الموت : ما تشتهى ؟ فقال : أشتهى أن يجىء مخارق فيضع فمه على أذنى ثم يغنينى [من الطويل] :

ستعرضُ عن ودى وتنسى مودتى ... ويحدثُ بعدى للخليل خليلُ

إذا ما انقضت عنى من الدهر مدتى ... فإنَّ غناء الباكيات قليلُ

وحدث محمد بن أبى العتاهية قال : آخر شعر قاله أبى فى مرضه الذى مات فيه [من الوافر] :

إلهى لا تعذبنى فإنى ... مقرٌّ بالذى قد كانَ منى

فما لىَ حيلةٌ إلا رجائى ... لعفوكَ إن عفوت وحُسْنَ ظنى

وكم مِنْ زَلَّةٍ لى فى الخطايا ... وأنت علىَّ ذو فضل ومَنٍّ

إذا فكرتُ فى ندمى عليها ... عضضتُ أناملى وقرعتُ سنى

أجنُّ بزهرة الدنيا جنوناً ... وأقطعُ طولَ عمرى بالتمنى

ولو أنى صدقتُ الزهدَ عنها ... قلبتُ لأهلها ظهرَ المجنِّ

يظنُّ الناسُ بى خيراً وإنى ... لَشَرُّ الناس إن لم تعف عنى

ومحاسنه كثيرة .

وكان الأصمعى يستحسن قوله [من مجزوء الرمل] :

أنتَ ما استغنيتَ عن صا حبِكَ الدهرَ أخوهُ
فإذا احتجتَ إليه ساعةً مجَّكَ فوهُ

وحدّث ابن الأنبارى أبو بكر ، قال : أرسلَتْ زُبَيْدةُ أم الأمين إلى أبى العتاهية أن يقول على لسانها أبياتا بعد قتل الأمين يستعطف بها المأمون. فأرسل إليها هذه الأبيات [من الطويل] :

ألا إنّ صرف الدهر يُدْنِى ويُبْعِدُ ويُمْتِعُ بالألاف طوراً ويفقدُ
أصابت بريبِ الدهرِ منى يدى يدى فسلمتُ للأقدار وَاللهَ أحمدُ
وقلتُ لريبِ الدّهرِ: إنْ هلكَتْ يدٌ فقد بقيتْ والحمدُ لله لى يدُ
إذَا بقى المأمونُ لى فالرّشيدُ لى ولى جعفرٌ لم يفتقد ومحمدُ

قال : فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها ، فقيل له : أبو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعطف على زبيدة ، وزاد فى تكرمتها ، وقضى حوائجها جميعاً .

وحدث عمر بن أبى شيبة قال : مرّ عابدٌ براهب فى صومعة ، فقال له : عِظْنِى ، قال : أعظك وعليكم نزل القرآن ، ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم ؟ قلت : نعم ، قال : فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبى العتاهية حيث يقول [من الطويل] :

تجرّد من الدُّنيا فإنَّكَ إنما وقعْتَ إلى الدنيا وأنتَ مجرّدُ

ومن شعر أبى العتاهية قوله [من الكامل] :

بادر إلى اللذّات يوماً أمكنت بحلولهنّ بوادر الآفاتِ[1]
كم من مُؤَخِّرِ لذةٍ قد أمكنتْ لغدٍ وليس غدٌ له بِمُوَاتِ
حتى إذا فاتت وفاتَ طلابها ذَهبت عليها نفسهُ حسرَاتِ

(١) فى الديوان (٤٩) « بادر إلى الغايات يوما أمكنت » وليس بشىء

تأتى المكارهُ حين تأتى جملةً　　وأرى السُّرور يجىء فى الفَلَتَاتِ

ومنه قول بعضهم [من الخفيف] :

أىُّ شىء يكونُ أعجبَ أمراً　　إن تنكرتَ من صُرُوف الزمانِ

عارضاتُ السُّرُور توزنُ فيهِ　　والبلايَا تُكالُ بالقُفْزَانِ

ومن شعره أيضا قوله [من الكامل] :

وإذا انقضى همُّ امرىء فقد انقضى　　إنّ الهمومَ أشدُّهنّ الأحدثُ

ويومئ إلى هذا المعنى قوله أيضا ، وهو عجيب فى معناه [من الخفيف] :

إنما أنتَ طولَ عمركَ ما عمرتَ فى الساعة التى أنتَ فيها

ومن هذا قول من قال [من الرمل] :

وكما تبلَى وُجوهٌ فى الثرَى　　فكذا يبلَى عليهنَّ الحَزَنْ

ومن شعره أيضا قوله [من البسيط] :

كأنّ عائبكم يُبْدِى محاسنكمْ　　منكم فيمدحكمْ عندى فيغرينى

إنى لأعجبُ من حبَ يقرّبنى　　ممّا يباعدنى عنهُ ويقصِينى

ومثل الأول قول عروة بن أذينة [من السريع] :

كأنما عائبها جاهداً　　زَيَّنَهَا عندى بتزيينِ

وكذا قول أبى نُوَاس [من السريع] :

كأنهم أثنَوْا ولم يعلمُوا　　عليكَ عندى بالذى عابُوا

وقال أبو العتاهية لابنته رقية فى علته التى مات فيها : قومى يا بنية ، فارثى أباك واندبيه بهذه الأبيات ، فقامت ، فندبته بقوله [من الكامل] :

لَعبَ البلاَ بمعالمى ورسومى　　وقُبِرْتُ حياً تحتَ رَدمِ همومى

لزمَ البلاَ جسمى فأوهى قوّتى　　إنّ البلاَ لموكَّلٌ بلزومى

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة ، ووفاته في يوم الاثنين ، لثمانٍ من جمادى الأولى ، وقيل : لثلاث من جمادى الآخرة ، سنة إحدى عشرة ومائتين، وقيل: سنة ثلاث عشرة ، ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد ، وأمَرَ أن يكتب على قبره [من الخفيف] :

إنَّ عيشاً يكونُ آخرُهُ المو ... تَ لَعيشٌ معجَّلُ التنغيصِ

وقيل : أوصى أن يكتب عليه [من مجزوء الخفيف] :

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعي ... واسمعي ثم عِي وَعِي

أنا رهنٌ بمضجعي ... فاحذروا مثل مَصْرَعي

عشت تسعين حِجَّةً ... اسلمتْني لمضجعي

كم ترى الحي ثابتاً ... في ديار التزعزُعِ

ليس زادٌ سوى التقى ... فخذي منه أو دَعي

ولما مات رثاه ابنه محمد فقال [من مجزوء الخفيف] :

يا أبي ضَمَّكَ الثرى ... وطوى الموتُ أجمعَكْ

ليتني متُّ يوم صرْ ... تَ إلى حفرة معك

رحم الله مصرعك ... بَرَّدَ الله مضجعك

***

التفريق

١٢٦ — ما نوالُ الغمام وَقْتَ رَبيعٍ ... كنوالِ الأميرِ يوم سخاءِ
فنوالُ الأميرِ بدْرَةُ عَيْنٍ ... ونوالُ الغمام قَطْرَةُ ماءِ

البيتان لرشيد الدين الوَطْوَاط الشاعر، من الخفيف

والنوال : العطاء، والبدرة : كيس فيه ألف دينار ، أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار ، والعين هنا: المال

والشاهد فيهما : التفريق، وهو: إيقاع تباين بين أمرين من نوع فى المدح أو فى غيره ، فمن ذلك قول بعضهم [من الوافر] :

من أمثلة التفريق

حسبْتُ جمالَهُ بدراً منيراً وأين البدر من ذاك الجمال

وقول الآخر [من مخلع البسيط] :

قاسوك بالغصن فى التَّثَنِّى قياسَ جهلٍ بلا انتصاف

هناك غصن الخلاف يُدْعَى وأنت غصن بلا خلاف

وما أحسن قول الموصلى مع تسمية النوع [من البسيط] :

قالوا هو البحر والتفريق بينهما إذ ذاك غَمٌّ وهـذا فارق الغُمَمِ

وقد تلاعب الشعراء بمعنى البيتين المستشهد بهما ، فالوأواء الدمشقى [من المنسرح] :

مَنْ قاس جَدْوَاكَ بالغمام فما أنصف فى الحكم بين شكلين

أنت إذا جُدْتَ ضاحك أبداً وهو إذا جاد باكى العين

ولبعضهم فيه أيضا وأجاد جداً [من المجتث] :

من قاس جَدْوَاكَ يوماً بالسُّحْب أخطأ مدحك

السحبُ تعطى وتبكى وأنت تعطى وتضحك

ولأبى الفتح البُسْتِى وأجاد [من الكامل] :

يا سيد الأمراء يا مَنْ جُودُه أوْفَى على الغيث الْمَطِيرِ إذا هَمَى

الغيثُ يعطى باكيا متجهِّماً ونراك تعطى ناضراً متبسما

ومثله لأبى منصور البوشنجى [من الوافر] :

وذلكَ ضاحكٌ أبداً بجُودٍ وَجودك ليس يمطرُ غيرَ باكى

وقول الأديب يعقوب النيسابورى ، فى الأمير أبى الفضل الميكالى ، [من الطويل] :

رأيتُ عُبيدَ الله يضحكُ معطياً ويبكى أخوهُ الغيثُ عندعطائهِ
وكمْ بين ضَحَّاكٍ يجُودُ بمالهِ وآخرَ بكَّاءٍ يجودُ بمائهِ

ولشرفِ الدينِ السنجارى فى معناه [من الكامل] :

ماقستُ بالغيثِ العطايا منكَ إذ يبكى وتضحكُ أنت إذ تُولى النَّدَا
وإذا أفاض على البرية جودَهُ ماءٌ تفيضُ لنا يمينك عسجداً

وما أبدع قول البديع الهمذانى ، مع زيادة المعنى ، والمبالغة فى الغلوّ [من البسيط] :

يكادُ يحكيكَ صوبُ الغيثِ منسكباً لو كان طَلْقَ المحيَّا يمطرُ الذهبَا
والدهرُ لولم يخنْ والشمسُ لونطقتْ والليثُ لولم يُصَدْ والبحرُ لوعَذُبَا

وقول ابن بابك يمدح نظام الملك [من الطويل] :

يقولونَ إنَّ المزن يحكيك صوبهُ مجاملةً ها قد شهدت وَغابَا
وكم عزمةٍ عمَّ البريةَ بؤسها فهل ناب فيها عن نداك مَنابَا
همَتْ ذهبا فيها يَداك عليهم وضنت يداه أن ترشَّ ذهابَا

وقول ابن اللبانة فى المعتمد على الله بن عباد [من الطويل] :

سألتُ أخاهُ البحر عنهُ فقال لِى شقيقىَ إلا أنه الباردُ العذبُ
لنا دِيمَتَا ماء ومال ، فديمتى تَمَاسَكُ أحياناً وديمتُه سَكْبُ
إذا نشأت بَرِّية فلهُ النـدَى وإن نشأت بحرية فلى السحبُ

وينظر إلى معانى ما مر ولم يكن بعيدا منها قول بعضهم [من الخفيف] :

يا عيونَ السماء دمعُكِ يفنى عن قَريب وما لدمعى فناء
أنا أبكى طوعاً وتبكين كرهاً ودموعى دِماً ودمعك ماء

ولم أقف على ترجمة الوطواط [1] الشاعر ، لكن رأيت ابن فضل الله ذكره في المسالك في معرض تراجم فأثبت ما رأيته ، قال في ترجمة الشمس بن دانيال إنه كان بينه وبين الوطواط ما يكون بين الأدباء ، و يدب بين الأحباء ، فعرضت للوطواط رمدة تكدر بها صفيحه ، وتشكى له فيها صريحه ، فقيل له : لو طلبت ابن دانيال ، فقال : ذاك لا يسمح بذرة ، يعني من كحله . فبلغ ابن دانيال فقال في ذلك [من الطويل] :

ولم أقطع الوطواط بُخْلاً بِكَحْلِهِ ... ولا أنا من يعييه يوماً تردد

ولكنه ينبو عن الشمس طرفه ... فكيف به لى قدرة وهو أرمد

وقال في ترجمة شافع بن على بن عباس الكاتب ، ومن قوله في الوطواط الشاعر [من الخفيف] :

كم على درهم يلوح حراماً ... يالئيم الطباع سرًّا تواطى

دائما في الظلام تمشى مع النا ... س ، وهذى عوائد الوطواط

وقوله فيه [من السريع] :

قالوا نرى الوطواط في شدة ... من تعب الكد ومن ويل

فقلت هذا دأبه دائما ... يسعى من الليل إلى الليل

ثم إنى رأيت المرحوم الجلال السيوطى ذكره في طبقات النحاة ، فقال : محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

---

(١) اقرأ خبرا عن الرشيد الوطواط في معجم الأدباء لياقوت (١ - ١٠٣ مصر) واقرأ له ترجمة في المعجم أيضا (١٩ : ٢٩-٣٦) وعنها نقل السيوطى ما ذكره المؤلف عنه فيما بعد

المعروف بالرشيد الوطواط[١] قال ياقوت : كان من نوادر الزمان وعجائبه ، وأفراد الدهر وغرائبه ، أفضل أهل زمانه فى النظم والنثر ، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب ، وأسرار النحو والأدب ، طار فى الآفاق صيته، وسار فى الأقاليم ذكره ، وكان ينشىء فى حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر و بيتا بالفارسية من آخر ، و يمليهما معا ، وله من التصانيف «حدائق السحر، فى دقائق الشعر » أسفاره رسالة بالعربى ورسالة بالفارسى، وغير ذلك ، مولده ببلخ ، ومات بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

فتبين بهذا أن الذى ذكرناه أولا ليس هو

ومن رسائله ما كتبه إلى العلامة جار الله الزمخشرى ، ليستأذنه فى حضور مجلسه والاستفادات من سؤالاته [من الطويل] :

لقد حاز جار الله دام جماله فضائل فيها لا يشق غُبَاره
تجدّدَ رسم الفضل بعد اندراسه بأيام جار الله فالله جاره[٢]

أنا منذ لفظتنى الأقدار من أوطانى ، ومعاهد أهلى وجيرانى ، إلى هذه الخطة التى هى اليوم بمكان جار الله ، أدام الله جماله جنّةً للكرام ، وجُنّةً من نكبات الأيام ، كانت قصوى منيتى ، وقصارى بغيتى ، أن أكون أحد الملازمين لسدته الشريفة التى هى مجثم السيادة[٣] ومقبَّلُ أفواه السادة ، فمن ألقى بها عصاه، حاز فى الدارين مناه ، ونال فى المحلين مبتغاه ، ولكن سوء التقصير ، أو مانع التقدير ، حرمنى[٤] مدةً تلك الخدمة ، وحرم تلك النعمة ، والآن أظن وظن المؤمن لا يخطىء أن آفل جدّى هَمّ بالاشراق ، وذابل إيراق

(١) فى معجم الأدباء « رشيد الدين المعروف بالوطواط »
(٢) فى المعجم « بآثار جار الله »
(٣) فى المعجم « مخيم السيادة » وكلاهما صحيح له وجه .
(٤) هذه الكلمة لاتوجد فى المعجم .

تحرك للايراق (١) ، فقد أجد فى نفسى نورا جددا يهدينى إلى جنته ، ومن شوق داعيا موفقا يدعونى إلى عتبته ، ويقرع سمعى كل ساعة لسان الدولة (٢) أن اخلع نعلك ، واطرح بالواد المقدس رحلك ، ولا تحفل بقصد قاصد (٣) ، وحسد حاسد ، فان حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب فى فوائده ، وأكرم من أن تستثقل (٤) وطأة طالب لعوائده ، ومع هذا أرجو إشارة تصدر عن مجلسه المحروس ، إما بخطه الشريف ، فان فى ذلك شرفاً لى يدوم مدى الدهر والأيام ، وفخراً يبقى على مر الشهور والأعوام ، وإما على لسان مَنْ يُوثق بصدق مقالته ، ويعتمد على تبليغ رسالته ، من المنخرطين فى سلك خدمته ، والراتعين فى رياض نعمته ، ورأيُهُ فى ذلك أعلى وأصوب .

وكتب إليه يهنئه بالعيد : الأعياد ـ عرّفَ الله سيدنا جار الله بركة قدومها وورودها ، وجعل له الحظ الأكمل والقسط الأجزل من ميامنها وسعودها ! ـ فرائدُ قلائدِ الأيام ، وغرر جبهات الأعوام ، لكنها راحلة لا تقوم ، وزائلة لا تدوم ، ولقاء جار الله ـ أدام الله مجده لنا معشر خدمه ، والمرتضعين دَرّ فضله وكرمه ـ عيدٌ لا زال العيد له كتصحيفه (٥) باقية محاسنه ، دائمة ميامنه ، يهدى كل ساعة إلى أبصارنا نوراً ، وإلى أرواحنا راحة وسروراً ، فكيف نهنىء عيداً هذه حاله ، بعيد لا يؤمن زواله [من الطويل] :

(١) الذى فى المعجم « وذابل إقبالى أقبل على الايراق »
(٢) فى المعجم « لسان الهيبة »
(٣) فى المعجم « ولا تحفل بحقد حاقد »
(٤) فى الأصول « وأكرم من أن تستثقل من وطأة » وما أثبتناه موافق لما فى معجم ياقوت
(٥) يريد لازال العيد له عبدا .

أنى العيدُ جارَ الله وهو مجدّدٌ بخدمته عهدَ المهيمن تجديداً
فلستُ بعيدٍ لا يدومُ مهنئاً لصدر محياه يدومُ لنا عيداً

***

شاهد التقسيم

١٢٧ — ولا يقيمُ على ضيمٍ يرادُ بهِ
إلا الأذلانِ عيرُ الحي والوتدُ

هذا على الخسفِ مربوطٌ برُمّتهِ وذا يُشجُّ فلا يرثي لهُ أحدُ

البيتان من البسيط ، وقائلهما المتلمس من أبيات(١) ، وهي :

إنّ الهوانَ حمارُ الأهل يعرفهُ والحر ينكرهُ والرسلة الأجُدُ(٢)
كونُوا كسَامَةَ إذ ضنك منازلهُ إذ قيل جيش وجيشٌ حافظٌ عتدُ(٣)
شدّ المطية بالأنساعِ فانحرفتْ عرضَ التنوفةِ حتى مسها النجَدُ(٤)
كونوا كبكر كما قد كان أولكم ولا تكونوا كعبدالقيس إذ قعدُوا
يُعطُونَ ماسئلوا والبحرُ محتدُهم كما أكبَّ على ذي بطنِهِ الفهدُ(٥)

---

(١) اقرأ هذه الأبيات مع أبيات أخرى فى شعراء النصرانية (٣٤٣) .

(٢) فى شعراء النصرانية « حمار القوم يعرفه » ومعنى يعرفه : يصبر له ويقبله . والرسلة : الناقة السهلة السير ، والأجد : الموثقة الخلق من النوق .

(٣) فى المرجع المذكور « إذ شمت منازله » وفيه « وجيش حافظ رصد » .

(٤) الأنساع : جمع نسع ، وهو ما يشد به رحل البعير ، وانحرفت : أسرعت فى سيرها . والتنوفة : الفلاة ، والنجد : العرق والكرب .

(٥) فى المرجع المذكور « والخط منزلهم » مكان « والبحر محتدهم » والخط : مرفأ تنسب إليه الرماح فيقال لها : الخطية ، وهو من منازل عبد القيس .

و بعده البيتان ، و بعدهما قوله :

وفى البلاد إذا ما خِفْتَ ثائرة مشهودة عن وُلاة السوء تنتقدُ(١)

والضيم : الظلم ، والعير، بفتح المهملة : الحمار ، وغلب على الوحشى ، والمناسب هنا : الأهلى ، والخَسْفُ : النقيصة ، والاذلال : تحميل الانسان ما يكره ، وحبس الدابة بلا علف ، والرمة — بضم الراء ، وتكسر — قطعة من حبل، والشج: الكسر والدق، والاستثناء فى « إلا الأذلان » استثناء مُفَرَّغ وقد أسند إليه فعل الاقامة فى الظاهر ، وإن كانَ مسندا فى الحقيقة إلى العام المحذوف .

والشاهد فيهما : التقسيم، وهو : ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكلٍّ إليه على التعيين، فانه ذكر العير والوتد ، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف ، وإلى الثانى الشج ، على التعيين

من أمثلة التقسيم

ومما ورد فى التقسيم قول زهير بن أبى سلمى السابق فى شواهد الايجاز والاطناب [من الطويل] :

وأعلم علم اليومِ والأمس قبلهُ ولكننى عن علم ما فى غدٍ عَمِي

وقد نقل أبو نُوَاس هذا التقسيم من الجد إلى الهزل فقال [من المنسرح] :

أمرُ غدٍ أنتَ منهُ فى لَبْسِ وأمس قد فاتَ فالهُ عن أمْسِ

وإنما الشأنُ شأنُ يومكَ ذَا فبَاكِرِ الشمس بابنةِ الشمسِ

وقد نقله بعضهم أيضا ، فقال [من الطويل] :

تمتع من الدنيا بِساعتكَ التى ظفرتَ بها مالم تَعُقْكَ العوائقُ

---

(١) فى المرجع المذكور :

وفى البلاد إذا ما خفت نائرة مشهورة عن ولاة السوء مبتمد

فلا يومكَ الماضي عليكَ بعائدٍ ولا يومكَ الآتي به أنت واثقُ

ومن التقسيم قول بشار بن برد [من الطويل] :

وراحوا فريقٌ في الإسارِ، ومثلهُ قتيلٌ، ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُهْ

ومثله قول الصفي الحلي [من البسيط] :

أفني جيوش العدا غزواً فلست ترى سوى قتيلٍ ومأسورٍ ومنهزمِ

وهو مأخوذ من قول عمر بن الأيهم [من الخفيف] :

اشربا ما شربتما فهُذَيلٌ من قتيلٍ أو هاربٍ أو أسيرِ

ومنه ، وزعم قومٌ أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم ، قولُ نصيب [من الطويل] :

فقالَ فريقُ القوم : لاَ ، وفريقهم نعم ، وفريقٌ أيمنُ الله ما ندرى

وزعم أبو العيناء أن خير تقسيم قول عمر بن أبي ربيعة [من الطويل] :

تهيمُ إلى نعم فلا الشملُ جامعٌ ولا الحبلُ موصولٌ، ولا القلبُ مُقْصِرُ

ولا قربُ نعم إن دَنت لكَ نافعٌ ولا نأيها يُسْلِي ولا أنت تصبرُ

واختار آخرون قول الحارثى، وقالوا: إنه أفضل [من الطويل] :

فلا كبدى يفنى ولا لَكِ رقةٌ ولا عنك إقصارٌ ولا فيكِ مطمعُ

و بديع قول الأمير السلماني [من الطويل] :

وصلتَ فلما أن مَلَكْتَ حشَاشتى هجرت فجُد وارحم فقد مسنى الضرُّ

فليت الذى قد كان لى منكَ لم يكنْ وليتكَ لا وصلٌ لديكَ ولا هجرُ

فلا عَبْرَتِي تَرقَا ولا فيكَ رقة ولا منك إلمام ولا عنكَ لى صبرُ

وقد ألم بنحو هذا التقسيم الشهابُ محمود حيث قال [من المتقارب] :

و إنى لفى نظرى نحوهَا وقد ودَّعَتْنِي قُبَيْلَ الفراقِ

ولا صبرَ لى فأطيقَ الهوى ولا طمعٌ إن نأت فى اللحاق

ولا أملٌ يرتَجى فى الرجوع ولاحكم فى ردّ تلك النياقِ
كمُضنًى يودّعُ رُوحاً غدت يَراها على رغمه فى السِّياقِ

ومن مليح التقسيم قول داود بن مسلم [من السريع] :

فى باعه طولٌ ، وفى وجههِ نورٌ، وفى العِرْنينِ منهُ شممْ

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم فى الشعر وكان معجبا بقول العباس ابن الأحنف [من الطويل] :

وصالكم صرمٌ، وحبكم قِلًى، وعطفكم صدٌّ، وسلمكم حربُ

وَيقول: أحسن والله فيما قسم حيث جعل حيال كل شىء ضده ، والله إن هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات إقليدس.

ومن جيد التقسيم قول أبى تمام [من الطويل] :

فما هو إلاّ الوحى أوحدٌّ مرهفٍ تميلُ ظُباهُ الحدّ عن كل مائلِ
فهذا دواء الداء من كل عالمٍ وهذا دواء الداء من كل جاهلِ

وذكر الجاحظ أن قتيبة بن مسلم لما قدم خراسان خطب الناس ، فقال : من كان فى يده من مال عبدالله بن حازم شىء فلينبذه، وإن كان فى فمه فليلفظه، وإن كان فى صدره فلينفثه ، قال : فعجب الناس من حسن مافصَّلَ وقسّم .

و وقف أعرابى على حلقة الحسن ، فقال : رحم الله من تصدق من سعة، أو واسى من كفاف، أو آثر من قوت .

ولقد أجاد ابن حيُّوس فى التقسيم بقوله [من الطويل] :

ثمانيةٌ لم تفتَرِق مُذْ جمعتها فلا افترقت ماذبَّ عن ناظرٍ شفرْ
ضميرُك والتقوى، وكفك والندى، ولفظك والمعنى ، وسيفك والنصرُ

وما أحسن قول أبى ربيعة المخزومى[(١)] [من الطويل] :

وهَبْهَا كشىء لم يكن أو كنازح عَنِ الدار أو مَنْ غيَّبَتْهُ المقابرْ

(١) كذا

وعجيبٌ هنا قول أبى تمام فى مجوسى أحرق فى النار [من الكامل] :

صَلّى لها حيًّا ، وكان وقودَها ميتاً ، ويدخلها مع الفجّارِ

وما أعذب قول الشيخ شرف الدين بن الفارض [من الطويل] :

يقولون لى صِفْهَا فأنتَ بوصفها خبيرٌ ، أجلْ عندى بأوصافها علمُ
صفاءٌ ولا ماءٌ ولُطْفٌ ولا هوًى ونورٌ ولا نارٌ ، وروحٌ ولا جسمُ

وقول محمد بن دراج القسطلى وأجاد [من الطويل] :

عطاءٌ بلا منٍّ ، وحكمٌ بلا هوًى وملكٌ بلا كبرٍ ، وعزٌّ بلا عُجْبِ

وقول الآخر أيضاً [من الطويل] :

بَنِى جعفرٍ أنتم سماء رياسةٍ مناقِبكمْ فى أفقها أنجمٌ زهرُ
طريقتكمْ مثلى ، وهديكمُ رضًى ومذهبكم قصدٌ ، ونائلكم غَمْرُ
عطاءٌ ولا منٌّ ، وحكمٌ ولا هوًى ، وحلمٌ ولا عجزٌ ، وعزٌّ ولا كبرُ

وبديعٌ قول بعضهم أيضا [من البسيط] :

قوسٌ ولا وترٌ ، سهمٌ ولا قودٌ عينٌ ولا نظر ، نحلٌ ولا عسلُ

وقول بعضهم أيضاً [من الطويل] :

تسربلَ وَشْياً من خُزُوزٍ تطرّزتْ مطارفها طرزاً من البَرْقِ كالتبرِ
فوشْىٌ بلا رقمٍ ، ورقمٌ بلا يدٍ ودمعٌ بلا عينٍ ، وضحكٌ بلا ثغرِ

وقول الرستمى [من الطويل] :

فتىً حازَ رِقّ المجدِ من كل جانبٍ إليهِ وخَلّى كاهلَ الشكرِ ذَا ثِقْلِ
بِعَفْوٍ بلا كدٍّ ، وصفوٍ بلا قَذًى ونقدٍ بلا وعدٍ ، ووعدٍ بلا مَطْلِ

وما أشرف قول ابن شرف [من الطويل] :

لمختلفِ الحاجاتِ جمعٌ ببابهِ فهذا لهُ فنٌّ وهذا لهُ فنُّ
فللخاملِ العلياءُ ، وللمعدمِ الغنى وللمذنبِ العتبى ، وللخائفِ الأمنُ

وقول بعضهم أيضاً [من الكامل] :

نرجو سُلُوا فى رسُوم بَينها الأغصانُ سكْرَى والحَمامُ مُتيَّمُ
هذى تميلُ إذا تَنسَّمَت الصبا والوُرقُ تذكُرُ شجْوَهافترنَّمُ

ولابن جابر الأندلسى [من المتقارب] :

لقد عطَفَتْنى على حبِّها بوَجْهٍ تبدَّى على عطفِهِ
فهذا هو البدرُ فى أفْقِهِ وهذا هو الغُصنُ فى حِقْفِهِ

ولأبى الحسين الجزار [من الوافر] :

وزيرٌ ما تقَلَّدَ قطُّ وِزْراً ولا داناهُ فى مثْوًى أنامُ
وجُلُّ فعالِهِ صاداتُ برّ صِلاتٌ أو صَلاةٌ أوصيامُ

ولشيخ شيوخ حماة [من المتقارب]:

لنا مَلِكٌ واجدٌ ما اشْتَهَى ولكنهُ لم يجدْ مثلَهُ
ملاذى به ومثولى لديهِ ومَيْلى إليه ومَدْحى لهُ

ومثله قول بعضهم مجوناً [من الخفيف]:

وبديعُ الجمالِ مُعْتَدِلُ القا مَةِ كالغصنِ حنَّ قلبى إليهِ
أشتهى أن يكونَ عندى وفى بيْـتى وبَعْضى فيهِ وكلِّى عَلَيهِ

ومن المضحك فيه قول السراج الوراق [من مجزوء الوافر] :

رأتْ حالى وقدْ حالتْ وقد غال الصِّبَا فوْتُ
فقَالَتْ إذ تَشاجَرْنا ولم يُخْفَضْ لنا صوْتُ
أشيخ مفلسٌ يهْوَى ويَعْشقُ فاتكَ الفوْتُ
فلا خيرٌ ولا ميرٌ ولا إيرٌ فذا موْتُ

ولطيف قول بعضهم [من الطويل] :

وفى أربع منى حلّت منكَ أربعٌ فما منهُ أدرى أيُّها هاجَ لى كربى

أوجهُكَ فى عينى أم الرِّيقُ فى فمى أم النطقُ فى سمعى أم الحبُّ فى قلبى

وقد سمع يعقوب بن إسحاق الكندى هذا فقال : هو تقسيم فلسفى

وقد أخذه الحمانى العلوى فجعله خمسة فقال [من الطويل] :

وفى خمسةٍ منى حلّتْ منكَ خمسةٌ فريقكَ منها فى فمى طيِّبُ الرَّشف

ووجهكَ فى عينى ولمسكَ فى يدى ونطقكَ فى سمعى وعَرْفُكَ فى أنفى

ترجمة المتلمس

والمتلمس (١) اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعى (٢) ، وهو أحد الثلاثة المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنه أشعرهم ، وهم المتلمس ، والمسيب بن علَس وحصين بن الحمام ، ولقب بالمتلمس لقوله [من الطويل] :

وذاكَ أوانُ العِرْضِ طَنَّ ذُبابُهُ زنابيرُهُ والأزرق المتلمسُ (٣)

وكان هو وَطَرَفَةَ بن العبد يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان سيء الخلق شديده ، وكان قد حرق من تميم مائة رجل فهجَوْه وكان مما هجاه به المتلمس قوله [من الكامل] :

إن الخيانَةَ والمغَالَةَ والخنا والغَدْرَ نترُكه ببلدَةِ مفْسِدِ (٤)

---

(١) تجد للمتلمس ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة (٨٥—٨٨) وفى الأغانى (٢١ : ١٢٠—١٣٧) وفى شعراء النصرانية (٣٣٠)

(٢) فى الأصول « الضبيعى » وهو تحريف ما أثبتناه ، وهو أحد بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار

(٣) العرض : الوادى . ويروى « جن ذبابه » ويروى «حن ذبابه» وعنى بالأزرق المتلمس الذباب الأخضر ، وأصله من قولهم : تلمس فلان الحاجة ، إذا طلبها سرا، وكأنه يبحث عنها بيده فيمسها

(٤) فى الأصول « إن الخيانة والمقالة » وهو تحريف ما أثبتناه، والمغالة — بالغين المعجمة — الغيلة، وهى القتل خفية

ملكٌ يلاعبُ أمهُ وقَطينَها رِخْوُ المفاصل بطنُهُ كالمزْوَدِ
فإذا حلَلتُ فَدُونَ بيتى غاوَةٌ فابرُقْ بأرْضِك مابدالكَ وارْعُدِ(١)

وهجاه طرفة بما تقدم فى ترجمته فى شاهد التكميل ، فاستحيا أن يقتلهما بحضرته و بينه و بينهما إدلال المنادمة ، فكتب لهما صحيفتين وختمهما لئلا يعلما ما فيهما ، وهو أول من ختم الكتاب ، وقال لهما : اذهبا إلى عاملى بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بالجوائز ، فذهبا فمرا فى طريقهما بشيخ يُحدِث و يأكل من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه ، فقال المتلمس : ما رأيت شيخاً كاليوم أحمق من هذا ، فقال الشيخ : ما رأيت من حمقى ، أخرج الداء، وأدخل الدواء ، وأقتل الأعداء ، ويروى : أطرح خبيثاً، وأدخل طيباً ، وأقتل عدوا ، أحمق والله منى من يحمل حتفه بيده ، فاستراب المتلمس بقوله ، فطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب ، فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففك حينئذ الصحيفة فإذا فيها « إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا » فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك فإن فيها مثل هذا ، فقال طرفة : كلا لم يكن ليجترىء على ، وكان غرا صغير السن ، فقذف المتلمس بصحيفته فى نهر الحيرة وقال [من الطويل]:

قَذَفْتُ بها بالثنى من جَنْبِ كافرٍ كذلك أقنى كلَّ قِطٍّ مُضَلِّلِ(٢)

---

(١) وقع فى شعراء النصرانية (فدون بيتى غاوة) بالواو ، وفسرها بأنها قرية قرب حلب.

(٢) الثنى : منعطف النهر ، وكافر : اسم لنهر الحيرة ، وأقنى ــ بضم همزة المضارعة ــ بمعنى أحفظ ، والقط ــ بكسر القاف ــ الكتاب ، وكأنه يقول: لا أحفظ الكتاب الذى يضللنى إلا بقذفه فى النهر ، ويروى « أقنو » بفتح همزة المضارعة ، وروى « كذلك ألقى »

رضيتُ بها لما رأيتُ مدادها يجولُ به التيّارُ فى كل جدْوَلِ

وأخذ نحو الشام وقال : (١) [من الكامل] :

ألقَى الصحيفةَ كى يخفِّفَ رحلَهُ والزّادَ حتى نعلَهُ ألقاها

يريد أنه تخفف للفرار وألقى ما يثقل وما لا بد للسفر منه .

وأما طرفة فانه وصل إلى البحرين وقتل كما مر فى ترجمته ، وهلك المتلمس فى الجاهلية ، وقال ابن فضل الله فى حقه : هو رجل نبيه الذكر ، معروف بصحة الفكر ، وهو الذى يضرب المثل بصحيفته ، ومن شعره [من الطويل] :

ألم تَرَ أن المرْء رَهْنُ منيةٍ صَريعاً لعافى الطَّيرِ أو سَوْفَ يرْمَسُ

فلا تقبلَنْ ضَيماً حِذارَ منيةٍ ومُوتَنْ بها حُرّاً وجلدُك أملس(٢)

فمن حذر الأوتار ما حزَّ أنفهُ قصيرٌ وخاضَ الموْتَ بالسيف بيهسُ

وما الناس إلا ما رأوْا وتحدثوا وما العجز إلا أن يُضاموا فيجلسوا

فان تُقْبِلوا بالود نُقْبِلْ بمثله وإلاّ فانا نحن آبى وأشمسُ

ومن شعره أيضا [من الطويل] :

تعيرنى أمى رجال ولا أرى أخا كَرَمٍ إلا بأن يتَكَرَّما(٣)

---

(١) المعروف عند النحاة أن هذا البيت من كلام أبى مروان النحوى يقوله فى قصة المتلمس .

(٢) يروى « مخافة ميتة » فى مكان « حذار منية » ووقع فى الأصول «وموتن بها واحيا » وهو تحريف رواية أخرى وصوا بها «واحين» أمر من الحياة مؤكد بالنون الخفيفة فياؤه مفتوحة .

(٣) فى الأصول « تعيرنى أمى رجالا » وهو تحريف مفسد للمعنى ، فان مقصوده أن يقول : يعيرنى بأمى رجال .

أحارِثُ إنَّا لو تُسَاط دماؤُنا تَزَيَّلْنَ حتى لا يمسُّ دمٌ دما[١]

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا وما عُلِّمَ الانسانُ إلا ليعلَمَا

وما كُنتُ إلا مثلَ قاطعِ كفهِ بكَفٍّ له أخرى فأصبح أجْذَما

يَدَاهُ أصابَتْ هذه حتفَ هذه فلم تجدِ الأخرى عليها مُقَدَّما

فأطْرَقَ إطراقَ الشُّجاعِ ولو يرى مساغاً لنابيهِ الشُّجاعُ لصمماً[٢]

إذا ما أديمُ القومِ أنهجَهُ البِلَى تفرَّى وإن كَتَّبْتَهُ وتخرما

ومما يتمثل به من شعره قوله [من الوافر] :

وأعلم عِلم حقٍّ غير ظنٍّ لَتقوَى اللهِ مِنْ خيرِ العَتادِ

وَحِفظُ المالِ خيرٌ مِن ضَيَاعٍ وضَرْبٍ فى البِلَاد بغيرِ زادِ

. و إصلاحُ القَليلِ يَزِيدُ فيهِ ولاَ يبقى الكثيرُ مَعَ الفَسادِ[٣]

وهذه الأبيات من قصيدة له مطلعها :

صَبَا من بَعدِ سلوتِهِ فُؤادى وأسمَحَ للقَرِينـةِ بالقيادِ

وقد ضمنه بعضهم فى الهجاء فقال [من الوافر] :

يُحصِّنُ زادهُ عن كلِّ ضِرْسٍ ويُعملُ ضِرسَهُ فى كلِّ زادِ

ولا يَرْوى منَ الأشعارِ شيئًا سِوى بيتٍ لأبْرَهة الإيادى

قليلُ المالِ تُصلحهُ فيبقى ولا يبقى الكثيرُ معَ الفَسادِ

---

(١) فى الأصول «لو تساقط» وهو تحريف ما أثبتناه ، وتساط ـ بالسين مهملة ـ أى تخلط ، ويقع فى بعض الأمهات « تشاط » بالشين معجمة ـ ومعناه تهدر ، وتزيلن : أى تميزن وانفصل دمى عن دمك لأن دم الملوك لايختلط بدم السوقة ، ويروى « تزايلن » وهى بمعنى تزيلن

(٢) يروى النحاة هذا البيت « ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما» .

(٣) يروى صدر هـذا البيت « قليل المـال تصلحه فيبقى » كما سيقول المؤلف بعد .

وشطر هذا البيت رواية فى شطر البيت السابق ، وأخذه ابن وكيع فقال [من مجزوء الكامل] :

مالٌ يُخلفهُ الفتى للشامتينَ منَ العِدَا
خيرٌ له مِنْ قَصْدِه إخوانهُ مُسْتَرْفِدا

ويقال : إن حاتما الطائى لما سمع قول المتلمس هذا قال : ماله قطع الله لسانه يحمل الناس على البخل والتباخل ، ألا كان يقول [من الطويل]:

وما البذْلُ يُفنى المالَ قبلَ فنائِه ولاالبُخلُ فى مال الشحيح يَزِيدُ
فلاَ تلتَمسْ فَقْراً بعيْش فإنهُ لكلِّ غدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جـديدُ
ألم تَدْرِ أنَّ المالَ غادٍ ورَائحٌ وأنَّ الّذى يُعطيك لَيْسَ يبيدُ

انتهى .

وقد قال البلغاء فى معنى الأول : إن فى إصلاح مالك جمال وجهك ، وبقاء عزك ، ونقاء عِرضك ، وسلامة دينك ، وطيبَ عيشك ، وبناء مجدك ، فأصلحه إن أردت هذا كله ، وفى المثل «احفظ مافى الوعاء ، بشد الوكاء» يضرب فى الحث على أخذ الأمر بالحزم ، وقيل : من أصلح ماله فقد صان الأكرمين الدين والعِرض وقيل: التدبير يثمر التيسير ، والتبذير يبرد الكثير ، ولا جود مع تبذير ، ولابخل مع اقتصاد ، والاعتدال فى الجود ، أحسن من الاعتداء على الموجود ، والرزق مقسوم محدود ، فمرزوق ومحدود(١) والله أعلم بالوجود

* * *

قدتم ـ بحمد الله تعالى وعونه ـ الجزء الثانى من « معاهد التنصيص» ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الثالث ، مفتتحا بشواهد الجمع مع التفريق ، نسأله ـ سبحانه ـ الاعانة على إكماله ، والتوفيق إلى إتمامه .

---

(١) محدود الأول من الحد بمعنى تحديد الشىء بنهاية يقف عندها لا يتجاوزها ، ومحدود الثانى بمعنى الذى لاحظ له ولا بخت .

ثانيا — فى الجزء الثانى

موضوعات شواهد الفن الثانى

(علم البيان)

فهرست الموضوعات البلاغية